

دَعْدُو

اسم الكتاب: دغدو

الكاتب: خسرو الجاف

الموضوع: رواية

عدد الصفحات: ٢٨٥

اسم المترجم: ياسين حسين

رواية

دَعْدُو

خسرو الجاف

الترجمة من الكردية

ياسين حسين

إهداء

إلى روح صديقي العزيز محمد موكري

كانت والدتي تتكى برأسها على إطار نافذة القطار، بإيقاع موزون ليتحرك كامل جسدها الذي يظهر على زجاج تلك النافذة، وقد شكّلت الأتربة طبقة سميكة من الغبار عليها. ككائنات أسطورية، صفوف الجمال تتحد مع خط الأفق من بعيد... رائحة الأتربة والغبار مختلطة بذلك الحرّ الشديد والمستعر الطاغي على جو تلك العربة... وجه والدتي محمّرٌ من التعب، وعيونها تذرف الدموع بتؤدةٍ ورويةٍ.

حرارة الجو، أنستها مايجري حولها، فدموعها حاضرة دائماً، والذي يجلس قبالتنا الى جانب أمي، حيث وضع حقيبة جلدية بجانبه على الكرسي الآخر كي لا يجلس عليه أحد، ينظر مهدوء الى الخارج، حتّى يادر فجأة قائلاً لأمي:

- لا تبكي يا فتاة ، فنحن لا نذهب الى المقصلة؟...

- يا ليتهم يأخذوننا الى المقصلة على أن نكابد آلام هذه العربة... هل هذا حالّ نحن فيه.. لا أعلم الى أي بلد أنا ذاهبة.

- ماهذا الكلام يا فتاة، ماذا أستطيع أن أفعل؟ انا موظف دولة وقد تم نقلي وانتهى الأمر... هل أعود واترك عملي؟ حينها سيفصلونني من العمل أو قد يعتقلونني أيضاً... بعد عشرين سنة كمدرس إعدادي، لا أستطيع أن أعمل كعتال حتى.

كانت عروق رقبة والدي نافرةً من شدة غضبه، وحينما هدأ قال لها متودّداً:
- كيفما كان الوضع، سنقضي هذه السنة، حين يُنهي (سنكر) امتحانات الثانوية، سنفكر بما سنفعل.

مسحت والدتي دموعها بكُمّ فستانها... وضعتُ يديّ على ركبتيها، وبهدوء كطفل صغير وضعت رأسي في حضنها، حتى غفوت.

مرّ بعض الوقت على عملية تعريب الموصل. ووالدي كالمئات من المدرّسين الذين تم استبعادهم من الموصل. قبل شهرين من سفرنا، ذهب الى مدينة (الزبير) لاستئجار بيت صغير، وقد نقلني الى تلك المدرسة التي كان يدرّس فيها مادة الفيزياء. في ذلك الجو المغبر داخل عربة القطار، كانت رائحة عرق المسافرين تُركم الأنوف، فكرت لبرهة بأنّها سنة وتمضي، حتى وان كنت في السجن أو في الجحيم.

حركة القطار الافعوانية، فزرتني من غفوتي تلك، نظرت حولي، ورأيت بأننا نحاذي عربات قطار اخر تنقل الجواميس وهي تتكدس فيها بشكل عشوائي . علمت حينها بأننا اقتربنا من مدينة (السماوة) ورؤية تلك الجواميس تدلّ أننا بالقرب من نهر الفرات. كانت أمي هادئة لكن عينيها لم تزل محمّرةً، أشاحت بنظرها خارج العربة، فإنتهزتُ الفرصة لأقول لها:

- هل ترين في أي جحيم يعيش هؤلاء الناس؟ مهما كان حالنا سيكون أفضل من حالهم، كيفما كان سنقضي أيامنا، ففي الموصل أيضاً كنا جيراناً للعرب، أليس كذلك؟

أعجب والدي بكلامي، وأعاده مرة أخرى قائلاً لوالدي:

- إنه محق بكلامه، لا تتشاءمي كثيراً، نحن نقول بأننا سنظل سنة، وقد مرّ من هذه السنة شهران، عدا الشهر الذي نحن فيه كلُّ ما تبقى تسعة أشهر وستمضي... ما يهمني أكثر هو دراسة ابنك، ان ينهي المرحلة الثانوية بتفوق، حينها سأفرح وكأنني سلطان زماني.

غيّرت والدي من جلستها وقالت:

- إن لم أبك سأنفجر.

اردف قائلاً

- من بغداد الى هنا وانت تبكين يا فتاة ، ماخطبك؟

لم أتمالك نفسي وقلت لوالدي:

- ماخطبك وأنت تقول يا فتاة يا فتاة، بعد عشرين عاماً ومازالت هذه الكلمة

على لسانك...!

- هذا ليس من شأنك أيها الشقي، أنا أعلم ما أقول.

انفجرت أسارير والدي حين رأيت شخصاً يحمل صينية على رأسه ويطوف

بالعربة وهو ينادي:

- كبة... كبة.

تمتمت والدي قائلة:

- أأستم جائعين؟

- حين نخرج من السماوة حينها سنأكل يا أماه.

في الطرف الآخر من العربة، كان عددٌ من الجنود جالسين بصمت، وعلامات الارتباك بادية على محيّاهم، كانت الحرب العراقية الايرانية مستمرة والمعارك في أوجها، وكنا نسمع أصوات تحليق الطائرات فوقنا بين الحين والآخر. قالت والدتي بقلق:

- هل سيقصفون قطارنا هذا؟

طمأنها والدي بقوله:

- نصف ايران تم احتلاله، عن أي قصف وأي طيران تتحدثين؟

- ألم يقصفوا الموصل؟

- ذلك كان صاروخاً.

- أي صاروخ، رأيت بأمر عيني الطائرات في السماء..

- في البداية... نعم، لكنهم لا يستطيعون الآن، فأغلب طائراتهم تم اسقاطها

بالمضادات الجوية.

- من قال ذلك؟

- كيف من قال ذلك؟ العراق طبعاً، والاذاعات أيضاً نشرت ما أقوله لك.

وأنت صدقت؟! لا أحد يقول عن عنبه انه حامض. ايران باتت قوية الآن، وان

استمر الوضع هكذا فانها ستحتل العراق.

توقف القطار في محطة السماوة، دخل ثلاثة جنود ضخام الهيئة يعتمرون

قبعات حمر الى العربة. ذهبوا فور دخولهم الى الجنود الآخرين الذين كانوا جالسين

في الطرف الثاني من العربة وكانوا يطلبون منهم هوياتهم.

- إن كنتم جياعاً لدي بعض الأكل سأعطيكم.

محطة قطارات السماوة تقع ضمن المدينة، التي تبدو غارقة في الرثاثة

والإهمال. كانت والدتي مشغولة بحل عقدة شالها، وأنا كنت أفكر ب (هيمن)! هل

سيذكر اسمي تحت التعذيب؟ إذ عذبوه كثيراً ويقال بأن ما لاقاه من تعذيب داخل

الأقبية كان يُنطق الفيل، لكن (هيمن) معروف بشجاعته وصلابته. هل يُعقل بعد

اعتقاله ان يتم اعتقاله ايضاً. كل الرفاق غادروا الى الخارج ولم يبق غيري أو اثنين أو

ثلاثة آخرين. ناولتني والدتي رغيف خبز لفته على شكل سندويشة وقالت:

- إمسكها من الاسفل كي لا تسقط منها البطاطا والبيض...

القطار بدأ مسرعاً للخروج من المحطة وبدأت قامات ركابه تتمايل في ايقاع رتيب. سألت والدي:

- هل كل القطارات في العالم مثل هذه القطارات؟
- أنت كلُّ سندويشتك أولاً، بعدها ابدأ بتوجيه الأسئلة. ما شأنك بالقطارات في الدول الأخرى أنت؟

- لا أدري، لكن الحركة القوية في هذا القطار يجعل الشخص لا يسيطر على حركته، عندما ذهبت لغسل يدي سقطت على الأرض من كثرة ارتجاج القطار.
- في سنوات الستينيات سافرت الى رومانيا وركبت القطار هناك، كانت القطارات هناك نظيفة وعرباتها جميلة جداً، حتى أنها كانت مزودة بمطعم وبار، فتصوّر.

- أكانت ترتج مثل هذه؟
- لم أكن أشعر بأني راكب في القطار، يا بني، اعتقد ان هذا الارتجاج في قطاراتنا سببه السكك الحديدية وليس القطار.
- لماذا؟

- عندما يضعون سكة الحديد، يجب ان يزودوا السكة بسنتيمتر أو اثنين من العازل بينها، حتى لا تتأثر السكة بالحرارة والبرودة، وأحياناً بسبب الفيضانات، يوم بعد يوم من الاحتكاك وبسبب عدم وجود العازل بينها تتآكل السكة وتكون السبب في هذه الحركة والارتجاج، ألا ترى وكأننا أصبحنا كأفلام كرتون.

انتهيت الى والدتي، كان وجهها مصفراً، كانت رموشها كالعادة مبللة بالدموع، وكأني بها تفكر بي وبمصيري، فوالدي لم يكن يعلم بأني على صلة بالتنظيم، وان علم بذلك فستكون الكارثة، فهو أيضاً عمل في التنظيمات سابقاً وأعتقل على إثر ذلك عدة مرات، لكنه ترك العمل الحزبي بعد ذلك. والدتي من مواليد السلیمانية وسلطات البعث كانت قد أعدمتم أخاً لها، لم تكن تستسيغ الحديث عن العرب والبعث، ووالدي لم يكن مقتنعاً برأيها، لكن والدتي كانت تتكلم ولا تأبه لأي شيء، كانت تقول:

- أنت حرٌّ بتفكيرك، قدم أخي في رقبتهم، اليوم أو غداً سيدفعون ضريبة فعلتهم تلك، أخاف ان أموت ولا أرى ذلك اليوم.

كانت الشمس تنبعث من بين أشجار النخيل وتلوح للناظر بأنها قابعة أبداً
خلف تلك الأشجار.

تقياً رجل يعتمر عقلاً في الطرف الآخر المحاذي لمقاعدنا، وتناثرت البطاطا
المهروسة في جوفه بحلقة دائرية وهي تخرج من فمه. لم ترَ والدتي ذلك المنظر، لكنها
كانت تسمع صوت الرجل وهو يحاول التقيؤ ويصدر أصواتاً كالعواء من فمه،
تمتمت والدتي:

- إلهي يأخذ روحك إن شاء الله.

إلتفت والدي بهدوء صوب الرجل، وقال بصوت مسموع:

- إنه بدوي... بدوي.

- أيّ بدوي. إنه عربي... عرب.. عرب.

- العربي ليس غولاً، ستجدين الكثير مثل هذه الحالات عندنا أيضاً، الرجل

مريض، أو انه داخ من السفر وتقياً، أيفرغ العربي ما بجوفه ولا يفعلها الكردي!؟

- أوه... أسكت يا رجل، لقد تقياً وكفى، لتنقلع عيونه.

كنت أستمع أحاديثهم دون أن أعلق بشيء على ، وأعلم أن والدتي عنيدة ولن
تتخلى عن رأيها، ووالدي يود ان يفهمها بطريقة هادئة لكنه لا يفلح في مسعاه،
مناوشاتهم الكلامية تلك لم تكن وليدة اللحظة، لكنهم كانوا هكذا منذ ان وعيت على
الدنيا. ولم يكن من بدّ لوالدي الا ان يغيّر وجهة الموضوع بقوله:

- نستطيع اليوم ان نزل في أحد فنادق البصرة وفي اليوم التالي نذهب الى

(الزبير). أو نتوجه مباشرةً الى الزبير بدون التوقف في البصرة. بالنسبة لي لا فرق، ان
أكملنا مسيرنا أو نزلنا في البصرة.

كانت والدتي مترددة. بالنسبة لي كان الأمر سيّان إن كنا في البصرة أو الزبير،
فانا أحب رؤية مكان إقامتي لتسعة شهور بشكل أسرع، لكنني كنت في هم والدتي،
كنت أعلم بأنها ستبدأ بالبكاء مرة أخرى. لذلك قلت:

- من الأفضل أن نقضي ليلتنا في البصرة وغداً نكمل طريقنا الى الزبير، ما

رأيكم؟

غض والدي الطرف عن والدتي، كان صامتاً، وفجأة قال:

- إذأ، سنبقى في البصرة اليوم.

رويداً رويداً بدأت سرعة القطار تخف، وفجأة أصدر صوتاً طويلاً كالعويل، كانت صافرة القطار تنذر الركاب بالتوقف، وبعد فترة قصيرة توقف عن الحركة. فتحتُ النافذة ومن فوق رأس والدتي مددت رأسي الى الخارج. لم أر شيئاً، فقط بعض الركاب كانوا ينزلون من القطار، عندما مددت رأسي أكثر، رأيت القطار وعرباتهِ التي لانهاية لها، كانت عربتنا في المنتصف. هممت بالخروج من باب العربة، كان القطار واقفاً بشكل نصف دائري، وفي مقدمته محركان عظيمان متلاصقان، وكان بعض العمال ينظفون السكة وما حولها، فقد كانت مليئة بالرمال بسبب عاصفة ترابية هبت قبل وصولنا الى البصرة، ولو لم يتوقف القطار حينها لكان هناك احتمال خروج القطار عن سكته. عند عودتي سألتني والدتي عن سبب توقف القطار، قلت لها:

- لاشيء يدعو للقلق، انها الرمال حول السكة ويقوم العمال بتنظيفها.
كان الأمر المثير للدهشة بالنسبة لي هو المحركان في مقدمة القطار والسبب في وضعهما معاً في مقدمته!.

كان والدي على علم بتلك العاصفة الترابية أثناء الرحلة، وقال متمتماً:
- عندما يركبون عربات كثيرة على القطار فإنهم يضعون محركين للقطار، وفي كثيرٍ من الأحيان يحدث ان تهبَّ عاصفة ترابية في هذه الانحاء، وسيحاولون حل هذا الإشكال حالاً.. تعد هذه المنطقة بوابة الصحراء العربية، فكلما تهب عاصفة ترابية، يتجمع الرمل حول السكة الحديدية، هي مسافة عشرة أو اثنا عشر كيلومتراً فقط، ألا ترى، بدأ القطار بالتحرك.

خيّم الظلام وكانت مصابيح القطار تنير أمامه، هناك بعض الأضواء تُرى من بعيد. نظر والدي إلى ساعته وقال:
- بقي لنا نصف ساعة ونصل.

لم أكن قد سافرت أبعد من الموصل أبداً، لكنني تجولت في أغلب الاماكن في منطقتنا، كنت أزور أقاربي وترددت الى المدارس هناك، لكنني اليوم أسافر أبعد من ذلك، إلى البصرة وقضاء الزبير. مرّت فترة طويلة لأدرك ما يجري من حولي وكنت أهين نفسي دائماً للأسوأ، دائماً كنت انا همّ والدتي وشاغل قلبها الطيب والحنون

كفراشة رقيقة. ترى ماذا سيجري لها إن اعتقلوني ؟ فهي إلى الآن لم تنس أباها
الذي أُعدم. أمسكت بيدها وقبلتها...

- ماذا بك يا بني، هل حلمت بشيء ما؟

- لا يا أمي، أشكر الله أن لي أمًّا مثلك.

قال والدي:

- وأنا؟

- كان عليّ تقبيل يديك أيضاً.

- إذهب، لا أريد. سنقضي ليلتنا في فندق شط العرب بالبصرة، نزلت فيه

سابقاً، انه فندق نظيف ومريح.

- المهم ان تقتنع أمي بهذا الكلام.

- بئري، هي ليلة واحدة فقط، لن نشترى الفندق.

من بعيد كانت تلوح مدينة الزبير عبر الأفق، رائحة عرق سائق السيارة أذكمت أنوفنا، والدتي بجانبني كانت تمسك أنفها وباليد الأخرى كانت تلوح بها على أنفها، وقالت فجأة:

- سأتقياً من هذه الرائحة الكريهة.

- تحلي بالصبر يا أمي.

وفجأة صرخت:

- أحلف برسول الله محمد ان في كل مدينة البصرة لن تجد عربياً يجيد التحدث باللغة الكردية، كيف أتحمّل ذلك؟ كيف أتحمل ومعدتي تكاد تنفجر من هذه الرائحة.

نظر إلينا والدي وأشار بيده وقال:

- ألا ترين، تلك هي مدينة الزبير؟

إنتبه سائق السيارة إلى إشكالٍ قد يحصل ووالدتي لا تتوقف عن الحديث... فجأة قال السائق:

- ها قد وصلنا يا حاجة.

تمتت والدتي (أيها المعتوه... إذهب واغتسل، حاجة، أي حجّ هذا؟).

بحسب تعليمات والدي، توقفنا أمام باب ما ونزلنا من السيارة، أخرجت امرأة ملتفحة رأسها من نافذة البيت المجاور. دخلنا الى البيت، كانت الغرفة مغبرة، عبارة عن غرفتين وصالة. تمعّن والدي في ملامح والدتي، كان يود ان يقرأ رأيها في ملامحها وبدأ بالحديث:

- لا نريد أكثر من ذلك، كلها ثمانية أو تسعة أشهر نقضيها هنا، لم أشتري ادوات المطبخ، فأنا لا أعرف ما تحتاجينه منها، قلت لنفسني من الافضل أن تشتريها أنت.

- لا عليك يا أبي، أنا لذي دراسة، فنحن لا نعرف أحداً في هذه الغربة، حتى وان لم يكن لدينا تلفزيون، هو ليس بسجن أكيد، حتى وان كان سجنًا...

- في أيام الجُمع هناك سوق في المدينة يبيعون فيه الادوات المستعملة، إن حصلنا على جهاز يعمل بصورة جيدة سنشتره ، وان لم نجد فسأشتري واحداً بالتقسيط. فقد اشترت اغلب أغراض البيت من ذلك السوق.

سمعنا صوت طرقات على الباب، ذهب والدي الى الخارج وأنا كنت واقفاً في الصالون، جارتنا تلك التي أطلت برأسها من البيت المجاور، قد جلبت لنا الماء البارد، قائلة لوالدي بأنها ستجلب لنا الغداء أيضاً.

كانت والدي مشغولة بتنظيف البيت ووالدي يحمل إبريقاً مملوءاً بالماء المثلج، وعندما رأى والدي قال:

- تفضلي يا فتاة، لدينا جيران جيدون، ها هم يحضرون لنا الغداء أيضاً، ألم أقل لكم ان الإحسان لا يعرف العربي أو الكردي؟
- جزاهم الله خيراً.

والدي تدرك تماماً بأن الغربية والتهجير هو وباء نال كل الكُرد نصيبهم منه، ووالدي أحدهم، لكنها كانت تتغنج على والدي دائماً.

انا ووالدي ووالدي غرباء في تلك الصحراء، نجد كل شيء غريباً علينا، حتى تلك الرمال كانت تثير دهشتنا. اننا كئلاث قطرات من الزيت في كأس ماء... نظرات زملائي في الصف، كل نظرة كانت تخفي وراءها العديد من الأسئلة. في اليوم الأول من دوامي في المدرسة، قال لي الأستاذ:

- قُم وعرفنا بنفسك حتى يعرفك زملاؤك في الصف.

كنت أجيد العربية بلهجة أهل الموصل بطلاقة، عرّفت عن نفسي، لكن المشكلة كانت في اسمي... (سنجر) لم يكن الطلاب يستطيعون لفظه، قال أحد الطلبة ان اسم (سنجر) هو اسم ماكنة خياطة، فضحك بقية الطلاب.

بقي إسمي سنجر في الصف.. كنت متيهاً من الناحية النفسية للكثير من العقبات، ان تحول سنكر الى سنجر فلا مشكلة. كان كل طالبين يجلسون الى طاولة واحدة في الصف، الطالب الجالس بجاني كان مثلي ممتلئ الجسد، ولأن قاماتنا كانتا طويلتان ، وضعنا الأستاذ في المقاعد الأخيرة من الصف، كان اسم ذلك الطالب (خميس)، كان يعلم أن سبب صمتي هو لقلّة حيلتي، فكان يحاول ان يهدأ من روعي ويقول لي:

- ما الذي يقلقك، أحس أنك غير مرتاح، إن كان بسبب إسمك فليكن (سنجر) عوضاً عن (سنكر) فلا يغير ذلك من الموضوع شيئاً، قد لا نستطيع لفظ (سنكر) بالشكل المطلوب، لكن لاتدع هذا الموضوع يسبب لك الازعاج والقلق.

اجبته كالعادة بهدوء:

- بالنسبة لي (سنكر) و (سنجر) نفس الشيء، لكني أستاء من التنايز بالإسماء بهذا الشكل.

خميس من قبيلة (الشمير)، تصرفاته وخصاله كلّها تدل على أنه من البدو، صوته عالٍ ويتلعثم بسرعة في حديثه... اجابني:

- ماذا تقول؟... انا صديقك وهم يستهزئون بك...

ضرب بيده على صدره عدة مرات قائلاً:

- أنا أخوك، من المحال ان يستهزئ بك أحد، انا أخوك.

كنت أود أن يكون الحديث بيننا لا يسمعه غيرنا، لكنه عن قصد كان يرفع صوته قائلاً:

- مَنْ يستهزئ بك سأفعل به كذا وكذا...

كنت أمسك يده وأقول له:

- اهدأ... فأنا أعلم ان كلمة (سنكر) ليست عصيّة على اللفظ. إذاً، كيف يستطيعون ان يلفظوا كلمات: طلا، طيمر... حتى كلمة طواد. لماذا يتوقفون على كلمة سنكر؟ عندنا كلمة الخميس تعني (ثينج شة ممة) نسبة لأحد أيام الأسبوع وقد يكون في اللغة العربية لها معنى آخر.

سحبني من يدي قائلاً:

- أتركنا من هذا الكلام الآن.

حسب الجدول الدراسي في المدرسة، كنت بدراستي في الموصل متقدماً على جدول مدرستي الجديدة لفترة شهر تقريباً، وهذه بالنسبة لي فرصة لمراجعة دروسي مرّة أخرى. الفرع الأدبي منفصلٌ عن الفرع العلمي، وكل فرع مُخصَّصٌ له قاعتان في المدرسة (أ و ب)، وأنا بدوري في الفرع العلمي في القاعة (ب). كنا في خضم الدراسة، أنا وخميس ندرس سوياً ونذهب الى حديقة عائدة لأحد أقربائه، والحديقة تلك تحتوي على العشرات من أشجار النخيل التي يروونها بواسطة مياه بئر موجود في

الحديقة. وأحد أقرباء (خميس) يأتي الى هناك أيضاً وما هي إلا فترة وجيزة حتى يبدأ القفز من شجرة لأخرى، يمسك رفشاً بيديه وكالعالم بالسقاية يحفر حول الأشجار، أما نحن مشغولون بمراجعة دروسنا، فجأة سمعنا صوت صراخه، ركضنا مسرعين إليه، وجدناه يصيح:

- هناك أفعى على تلك النخلة، ضربتها بالرفش وقطعت رأسها و وقع رأسها على الأرض، وودت ان آتي بجسمها كاملاً أليكم كي أخيفكم بها. نسيت ان رأسها في الأسفل على الأرض، عندما هممت بالوقوف كنت قريباً من الرأس المقطوع وقامت بلدغي من رجلي..

عندما رأيت الأفعى، وجدتها كبيرة لحد ما، أخذناه بعدها مباشرة إلى المشفى. كان وضعه الصحي يسوء يوماً بعد يوم، لكن بعد فترة طويلة من العلاج والتطبيب، قاموا ببتير ساقه التي لدغتها الأفعى من منتصفها.

مساءً حين قدم والدي الى البيت، بدت علامات القلق على محياه. أحست والدتي بشيء ما، فبادرته بالسؤال:

- أهنالك خطب ما؟

- نعم.

- خير، ماذا جرى؟

- لا أعلم، لكنني لا أعتقد ان مديرية الأمن حين ترسل في طلبي ان يكون من وراءه خير... أرسلوا في طلبي وموعدي غداً الساعة التاسعة صباحاً.

- حتى في هذه الغربة وهذا المكان البعيد لا يتركوننا وشأننا.. ماذا يريدون منا؟!

من جهتي، كنت أفكر ب(هيمن) وعلاقتي به، قد يكونون يريدون والدي في مديرية الأمن لذلك السبب، وإلا فلماذا يطلبون والدي وهو الغريب والقادم الجديد الى هذه البلدة؟ من جهة أخرى كنت اطمئن نفسي بأن الأمن العراقي ليس بتلك السوية حتى يتابعوا اخباري وأخبار والدي. فإن كانوا يريدوننا بالفعل لكانوا داهموا منزلنا واقتادونا فوراً الى السجن. قضينا ليلتنا في قلق وخوف من ذلك الموضوع... حتى والدي لم تكن لديه رغبة في تناول وجبة الافطار الصباحية، كان ينظر الى ساعته بشكل متواصل. قلت لوالدي:

- لا تقلق يا أبي، لا أعتقد ان هناك شرٌّ من وراء استدعائهم لك.

فيما والدي مشغولٌ بتعليق المرأة ليضعها على الحائط ، لكنها لم تكن تثبت في مكانها. صرخ بشكل مفاجئ:

- لا أعلم لم لا تثبت هذه المرأة اللعينة؟

بعدها نظر إلي وقال:

- لم أنتبه إليك، ماذا قلت؟

- قلت بأني لا أعتقد انهم يريدون شراً من وراء استدعائهم لك.

- لماذا، هل انت ولي حتى تعلم ذلك، أيرسلون في طلبي حتى يوزعوا خير وبركات

مؤسسة الأمن؟

- أبي، فكر في المسألة، هم زبانية الشر والجحيم، ان كانوا يريدونك بشر، فانهم

سيأخذونك هذه الليلة ولن ينتظروا الى الساعة التاسعة من اليوم التالي.

جلس والدي بهدوء وقال:

- كلامك منطقي وصحيح، فلا خير يرتجى من وراء هؤلاء، ونحن محقّون في

خوفنا أيضاً، فهم أشرار وبإمكانهم فعل أي شيء.

كان وجه والدي مصفراً، وهي تحاول ان تُخفي قلقها لكنها تفشل. ودعنا والدي

وخرج من المنزل. بقينا أنا ووالدي، والدموع تتناثر من على وجنتيها، وهي تتمتم:

- يا الله، ماذا نفعل؟ إلى أين نذهب، في هذه الغربة نستنجد بمن؟

- أمي، أهدأي، الموضوع ليس كما تتصورين... قالت بعبرات متكسرة:

- كيفما كان، فهو ليس بأمر جيد، هؤلاء لا يعرفون غير لغة القتل والاعتقال،

قتلوا اخي الجميل بدم بارد؟

- امي، ليكن إيمانك بالله قوياً.

قالت لي والدموع ملء عينيها:

- ماذا تقصد، معنى كلامك أنه ليس لدي إيمان؟

- المسألة لا تحل بالبكاء، ما كتبه الله لنا سيكون ، ونحن بأمره.

- ولماذا الله يقرر دائماً ان تحل علينا الكوارث؟

- أماه، أية كوارث، لم يحدث شيء إلى الآن.

- بجاه النبي والكاك أحمد الشيخ ان يتم خلاصنا من هذه المصيبة.

كانت والدي مصرة على رأيها، وهي محقة في رأيها ذلك، لأن هؤلاء لا خير فيهم.

سمعنا صوت طرق على الباب، ما أثار فزعنا، نظرنا بتوجس إلى بعضنا البعض، فالطارق ليس بوالدي، لأن معه مفاتيح البيت، تمتمت والديتي: اللهم اجعله خيراً.

ذهبت وفتحت الباب، كانت جارتنا تحمل قيصرة مليئة باللحم وقالت لي:
- عملنا مولداً وهذه حصتكم منه.

بقينا أنا ووالديتي، تأخذنا الهواجس والتكهنات الى بعيد..فُتِح باب الحوش وأطل والدي من خلف الباب. توثبت والديتي من مكانها تسأله: ها... قُل، ماذا جرى معك؟

أمسك والدي بيديها ويهدوء قال لها:

- لا تقلقوا، عساه خيراً. انا عطش، ا جلبوا لي قليلاً من الماء.

لم تصبر والديتي وقالت بصوت عال:

- هيا، قل لنا ماذا جرى يا رجل؟

- يا فتاة، إهدأي، لم يكن الموضوع كما توقعناه، الرجل كان لديه أمرٌ خاص

معي.

حين قال والدي ذلك، أخذتني الأفكار الى ما وراء هذه الكلمات، فهؤلاء حين يكون لهم عمل ما مع أحدهم، يكون ذلك العمل إما الجاسوسية لصالحهم أو التعاون معهم.

- رجل الأمن ذاك، لديه ابن بعمرِك، وهو مثلك طالب بكالوريا، وطلب مني تدريسه مادة الفيزياء ووعدني ان نجح ابنه بتفوق في هذه المادة فإنه سيعيدني إلى الموصل.

- وهل صدقت كلامه؟

- الرجل وعدني وهو ممسكٌ شاربه .

توقفت والديتي لبرهة، ثم قالت بهدوء:

- وللقطط شوارب أيضاً.

انزعج والدي من كلامها وقال بغضب: أنه عربي يا فتاة، والعربي حين يَعد ويضع يده على شاربه فإنه يوفي بوعده. كان يستطيع إرغامي على تدريسي ابنه رغماً عني وبدون أن يعدني بشيء، ألم يكن يستطيع فعل ذلك؟

- أجل، كان يستطيع وأكثر من ذلك أيضاً.

وقفت والدي وقالت بصوت خافت:

- علينا إقامة مولد بهذه المناسبة.

خرج والدي ذاهباً الى المدرسة، وتبين لي لاحقاً بأن والديّ لديهم القدرة على التحمل والبقاء في هذه المدينة، وان سنحت الفرصة وعدنا الى الموصل فإن الوضع سيكون على ما يرام، اتمنى من الله ان يحصل ابن رجل الأمن على علامة جيدة، فقد اقسم بشاربه وهذا بحد ذاته يخلق أملاً لدينا بأننا سننجو من الوضع الذي نحن فيه. وتبين لنا أيضاً بأن رجل الامن ذاك، لم يكن تعيينه في هذه المدينة بمحض الصدفة، بالعكس، فهو لديه وساطة مهمة جداً عينته في هذه المدينة الحدودية المهمة، وتبين أن مدينة الزبير مهمة في جغرافيتها أكثر من مدينة البصرة، حيث كانت تتم فيها عمليات تهريب البضائع والأغذية منها مروراً بالبصرة ومنها الى السعودية والكويت، لذلك فإن وقي هذا الرجل بوعده فإن عودة والدي الى الموصل ستكون مضمونة، إلا ان كان ابنه كسولاً ومغفلاً. كان والدي يقول: أحاول بكل جهدي، ومتفائلٌ أنه سينجح...

وهكذا كنا كعامة الكُرد لا سند لنا في هذه الأيام العصبية.

أتى خميس وقال لي بهدوء:

- هل تريد كسب بعض النقود؟

كنتُ محرجاً من كلامه وقلت له بقلق:

- أخي خميس، صحيح أننا لسنا بأغنياء، لكننا لسنا بحاجة الى مساعدة.

- أخي، أنت فهمتني بشكل خاطئ، فأنا لن أعطيك النقود بدون مقابل ولن

أساعدك.. لكن الأمر ان هناك عمل أنت تستطيع القيام به ونحن أصدقاء وقلت في

نفسي لعلك تستفيد منه، وإلا فإن هناك الكثير من بإمكانهم القيام بذلك العمل.

- أي عمل؟

- عتال لتحميل البضاعة على الشاحنات ليلاً.

- ولماذا ليلاً؟

- لأن البضاعة تهريب.

- خميس... لا أستطيع القيام بهذا العمل، فأنت تعلم بأننا مُبعدون، وإن امسكوا بنا ونحن نرتكب أيّ خطأ، فإننا لن ننجو أبداً منهم.

- يا أخي لماذا تفسرها بهذا الشكل؟ ليكن بعلمك بأن الدولة والجمارك والأمن على علم بذلك التهريب والمهربين أيضاً. يعلمون كم قنينة ويسكي يتم تهريبها من الزبير الى السعودية والكويت وهم يقبضون عمولتهم على هذا التهريب... هذه العملية مكشوفة وغير سرية... والكل يعلم ذلك فهو امر مسلمٌ به.

- إذاً، ماذا تقترح علي فعله؟

- أخي، انصت إلي، هناك أحد المهربين يقوم بتهريب أنواع من المشروبات الكحولية والدخان الأجنبي الى تلك الدولتين، ومن هناك يجلب الأدوات الكهربائية وبعض البضائع الأخرى الى هنا.. نقوم معاً بتنزيل تلك البضاعة من الشاحنات ووضعها في الجرارات.

- ولماذا الجرار وليس الشاحنة..؟

- الحكمة هنا... المفاوز الحدودية محسوبون على الطرف الآخر، والمهربون يضعون بضاعتهم في الجرارات ويتركونها تعمل بمفردها وتمشي بدون سائق.

- أفهمني اكثر، كيف تسير الجرارة بدون سائق.

- الموضوع بسيط جداً... المنطقة الحدودية سهلية وغير متعرجة، يثبتون مقود الجرار ويقفلونه وبعدها يضعون المحرك على السرعة القصوى ويتركونه يمشي بالبضاعة بدون سائق، حيث يستلمونه من الطرف الآخر، وبالعكس.

- ألن أتعرض للمسائلة والملاحقة من جرّاء ذلك؟

- أخي، أنا وأنت عمال، وما تقوله سنتركه على أخي (شلال)، فلا خوف من هذا العمل.

وضع يده على صدره وقال: أنا أخوك... لا تخف، أنا أخوك...ها؟

- جيد، متى نبدأ العمل؟

- غداً، كما تعلم أن بيت أخي شلال في الطرف الآخر من المدينة، سأتي إليك

لنذهب سوياً حينها.

كسبت في تلك الليلة عشرة دنانير.. اعطيها لوالدتي في الصباح. استغربت والدتي من هذه الدنانير ومن أين جلبتها وبدأت بالسؤال والاستفسار. لم أكن أود

القول لها، لكن في فترة المساء فتح والدي موضوع العشرة دنانير، وأنا قلت له كل شيء. انزعج والدي وأخذ وعداً مني بأن لا أقوم بهذا العمل ثانيةً، وكانت بالفعل المرة الأخيرة لي في ذلك العمل.

- يقولون بأن الايرانيين استولوا على مدينة (الفاو) البارحة...
- كم تبعد الفاو عن هنا؟.
 - حوالي مائة وعشرين كيلومتراً.
 - يعني قد يدمرون هذه الأطلال التي أتينا إليها أيضاً.
 - ولماذا يدمرونا نحن؟
 - وهل مائة وعشرون كيلومتراً كثيرة، سيصلونها في فترة ساعتين، أليس كذلك؟
 - كلا، لن يصلوا
 - نعم، بالقول والكلام سهل وصولهم، لكن عليهم المرور من البصرة حتى يصلوا إلى هنا، سيمرّون على بحر من الدماء.
 - الأمر ليس كذلك، يستطيعون المرور من تلك السهول والشعاب ويصلون الى هنا، فكما احتلوا الفاو سيستولون على هذه المدينة أيضاً.
 - يا امرأة، ماذا سيفعلون بمدينة كالزبير فهي لا تهمهم كثيراً؟
 - مدينة الفاو أصغر من الزبير.
 - مسألة الفاو مختلفة، تعتبر الفاو كمفتاح للعراق، واستيلاؤهم عليها سيكون بمثابة دخولهم من البوابة الرئيسية.
 - لأول مرة أسمع والدي يقول لوالدتي (يا امرأة)، فلم أتمالك نفسي وسألته:
- هناك شيء ما حدث يا أبي، ماهو.. لا أعلم!
 - يا بني، استولوا على الفاو ، هل عرفت الآن؟
 - بعيداً عن موضوع الفاو يا أبي، استولوا ام لا، لا يهمني. أنا لاحظت ان والدتي تحولت من (فتاة) إلى (امرأة) وهذا أهم من موضوع استيلائهم على الفاو.
 - أيها الشقي، هل هذا وقت مزحك واستهتارك؟! هل تعلم ماذا يعني الاستيلاء على الفاو؟
 - يا أبي، اتركنا من هذه المثاليات على أننا عراقيون! هذه السلطة لا تعدنا من مواطني الدرجة السادسة حتى.. لذلك، لماذا انزعج إن ذهبنا الى الفاو؟
 - لا يا بني، كيفما كان فهذا وطننا والوضع لن يظل على ما هو عليه.

- أبتي، حتى وان تغير الوضع، بالنسبة لنا نحن الكُرد لن تتغير نظرتهم إلينا ولن يحسبوننا من أبناء هذا الوطن، لذلك أقول علينا نحن الكُرد ان نهتم بأنفسنا فقط.

- بني، أترك هذا الكلام، كن على ثقة، حتى و إن قتلوا المئات منا مرة أخرى، فلا أحد سيأتي لنجدتنا وضع يدك على قبعتك كي لا تأخذها الريح...

- والريح هذه، ألم تطير قبعتنا سابقاً، أليس هو الاعصار الذي جَلَبك إلى آخر نقطة في العراق العظيم.

- أيها الشقي، كلامك هذا لا خير منه، ان بقيت على افكارك هذه فأنت أيضاً ستضع رأسك على المقصلة.

- إن لم أتكلم في البيت أيضاً سأنفجر.

التلفزيون يبث خبراً عسكرياً عن مقتل الآلاف.

كانت قد مرت فترة بدأت فيها حرب القصف على المدن، وبات الطرفان يقصفون البلدات السكنية، كل طرف يدمر المدن أكثر فأكثر، كل يوم تجد مئات السيارات وهي تحمل النعوش، البارحة أتوا بجثتين الى الزبير... إحداها كانت جثة أخ جارتنا أتى بها سائق تكسي. الأجهزة الأمنية لم تكن تُسلم الجثث إلى ذويهم إلا بصعوبة بالغة، وان سلمتهم فإنهم كانوا يضرّبون ذوي الجثث، القتل كانوا يأخذونهم الى الجوامع، كانت لغة القتل والضرب تطغى على كل شيء. بالنسبة للكُرد كان الجنود الفارون يلتحقون بالبيشمركة أو بالجحوش، كانوا يهربون من جحيم جهات القتال ويُنقذون انفسهم. الأسبوع السابق أعدموا صديقنا (هيمن) في سجن الموصل، وتحت كل ذلك التعذيب الهمجي لم يذكر إسمي، إعدام هيمن جعلني أحقد أكثر فأكثر على السلطة الحاكمة، وبعثر الخوف في داخلي. كانت والدتي همها الوحيد هي دراستي، حيث امتحانات البكالوريا على الأبواب، كذلك كانت في هم صغير، رجل الأمن ذاك وكل أسبوع تُمسك بتلايب والدي وتقول:

- كيف هو وضع ذلك الصبي، هل سينجح أم لا؟

- صراحة، انا مطمئن من نجاحه، وخاصة في مادة الفيزياء، حتى اني أدرسه المواد الأخرى أيضاً حتى ينجح فيها، ووالده يشكرني دائماً ويذكرني بوعده لي. البارحة جلب لي بعض النقود لكنني رفضت وقلت له: " مكافأتي ونقودي هي نجاح ابنك

أحمد". ماذا نفعل، ما باليد حيلة، كما يقال ان طالت اللحية ماعليك الا ان تحمل مشطاً معك...

- بقي شهران لامتحانات البكالوريا، بقي القليل...

- لا تتعبي نفسك كثيراً، لسنا لوحدنا نعيش حالةً مأساوية في هذا البلد، احمددي ربك اننا بخير وسلامة، انظري الى (لوسي) جارتنا كم هي حزينة على أخيها، والألاف على نفس الطريق، هذه النار لا تُخمد... أليس كذلك؟

- بلى، ستُخمد وأكثر أيضاً...!

رمقتني والدتي و بغضب قالت لي:

- أيها الشقي مالك تحشر انفك أنت؟

- لا أحشر نفسي، لكن هذا القتل لابد له ان ينتهي، فهو لايدوم الى الابد؟

ضرب والدي يديه بعضهما ببعض وتوجه بحديثه الى والدتي قائلاً:

- رأيت، هذا الشقي سيخرب بيته، قُل لي أيها الجرو، ما لك ولهذا الكلام؟ وهل

لوحدك تعرف هذا الامر؟ أنظر إلي، أنت معتوه، هل تعلم أين تقع الزبير في العراق؟

بقي القليل حتى ننحدر ونسقط في مياه الخليج..؟ ألا ترى إلى أين أبعدوني؟

- هو كلام يُقال، إن لم أقله سيقوله الناس.

- أيها المعتوه، الألاف تم إبادتهم من اجل هكذا كلام... ألا تشفق على نفسك!

اجبني، فكر فيّ وفي والدتك، لماذا أعدموا خالك؟ هيا اجبني... هل كان قاتلاً، كان في

خلايا الدعارة؟ فقط قال ان صدام تزوج من امرأة أخرى... منذ سنتين وهو مقبور

تحت الأرض... قال ان الناس ستقول هذا الكلام... أنا وأنت في غربتنا محسوب علينا

أمور كثيرة، أليس كذلك يا امرأة؟

كان كلام والدي صحيحاً، فكلامي لا يغير من الموضوع شيئاً، لكنه يزيد من

ضربات قلبي والدي... احنيت رأسي أمام كلماتهما ، احسست بأنانية و نرجسية ظالمة

وقررت ألا أعبّر عن ما يجول بخاطري أمام والدي بأي شكل من الأشكال وان لا

أزعجهم بكلامي مرة أخرى.

في الحي الذي نساكن فيه، هناك فتاة ذات عيون خاملة، كلما أمر من أمام

بايهم في طريق الذهاب الى المدرسة، كانت ترمقني بعيون يقدر منها الشرر، كنت

اخاف من النظر إليها. كان الظاهر انها لا تذهب الى المدرسة، لأنها كانت في المنزل

دائماً، أحياناً كانت تلبس عباءة سوداء، بدون أن تضع يديها أمام وجهها، تترك الريح تلعب بعباءتها، تمر من أمام بابنا متوجهة الى الدكان في رأس الشارع. لا أدري كيف عرفت أنني متوجه أيضاً الى الدكان نفسه، كجنية رأيتها أمامي... كان أبو علي صاحب الدكان يعرف إسمها وأسمعه يقول لها: "ها (خيمة) ماذا تريدن أيضاً؟"
عندما كانت تأتي الى الدكان، كنت أعمل جهدي كي اخرج بسرعة. في إحدى المرّات لحقتني ورجتني بعد ان ذكرت إسمي بقولها.

- سنكر، على أي شيء تكابر هكذا؟

انتابني الدهشة من كلامها وتوقفت في مكاني، لم أستطع الإجابة على سؤالها. لم تنتظر جوابي وبادرت بالقول:

- سمعت عن الكُرد أنهم أشدء ولا يخافون، لكنك جبان ومعتوه للغاية، ألا

تقل لي مم تخاف؟

قلت بتردد:

- ليس هناك أي خوف...

كنت أكذب، لأنني كنت أخاف، أن يُذكر إسمي على الألسنة وأثير المشاكل لي ولعائلي.. كنت محقاً في مخاوفي. مثل هذه الافعال في المجتمع العربي وخاصة هنا في الجنوب غالباً ما يكون ضربيتها الدم والقتل...

- إن لم تكن خائفاً هذا يعني بأنني لا أُعجبك..؟

- كلا، انتِ جميلة ومرحة أيضاً.

- ألم تشعر بأنني منذ فترة اراقبك، أنا لن أتحمّل اهمالك هذا من الآن فصاعداً...

- يعني أنكِ ستهجمين علي؟

- يا أهبل، أنا أحبك، يجب أن نلتقي..!

قلت في نفسي (يا إلهي... هذه تريد الاختلاء بي)

- ألسنا نرى بعضنا الآن وها نحن إلتقيننا.

- أيها الأهبل، لا تقل لي كلامك المعسول هذا.. هكذا لقاءات هي للاطفال، تعال

هذه الليلة الساعة الواحدة الى الحوش الذي فيه بئر الماء. يجب أن تأتي...ها؟

غادرت فوراً بعد انهاءها لكلامها وتركتني في ترددي وغفلي تلك، بئر الماء في أسفل الشارع، وكان البئر يعمل يومياً لمدة ثلاث ساعات حيث يغذي خزانات الحارة بالماء وبعد عمله ذلك، لم يكن احد يقترب منه... أذهب... أم لا... كان خوفي في محله إلى حد ما، انا الغريب في هذه المدينة، لا سند لي ولا أحد، إن وقعت في مشكلة فلن يسمع أحد صراخي، حتى وان سمعوا فلن يأتي أحد لنجدي. من جهة أخرى، انتابني الرغبة في الذهاب، عدا والدتي فأنا لم أختلط مع الإناث، كان كلامها يتردد في مخيلتي (عليك أن تأتي، هل فهمت...ها) ذهبت بي مخيلتي الى فضاءات أخرى، تُرى ما الذي ستقوله لي خيمة؟ وكيف يكون جوابي لها؟ ولماذا في ذلك الظلام والساعة الواحدة ليلاً؟ فنحن نستطيع التحدث إلى بعض في النهار أيضاً... وإن حدثت ولامست يدها؟ لا أعتقد... هو اللقاء الأول ولا يعقل ان يحدث ذلك... أيها المعتوه، أبعده هذه الأفكار من بالك... ما دخلك بكل ذلك، فهم سيمحونك ووالدك من اجل موقف واحد ، فتاة جامحة قالت كلمة لك... الظاهر انها تبحث عن المشاكل والنتيجة ستكون كارثية.

وضع سنكر رأسه على الطاولة في الصف وهدأ قليلاً، نظر إليه خميس وضربه ضربة خفيفة على خاصرته وقال له بهدوء:

- ما خطبك، أنت لست معنا؟

- لا شيء، أنا مريض قليلاً.

تمعن خميس في وجهي وقال فجأة:

- وتكذب أيضاً، قل لي ماذا جرى؟ عسى خيراً؟

كنت متردداً أن أقول له أم لا... بالمحصلة قلت له كل شيء.

قال بغضب:

- وهل خيمة تقول الحقيقة؟ أشهد أنها محقة في انك معتوه... أليس كذلك؟

- يا صديقي، أخاف من النتيجة.

- يا معتوه، عن أي نتيجة نتحدث، رزقة وبعثها الله لك، لا تتردد واذهب، لن

يحدث أي شيء.

- اخافني بطريقة كلامها.

- لا داعي للخوف، أختها الكبرى ذهبت مع ضابط من بغداد، وأمها سمعتها ليست على ما يرام، ووالدها منذ سنين طريح الفراش، لا تتردد واذهب الى موعدك معها، إن لم تذهب دعني أنا أذهب عنك.

- أيها المعتوه، لم أقل بأنني لن أذهب، أنا خوفي من المسائل العشائرية ان حدثت، عليّ أن اكون بعيداً عن المشاكل.

- لا تُصعب الأمور، لن يحدث ما تتوهمه، إذهب وجدد الأخوة العربية الكردية، فأنا واثق ان اخذوك الى بيتهم في يوم من الأيام فإنك ستذهب بكل تأكيد.
- سأذهب، سأذهب.

خيّم المساء، تردددي يثير فيّ القلق، شغلت نفسي بالوقوف أمام المرأة وبدأت بحلاقة ذقني واغتسلت ، وكنت أذرع الحوش ذهاباً وإياباً، أُشغل نفسي كي يمضي الوقت. قالت والدتي بدون أن تنظر إلي:

- ما بالك بني؟ أراك مشوّشاً، هل أنت قلق على دروسك؟
- اخاف ألاّ احصل على علامات جيدة.

- بني، أبعد هذه الأوهام عن ذهنك، ستحصل على علامات جيدة وأكثر ايضاً.
كانت المرة الأولى التي أكذب فيها على والدتي، تصبب مني العرق خجلاً، كان عليّ أن أكذب عليها، بدأت أعد الثواني والدقائق والساعات، لم الساعات طويلة إلى هذا الحد؟ كيف تمر الستون دقيقة؟ توجست من أمر آخر، فاليوم سيبث الفيلم السينمائي الذي تتابعه والدتي على التلفاز، الفيلم سيبث الساعة العاشرة مساءً. أما والدي ومنذ مدة طويلة كان قد تعوّد على النوم باكراً. فكرت في الأفلام السينمائية والعلاقة بين الذكر والأنثى فيها، كيف يتعاملون مع بعضهم؟ كلما أتمعن في التركيز على هذا الموضوع كانت نسبة الادرينالين ترتفع لدي. فجأة صرخت: (أيها المعتوه، هي مجرد فتاة وستراها، لن يأخذك أحد إلى حبل المشنقة، هي فتاة...)

مع صرختي دخلت والدتي الغرفة متسائلة:

- ماذا جرى يا بني، كأنني سمعت صراخك؟

لا شيء يا أماه، هي كلمة قلتها بصوت عالٍ حتى لا أنساها.

- أنا سأنام، هل تحتاج لشيء؟

- كلا يا أماه، ألا تشاهدين الفيلم اليوم؟

- لا طاقة لي بمشاهدة التلفاز اليوم.

وفي تلك الليلة أيضاً كذبت على والدي. قد تكون العلاقة بين الذكر والأنثى في مجتمعنا مبنية على الكذب، وان لم تكذب عليها فإنك ستواجه مشاكل لا تُحمد عقباها. لا أدري ان كانت العلاقة في الدول الأخرى أيضاً مبنية على الكذب؟ أردت إشغال نفسي بدروسي، لكنني لم أستطع التركيز جيداً... خرجت من غرفتي في وقت متأخر، كنت أسمع شخير والدي. فتحت باب الحوش وألقيت نظرة نحو الخارج، كان القمر مضيئاً. نظرت عدة مرات إلى ساعتني، كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة . بئر الماء لم يكن بعيداً كثيراً عن منزلنا، رأيت انه من الأفضل الذهاب قبل الموعد واستطلع المكان جيداً. عدت إلى البيت كي أطمئن نفسي أكثر، كان الشخير مستمراً، وكنت أميز شخير والدي عن شخير والدي.

خرجت من المنزل، كنت أسمع نهيق حمار من بعيد. وصلت الى فناء البئر وجلست في زاوية هناك أنظر إلى الشارع، لم يمر وقت طويل حتى ظهر خيالها، كانت تتقدم مسرعة صوب البئر، عندما وصلت الى المكان خرجت لها من مخبأني، أزاحت العباءة السوداء عن وجهها وقالت بخجل:

- خفت ألا تأتي.

- وكيف لا أت؟

- كنت سأتي إليك وأبهلك...

- ماذا كنت ستفعلين؟

- أتركنا من هذا الحديث الآن. كن على ثقة بأني منذ اليوم الأول الذي رأيتك فيه، لم تفارق صورتك مخيلتي، وأنت بلا مبالاة كنت تغيظني كثيراً.

فجأة، نزعت ملابسها الخارجية والداخلية، حتى حمالة الصدر وسروالها الداخلي. وقفت عارية أمامي ووضعت يديها على خاصرتها وقالت:

- ما رأيك؟

لم أستطع الرد.. كنت مندهشاً من (خيمة) وجسدها المائل أمامي كتمثال. تلك النقطة السوداء بين ساقها، نهذاها المكوران، ردفاها الممتلئين... اقتربت أكثر حتى أنني احسست بأنفاسها، سحبتني بقوة إلى حضنها ووضعت رأسها على صدري، شعرت باللذة، لكنني لم أعرف كيفية التصرف. ابتعدت مسافة خطوة مني وبدأت

ترمقني بنظراتها، وبدأت بفك أزرار قميصي وبحركة سريعة فتحت نطاق بنطالي، و ادخلت يديها بين فخذيّ... لم تتوقف خيمة، بدأت تقبلني من فمي وبيديها تخلع عني ملابسي، أحسست برجفة تسري في عروقي وجلست. جلست (خيمة) في حضني واختلطت أنفاسنا، كنت أحس ببروز نهديها، وأنا الغرّ، لا أفقه أي شيء عن أسرار الجسد الأنثوي، هي كانت تشجعني كطفل صغير يتعلم قطع الشارع لأول مرة، كانت تساعدني وتضع كل خزائنها وأسرارها بين يدي وبصوت مبحوح تقول:

- إفعل ما شئت بي، إلا عذريتي.

بقينا ساعتين على تلك الحالة، مارسنا أربع مرات، نظرت (خيمة) الى ساعتها

وقالت:

- يكفيننا اليوم، أنا سأذهب أولاً ومن ثم اذهب أنت.

وبالفعل قمنا بذلك. لأول مرة أرى جسداً عارياً لأثني، وبعدها ان رأيت مئات الأجساد العارية، فإنك لن تنسى الرؤية الأولى لذلك الجسد إلى الأبد... في الصباح، صحوت باكراً كفتاة اكتملت عذريتها، وأصبح لي أسرار وأفكار جديدة.

لم يتوقف خميس عن توبيخي، لكنني حلفت له بأني لم ألمسها قط، و أننا فقط

كنا نتكلم مع بعضنا البعض.

- هل تريد أن أصدقك؟

- ومتى كذبت عليك؟.

- تبال لك، ألا تنظر إلى قامتك وجسدك، انت بطول مترين...

- جيد، هي ليست ساحة معركة.

- نعم، صحيح، والمسألة ليست لها علاقة بضخامة الجسد أيضاً. وكما يُقال:

يعطي اللحم للذي بلا أسنان.. لو كنت مكانك لجعلتها كالشمع بين يدي.

- ماذا كنت ستفعل.

- أيها المعتوه، صيد واتي بنفسه بين يديك وانت تقرأ لها ملحمة قيس وليلى.

- وماذا أفعل مع فتاة في مثل سنها...؟

- ألم تسمع عن مدينة الزبير وبما هي معروفة؟

- بلى، سمعت أنهم جميعاً من أهل....

- أيها المعتوه، كان عليك ان تُبادر بدون خوف أو وجل...

- يعني تريد ان تؤكد لي بأني عديم الخبرة وجاهل.
- ضرب خميس بيده على كتفي قائلاً:
- أشهد بأنك كاكأ أنتيكة وفاشل...

انتهت امتحانات البكالوريا، واطمأن والدي بنجاح أحمد، صغير رجل الأمن ذلك، ذلك الاطمئنان ألقى بظلاله علينا ووضع آمالنا الواسعة على شارب رجل الأمن. لكن إذا حلق شاربه ماذا نفعل حينها؟ حينها تصبح آمالنا كفقاعات الصابون وتتناثر مع الريح وسنبقى مستمرين في غربتنا وقد نتأقلم مع الوقت. كنت واثقاً من أن والدي لا تهمة كثيراً مسألة إبعاده الى هذه المدينة، لكنه كان يساير والدتي ويعبر عن امتعاضه أمامها. في إحدى المرات قلت له بما ساورني في هذا المجال، تنفس الصعداء ونظف نظارته بطرف بيجامته وهز رأسه قائلاً:

- بُني، الوضع متأزم، في كردستان والموصل الوضع صعب جداً، الكُرد هناك قلقون جداً ولا يعرفون متى وكيف يتعرضون للمساءلة، فيما يبصمون للبعث أو يبتعدون عن كل شيء في المدينة ويختارون العزلة. هذا الشيء لا تقدّره والدتك وهي محقة في تقديراتها. كيفما كان ومن أجلها، اتمنى أن يفي رجل الأمن بوعدده ولا يكذب علينا.

كانت والدتي تردد في اليوم الواحد لأكثر من مرة:

- حان وقت الشوارب.

يجيها والدي:

- كلا، بقي شهر حتى تصدر نتائج دراسة ابنه، حينها ننتظر الشوارب وشرف

الشوارب أيضاً...

- أي اننا سنظل لشهر آخر في هذه المدينة؟

- إلى أين سنذهب وإلى من، كيفما كان فهنا بيتنا..

تخيلت جسد (خيمة) الطري. شهر آخر، كنت أراها بين الحين والآخر، وأخاف الاقتراب منها. رأيتها البارحة، اقتربت مني وأعطتني قصاصة ورق ملفوفة.. كانت مكتوب على الورقة " بعد غد ستسافر والدتي إلى البصرة بغرض زيارة أخواتها هناك، الساعة الحادية عشرة ليلاً سأكون بانتظارك في البيت، سأترك باب الحوش مفتوحاً". كنت أعلم أن والدها طريح الفراش ولا يقوى على المشي. خلقت قصاصتها

تلك حالة من الخوف لدي، خفت أن يحس بنا الجيران، سيروني وأنا ذاهب الى بيتهم، ولماذا سيرونك، أيها المعتوه. ألسنت معتوهاً؟

لم أكن أميز بين العشق والحب والشهوة.. شهوة جسد (خيمة) الطري الذي كنت أجد نفسي بين ثناياه كخييط رفيع تعصره بين كفيها وتوصلني إلى حافة الجنون، كانت تضميني وتلفني ككتلة من نار بجسدها، تعصر أضلاعي عصاراً. لم أستطع صدها وبقيت في تلك الليلة عندها حتى بزوغ الفجر.

(خيمة) كانت من النوع الذي حين تثار شهوتها تبدأ بالصراخ والعيول، في الليلة الثانية أحس والدها بصراخها وأهاتها وصاح عليها، لكنها اجابته بأنها رأت حلاماً مزعجاً لذلك صرخت.. كانت من المسلمّات لدي ان كل النساء عندما تُثار شهوتهن يصدرن هذه التأوهات، لكن ما أصابني بالدهشة أنني لم أسمع مثل هذه الأهات من والدتي أبداً.

سمعنا صوت انفجار قوي لصاروخ من بعيد، ما أحدث رجّة في حيطان المنزل، وفي الصباح بدأت أصوات الراديوهات والتلفزيونات تذيع خبر تحرير (الفاو)، لكن من كثرة تلك الأخبار غير الموثوقة، لم يكن يصدقها أغلب الناس وكنت من بينهم، فخير تحرير (الفاو) كان صحيحاً. بدوري، كنت محتلاً من جسد ملتهب بعنفوانه وتركت الخوف جانباً. حين أكون مع (خيمة) وفي فترة لقاءنا، لا نتحدث مع بعضنا كلمتين او جملتين على بعضهما، فقط الأيادي والأهات كانت تنطق بما نريد، كنت كعالم ببواطن الجسد الأنثوي أتصرف معها و(خيمة) تشجعني بقولها: (جيد، هات أكثر، آخ...).

لم نكن نتحدث عن العشق والوعود والمستقبل، لم نكن ننتظر أفول الليل، بالنسبة لكلينا كان بزوغ الفجر هو وهم، بكل الأوضاع نلتحم بجسدينا، فقط لم يكن الخليفة يذهب من الباب الخلفي إلى بغداد. كنت أود أن أعرف من أين اكتسبت هذه الخبرة...؟

سألتها في إحدى المرات واجابتي: (تعلمت من التلفزيون وبعض الكتب). عرفت أنني لم أقتنع بجوابها فقالت:

- أختي الكبرى، متزوجة حالياً من رجل متزوج من اثنتين في بغداد، قبل أن تتزوج منه، كانت تجلب الأفلام الإباحية وكنا نشاهدها. في إحدى المرات باغتتنا

والدتي ورأت الفيلم، جلست بجانبنا وبدأت تشاهد معنا باستغراب وأعجبها الفيلم أيضاً، وطوال فترة وجود أختي في البيت كنا في أغلب الليالي نتفرج على تلك الأفلام.

- ووالدتك أيضاً؟

- نعم، كنا سوية، فوالدتي تتعامل معنا كصديقة، وهي تعلم بأنني أراك وملتقي.

- ماذا تقولين... وما رأيها؟!

- دائماً تقول ان المهم ان يتفق الطرفان ويكونان متفاهمين، وان لم يتفقوا فلا

مشكلة ولن تنطبق السماء على الأرض.

- نعم، تظل السماء كما هي، لكن كلام الناس لا يرحم أيضاً.

قلت لها:

- كلما أت لرؤيتك ينتابني الذعر والخوف.

- أنت مخطئ، أغلب الناس بوجهين ويكذبون على أنفسهم.

وضعت يديها بين فخذيهما وقالت:

- هذا لا يعرف هذه الأمور، هذا الذي تراه، هل فهمت؟ أنا حرة في كل ما أفعله

طلما أنني لا ألحق الضرر بأحد، أنا أعيش لنفسي وليس لغيري، والعلاقة ان أصبحت

على كل لسان فإن الشاب والفتاة يكونان ضحية لأقاويل الناس، وإن بات الحديث

عنهم على لسان الناس فلا أحد يستطيع أن يخرجها من أفواههم مرة أخرى. وما

يفعلونه تحت تلك العباءات يعرفه الجميع.

رأيت من الأفضل أن أقطع الحديث في هذا الموضوع، أصابني الذهول من كلام

(خيمة) وكنت محقاً في ذلك، كل ما أعرفه أن كلام (خيمة) ووالدتها وأراءهما في هذا

الموضوع آراء إباحية وغير مقبولة، لكن تبين لي حالياً ان آراء (خيمة) وأختها الكبيرة

ووالدتها كانت بمثابة تمرد على النفاق والكذب والدجل، كانت آراءً صائبة، و إن كان

على حساب بعض العادات السائدة في المجتمع. كنت مندهشاً من هذه الفتاة التي

لم تفتح معي يوماً سيرة الغد أو المستقبل أو مستقبل هذه العلاقة معي.

كان التلفزيون العراقي يبث صورة صدام حسين في مدينة الفاو ومعها الضباط

الذين يلاحقون فلول الجنود الايرانيين الفارين من (الفاو) وكان يقول: (لاتركوهم،

إلحقوهم، عفارم عليكم أيها الأبطال). أصبحت الأراضي حول مدينة (الفاو)

كالغربال من كثرة سقوط القذائف والصواريخ عليها. وبنفس الوتيرة، كانت جثث

القتلى من الطرفين. كانت القوات الجوية العراقية لا تفارق سماء المنطقة، والأقمار الصناعية كانت تعمل لصالح القوات العراقية. بعد إخراج القوات الإيرانية من (الفاو) انكسرت عزيمة الجنود الإيرانيين، وانسحبوا من مناطق أخرى. ثمانية أعوام من القتل والدموع والمذابح، أوضاع الناس في كلا الدولتين قد تدهورت، وشبح الموت يخيم عليهم من كل إتجاه، في سبيل طيش نظامين لايهمهما قتل أبناء الناس الابرياء.

كنت مع (خميس) جالسين في مقهى (المروج) ونسمع أصوات لاعبي النرد في المقهى. قال خميس:

- هل رأيت الرئيس من على التلفزيون البارحة؟

- نعم، رأيت.

- لم أصدق حتى رأيت في مدينة (الفاو) كنت أتوقع أن تكون دعاية حربية،

وبالأخير كانت حقيقة إذ تم تحرير المدينة.

- تكون قد دارت معركة دموية هناك، أليس كذلك؟

- يقولون بأنهم قد باغتوا الإيرانيين، وهجموا عليهم بشكل مفاجئ، ابتعدنا عن

مناطق الحرب وهذا جيد لنا، حين استولوا على (الفاو) كنا نخاف ان يهاجمنا

الإيرانيون في أية لحظة.

- على أية حال، لقد فرّوا.

- نعم، لم تقل لي، كيف هي أوضاعك مع خيمة؟

- أراها أحياناً...

- هل ستبقى فاشلاً هكذا؟

- وهل أخفي خرطوم فيل بين فخذي حتى أطوّله لها؟

- نعم أيها الفاشل... ألم يقل لك والدك متى ستُصدر نتائج الامتحانات؟

- بلى، يقول بعد عشرين يوماً ستصدر النتائج.

- شيء جميل أن تنال النجاح بعد أربعين سنة أخرى... أعلم بأنني لن أنجح في

هذا العام.

- إن أردت ستنجح.

- اتركني من النجاح والرسوب الآن، هناك عشيرة أتت وخبّمت على أطراف
المدينة ويعقدون حلقات الدبك والرقص كل مساء... هل تأتي معي إلى هناك..؟
- كنت أود المجيء معك، لكنني لا أحب هذه الأمور.
- التسكع ليس إجباري، ألا ترى بأن فتاة قد تعلقت بك ولا تقوم بأي شيء معها
وحتى الآن لم ترطّب ما بين فخذيها.
نظرت الى الساعة... قال لي خميس:
- أنذهب؟
- ولم لا.
كان والداي في غمرة أحاديثهم ... قال والدي:
- جيد انك أتيت.
- خيراً يا أبي؟
- قررنا في حال أوفي رجل الأمن بوعده أم لا، فإننا سنعود إلى الموصل. فالحياة
هنا صعبة بدون راتب والأنكى من ذلك ان تدفع إيجار البيت. لوالدتك بيت في
السليمانية وأنا وأختي بقي لنا بيت من ورثة والدي في (أكرى) وأعطيناها بالايجار. لا
يجوز ان نكون مستأجرين ونحن بنفس الوقت نعطي بيتنا بالايجار، فرأينا أن نبيع
البيتين ونشتري بثمانهما بيتاً في الموصل. ما رأيك؟
كنت أعرف أن والدي مصرّة على العودة وأنها أتت الى مدينة (الزبير) من أجل
دراستي فقط، لذلك قلت:
- ما تقررونه أنتم أنا معكم وأوافق عليه، فلنعد... لن يموت أحد من الجوع ان
اشترينا بيتاً فسيكون أفضل لنا في كل الأحوال.

أشهد ان الدنيا ما تزال بخير، ولم أكن أتوقع ان رجل الأمن سيوفي بوعدده (تبين انه يحترم شاربه..)

- حظنا أننا ألتقيننا بشخص يحافظ على وعده ويفي به، إن أهمل وعده فماذا كنا سنفعل؟

- لا شيء..إبنه نجح في دراسته بتفوق، وأنا الغريب واللاجئ في هذه المدينة، لم أكن بقادر على فعل أي شيء.

- بالفعل، كان تعبك سيذهب هباءً.

- لقد لقيتُ بيتاً جميلاً مكوناً من غرفتين وممر، لم لا نذهب ونراه، قد يعجبك.

- إن كان كسابقه فلن أت، لدينا متسع من الوقت وقد دفعت آجار هذا البيت مقدماً لثلاثة أشهر، فلم نستعجل لشراء بيت؟

- الأمر ليس كذلك، البيت يقع في حي نظيف وراقي، ويقع بقرب السور الحجري في نينوى، وأنا على ثقة أن سعره سيرتفع في المستقبل، فلم نضيعه من يدنا، واعرف ان بيتاً كهذا لن يبق وسبباع في أقرب فرصة.

- كم غرفة هو؟

- كما قلت، غرفتان وممر، إن أعجبنا وكان سعره معقولاً سنعمر غرفة أخرى فيه، فالحوش فيه فسحة للبناء.

كنت صامتاً، وكان تردد والدتي بادياً على وجهها، لذلك قلت لهم: سأت معكم.

- أئن تعود إلى الكلية؟

- ذهبت اليوم وكان لدينا درس واحد فقط.

ضمن المدينة سمعنا أصوات الطلقات والصرخات، اعتقدنا انهم اتوا بجثة

قتيل من الحرب، قالت والدتي بحزن:

- يكون الله في عون والديه.

كان إطلاق النار مستمراً في كامل المدينة، حتى الطيور المحلقة في السماء كانت

تهرب ولا تعرف أين وجهتها... سمعنا صوت طرق على الباب، كان أحد جيراننا، يطرق

الباب ويصرخ:

- أبا سنكر... أبا سنكر.

كان صوته يرتفع مع أصوات الاطلاقات النارية والصرخات:

- أبا سنكر، أخرج من البيت، لقد انتهت الحرب.

توقفت الحرب... شغلوا التلفاز..

خرج إليه والدي، وأنا ادت مفتاح التلفاز، كانت فوضى عارمة... عاد أبي

فرحاً.. نظر إلي بدهشة وقال:

- ألسنت فرحاً لسماعك هذا النبأ؟!

- بلى، لكن هذا الرجل أخافني بصراخه، خفت أن يحدث لنا أكثر مما حدث

من قصف مدينة حلبجة بالغازات الكيميائية.

- أتركك من هذا الكلام، هيا نذهب الى سطح البيت.

- لنتنظر إلى ان تتوقف هذه الإطلاقات، وإلا فسنكون طعماً لرصاصة طائشة.

- أمي معها حق، ليتوقف الصوت حينها سنذهب.

لعلمكم، ان غالبية ضباط الجيش العراقي من أهالي هذه المنطقة وبالنسبة لهم

توقف الحرب هي بمثابة نجاة من الموت، لذلك ترونهم يطلقون العيارات النارية

فرحاً.

- أتمنى أن يحكموا العقل بعد هذه المرة وأن لا يدخلوا في حروب مرة ثانية.

- كما أعرف هذا الرجل، فان بقاءه في السلطة مرتبط بالحروب والويلات.

- بُني، أرجوك، لا تقل هذا الكلام، هل تعلم في أي زمن نعيش؟ هل تسترخص

روحك إلى هذا الحد يا بني؟

- ألا ترين يا امرأة، ابنك مستهتر بروحه ولا يهيمه ما سيجري له من وراء هذا

الكلام.

- بُني، والدك محق.. تعلم حتى وان كنت معنا ان تبتعد عن مثل هذا الكلام.

الكَرد يقولون: هناك فئران في الجدران، وللْفئران آذان. ألا تسأل نفسك عن ما جرى

لخالك، لمَ أعدموه؟! هل سرق خزينة الشاه، ام قتل أحدهم؟ فكر في هذا الأمر...!

- ومرة أخرى كنت السبب في حزنكم، ومرة أخرى تعيدون علي نفس الكلام.

- بُني، لا تقل مثل هذا الكلام مرة أخرى، في هذه المرحلة أرخص شيء في هذه

البلاد هي أرواح الكُرد... هم يريدون أي خبر أو ما شابه من أي كُردٍ حتى يقتلوه

ويعتقلوه. أرجوك بُي، ابتعد عن هذا الكلام... لنذهب الى رؤية البيت الذي سنشتريه.

- هل هو بعيد عن هنا؟

- علينا أن نستقل سيارة أجرة.

والدتي لم تكن تضع عباءة على رأسها، وخاصة في المناسبات. عندما كنت في المرحلة الابتدائية، كانت تزورني في المدرسة وأغلب زملائي في الصف كان يعيرونني بذلك، وكنت أضطر الى التعارك معهم، كنت أضغط على والدتي كي تأتي إلى المدرسة وهي مرتدية العباءة.. لكنها لم تكن تستجيب لطلبي. الطلاب يقولون عنها "الحاجة السافرة".

كنا نسمع أصوات أعيرة نارية من هنا وهناك، كانت السعادة بادية على وجوه الناس في المدينة، يعقدون حلقات الرقص في الشوارع، حتى سائق التاكسي الذي أقلنا يترك المقود ويصفق بيديه ويرقص، ووالدتي كالعادة ينتابها الرعب من جرّاء هكذا تصرفات. لم يمض وقت طويل حتى نهه والدي بالتوقف. مشينا قليلاً وتوقفنا امام باب. تغيرت سحنة والدي، بدا مصراً على شراء ذلك البيت، لكنه يود ان يكون برضى والدتي أيضاً.

كان البيت مؤلفاً من غرفتين وصالة وممر جميل، مساحته مائة وخمسون متراً وله حديقة أمامية ويقع تحت سور مدينة نينوى.

- جيد، غرفتان فقط لن تكفيانا، إن اشترينا البيت هل سيسمحون لنا ببناء غرفة أخرى؟

- ومن لا يسمح؟

- البلدية أو أية جهة أخرى... لا اعلم.

- هل أعجبك البيت؟

- إن سمحوا ببناء غرفة أخرى فيه، فهو جيد.

وضع والدي يده على صدره قائلاً:

- ان كنتِ مقتنعة وراضية بالبيت اتركي الباقي علي...

بدوت صامتاً استمع لحديثهم.. قالت والدتي.

- ما رأيك سنكر؟

- المهم أن تكونوا راضيين، انا كيفما كان سأقضي فيه سنواتي الدراسية الأربعة في الجامعة.

- إذا اتفقنا يا خانم... أليس كذلك؟

- ان اعجبكم، فأنا أيضاً راضية، عساه يكون فاتحة خير علينا.

انفرجت أسارير والدي وضرب يداً بيد قائلاً:

- بقي ان نتفق على السعر... لن ندع صاحب البيت يشعر أننا مصرّون على

شراء البيت وإلا فإنه سيرفع السعر، أليس كذلك؟

- ليفعل ما يحلو له، انا أعرف السعر مسبقاً وسنحاول ان نخفضه، الدلال

قال لي بأن صاحب البيت مُجبر على بيعه، وقد يسافر الى خارج البلاد.

والدتي هي صاحبة القرار الفصل. كل شروط شراء البيت جاهزة، مضى عليّ

شهر وأنا أداوم في كلية الآثار، ولا أدري لم اخترت ذلك القسم، وأصبحت أقيم

علاقات مع بعض الطلبة، وأغلب وقتي أقضيه مع (تحسين) الذي يُداوم معي في

نفس القسم. كنت اجلس في كافيتريا الجامعة وأحياناً أسترق النظر الى الفتيات،

لكن جمالهن لا يقارن بجمال (خيمة) وعيونها العسلية. تحسين طيب المعشر ومن

الكَرد الايزديين... انا وهو نقضي اغلب اوقاتنا معاً، تحدث لي كثيراً عن لالش وبدون

أن أزور تلك البقعة حفظت تفاصيل تلك المنطقة بطبيعتها وناسها وسحرها.

سألته يوماً:

- لم اخترت الدراسة في قسم الآثار.

كحكيم نظر إلي وقال:

- أود كتابة تاريخ وطني من جديد، أزيل منه التحريف وأضع الخارطة الحقيقية

لبلاد الكُرد أمام الملأ... وأنت، لم اخترت هذا القسم؟

- أنا، أُجبرت على التسجيل في هذا القسم، فكل أقسام الجامعة في هذه البلد

باتت مثل بعضها، فلا قيمة للمعرفة والدراسة في هذه البلاد. كلهم يركضون وراء

مصالحهم فقط.

الضوضاء والضجيج ارتفع في الجامعة مصدره تظاهرة طلابية لمناسبة وقف

الحرب والانتصار على ايران.. تتمم تحسين قائلاً: (من خوفهم، فهم مجبرون على

الخروج في التظاهرة..)

- لنذهب نحن أيضاً، الأمر يستدعي بعض التصفيق لا أكثر ولا أقل، وإلا فإنهم سيصفقون لقتلنا...!!

بعد الكثير من النقاش والأخذ والرد، اشترينا البيت الواقع تحت سور نينوى..
وبعد الكثير من المتاعب استطعنا بناء غرفةٍ أخرى فيه.. لم تكن البلدية لتوافق على
رخصة بناء الغرفة، ووالدي لم يترك باباً إلا وطرقه لأجل هذا، من شخص إلى آخر
ومن مكان إلى آخر حتى استطاع الحصول على الموافقة، إذأ، أصبحت لي غرفة
خاصة بي، فيها نافذة واحدة مطلة على السور الحجري لنينوى، وما تزال تفوح منها
رائحة الجص والاسمنت، ولم نضع فيها إلا القليل من الحاجيات الضرورية التي
تخصني . عندما أفتح النافذة، اواجه الصخور الصلبة للسور الحجري، امام
النافذة علّقت مرآة طويلة على الحائط، وطاولة صغيرة بالكاد أستطيع الجلوس
خلفها، والدتي اشترتها لي من سوق الجمعة في المدينة، كنت أضطر ان أضرم قدمي
إلى بعضهما حتى أستطيع ادخالهما تحتها. كلما أجلس وراء تلك الطاولة الصغيرة،
صورة وخيال (خيمة) يطغيان على كل كياني..ولا أدري لم..؟! لم أكن أتحمّل مخيلتي
تلك وكنت أصرخ بأعلى صوتي: (خيمة)... اتركيني.

على عكس والدي الذي أحبّ ذلك البيت، منظر السور الحجري من نافذتي
يؤرقني كثيراً ولم أكن أطيق ذلك المنظر.. والدي يقول:

- أنتم لا تعلمون معنى القرب من هذا السور... ثقوا بأن هذا السور سيصبح
مألاً للخير والبركة علينا جميعاً.

والدتي ايضاً مرتاحة لذلك الكلام، في إحدى الأيام لم اتمالك نفسي وقلت
لوالدي:

- هو سور وحائط وقريب من النافذة، وهناك الكثير من البيوت هنا مطلة على
هذا السور، إذأ، من أين يأتينا الخير والبركة؟

قال والدي بتذمر:

- أنت لا تفهم... هو ليس بالكثير... أليس كذلك؟

لم يعطِ الفرصة كي أردّ واستمر في الحديث.

- دعني أشرح لكم، صحيح ان الناس لا تهتم كثيراً بالآثار، لكن الأيام القادمة كفيلة بالتغيير، حينها ستتحول كل صخرة في هذا المنزل الى كيس مليء بالنقود والجواهر.

- ومتى يا أبت.. بعد مائة عام؟ أنا بالعكس قلق على مصير هذه البلاد، ألا ترى ماذا فعلوا بكرديستان، دمروها تحت اسم الأنفال، ما قيمة الآثار في هذه البلاد التي لا تعرف الا لغة القتل وتفوح منها رائحة الدم.

- بُني، أصمت... سنقوم نحن أيضاً بنفس الشيء، كنا نتمنى ان نتوقف هذه الحرب ويعود الناس لحياتهم الطبيعية، والآن بدأوا مرة أخرى بالمجازر. أصمت أرجوك، قسماً بالله سيأنفلوننا نحن أيضاً. أليس كذلك يا امرأة؟
أتت والدتي وجلست بقربي وقالت بقلق:

- سنكر، بُني، أرجوك. كم مرة قلت لك ان تتخلى عن مثل هذا الكلام، ألا تشفق على حالي، ان فعلوا شيئاً بك، ماذا سأفعل حينها؟

والدتي تدور في فلك من طين، من الأطراف الأربعة نحن محاصرون بالطين، معظمنا مغموراً به.. بات رأسي يؤلمني ولم يكن يفهمني أحد. لذتُ بغرفتي، سور نينوى حاجزٌ بيني وبين العالم الخارجي، وعلى عكس والدي، فأنا أنفر من نينوى وأسوارها وأشور بانيبال حتى. أحياناً في النهار ينقطع التيار الكهربائي وتتحول الغرفة كلها الى سور صخري، لا فرق بين ما أراه من النافذة وبين حيطان الغرفة، بينما والدي يضع آماله على ذلك السور ويتحدث دائماً عنه وعن المستقبل الزاهي لبيتنا. البارحة جلب لي صديقي (تحسين) كتاباً واصرّ على أن أقرأه:

- هذا الكتاب هو نبذة عن كتاب المصحف الأسود.

مازحته قائلاً:

- أتود أن تدخلني للدين الايزيدي، ألا ترى ما فعلناه بكرديتنا سنفعله بالدين الايزيدي أيضاً.

اجابني قائلاً:

- توقف ياهذا، أنا أفخر بأني كردي وايزيدي أيضاً، فإن لم أكن كذلك، ماذا كنت سأفعل في حياتي؟

- قصدك ان هؤلاء الغير ايزيديين وضعهم سيء الآن. أليس كذلك؟

- لا علاقة لي بالشعوب الأخرى، نحن الكُرد الايزديون أصدق منكم انتم الكُرد المسلمون.

- لا أحد يقول عن عنبه أنه حامض، لكن لماذا أنتم أصدق منّا؟

- أتعرف لماذا؟

- كلا، هيا قل لي يا أفندي.

- نحن بقينا على دين الآباء والأجداد، وأنتم خوفاً من السيف تركتم دين

أجدادكم.

- نحن وأنتم نعيش سوية في زمن لا ينظرون إلينا على أننا بشر، وان بقي الحال

على ما هو عليه، فتوقع الأسوأ.

وكي أستفزه أكثر قلت:

- مبارك لك وأدعو من الله أن يوفقك في مسعاك.

في غمرة حديثي أنا و(تحسين) تخيلت طيف السور الحجري أمام عيني. كان

(تحسين) منهمكاً في الحديث وأنا كنت أنظر الى البعيد، وبّخي وهزّني من كتفي قائلاً:

(إلى أين ذهبت؟)

- ذهبت إلى السور.

- ماذا؟!.

- أقول إلى السور. من كثرة ما يتحدث والدي عن اهمية قرب السور من منزلنا،

بت أتصور أنني أعيش في نينوى القديمة وبين نعال أحصنة المقاتلين الآشوريين.

- ماذا تقول يا سنكر، أية نينوى وما قصدك بأشور..؟!.

- كما تعلم أننا اشترينا بيتاً بقرب السور القديم للمدينة، من كثرة ما يمدح

والدي بذلك البيت ومستقبله ويتأمل خيراً كثيراً بسبب قرب البيت من السور،

ودائماً ما أتخيل ذلك السور أمام عيني.

- ايها المعتوه، دعك من هذا الكلام الفارغ. أتركه، دواؤه عندي. عندما تغادر

الجامعة اذهب أنت الى السور وتبوّل عليه، حينها سيصبح السور كخصيتيك، نعم،

كخصيتيك..

- أصمت، وأنت أيضاً تستهزء بكل شيء.

- وماذا أفعل، ألق نفسي بالسواد..؟ والدك يتحدث عن الحائط، والأفندي يتخيله، لم أعرف أنك حمار إلى هذه الدرجة.

كان (تحسين) محقاً في كلامه، كيف لحائط وسور أصم أن يعكر عليّ حياتي، فها هو والدي يطبل ويُزمر ليلاً نهاراً لذلك الحائط، وماذا بعد ذلك؟ كيف يؤثر حائط على نفسيتي الى هذه الدرجة؟!.

اليوم بث راديو بغداد انه حدث إنقلاب في الكويت والثوار الكويتيون يطلبون المساعدة من العراق. كان الأمر مريباً بالنسبة لي، فأين هم الكويتيون من الانقلابات؟ لم أستطع تصديق ذلك. لم تمر فترة طويلة حتى بثت الإذاعات الأخرى خبر هجوم الجيش العراقي على الكويت واحتلاله... ورويداً رويداً بات هذا الخبر حديث الساعة. ترك الخبر فوضى عارمة في الوسط العام ووالدي ترك سيرة الحائط وأصبح يقضي معظم وقته يستمع للراديو ويقول مبتسماً:

- هذا الرجل كالعزة التي اكلت خبز الراعي، فعلته هذه لن تمر مرور الكرام، لكن أرجوكم، لا تقولوا ذلك أمام أحد، الوضع صعب وسيتأزم أكثر، وأشار إلي بإصبعه قائلاً:

- أخاف عليك وعلى لسانك السليط فقط.. لا تقل شيئاً أمام الغرباء ولا حتى أمام أصدقائك، فأعناقنا نحن الكرّد أرفع من خيط، وبسبب هفوة بسيطة سيقتلوننا (صن لسانك، ان صنته صانك).

بتّ في عزلة عن محيطي، لا اتحدث لأحد او أدلي برأيي في أي شيء، وفي الكلية أمشي مع (تحسين) فقط، فوالدي محقّ، حيث يتجه الوضع نحو التأزم اكثر، وبدأ الجيش العراقي بحملة تدمير وتهجير ضد القرى الكردية في كردستان، وبحنكة منه أبعد المدن الحدودية عن أتون حربه مع ايران، وخلال هجومه على الكويت قام بعمليات النهب والتدمير في ذلك البلد، حيث رأيتُ العجائب في أسواق المنطقة، بعض الطلبة يأتون إلى الكلية بسيارات فخمة ومن ماركات مختلفة، (تحسين) انزعج كثيراً من رؤيته لتلك المناظر ولم يستطع كتمان ما يدور في ذهنه بقوله:

- تعال وانظر الى هذه النماذج وهذه الأشكال ولا تنزعج، يركبون السيارات الفخمة، لا تعرف ابن أي كلب منهم، ما رأيك، انذهب الى الكويت نحن أيضاً؟

- أصمت أيها المعتوه. أنسيت إننا مواطنون من الدرجة الثالثة..؟ تلك السرقات لا تليق بنا وأنا وأنت ولا نستطيع القيام بها وستكون بمثابة نهايتنا. لا تنسى الدم، سأقول وأنت أكتب، سيأتي اليوم الذي سينالون ضريبة هذه الافعال من الشعب، وقريباً سترى ذلك.

مرت أيام وطيف الحائط لا يفارق مخيلتي، أما والدي فمشغولٌ بالاستماع الى أخبار احتلال الكويت، حتى انه نسي الحائط والمستقبل المأمول منه.

اليوم أتت والدتي تقول لي بأنها اختارت لي فتاةً وتريدني أن أتزوجها. قلت لها:

- هاتِ يا أمي، مَنْ اخترتِ لي؟

- نظرت إلي بتمعن:

- أنت تسخر من كلامي؟!

- كلا يا أمي، أقسم لك أنني جاد. لكن ماذا أفعل بالزواج الآن وقد بقيت لي

سنة في الجامعة، أتركي الموضوع الى بعد انهائي دراستي الجامعية.

- بني، وأنا لم أقل الآن. فقط أود أن أقول لك بأن (كواره) ابنة خالتك فتاة

جميلة وجيدة وسأفاتحهم بالموضوع.

الظاهر أن أمي قد أعدتْ حُططها لأجل ذلك، وأنا متأكد أنها أقنعت والدي

ايضاً، لذلك قلت لوالدتي:

- ما لي والزواج الآن، وكيفما كان فإن الزواج لا يتناسب مع دراستي وبرامجي في

الحياة لعدة سنوات أخرى.

- الزواج لن يكون عقبة أمام برامجك، المرأة ليست بوحش، وهي ستوافق مع

برامجك وطموحاتك بالحياة، أليس كذلك؟

- أماه، اتركيني من هذا الحديث، ما زالت امامي سنة لنيل البكالوريوس،

وبعدها في نيتي دراسة الماجستير، وبعدها أكمل الدكتوراه في الخارج، هل تعرفين

معنى ذلك؟

- أنت معتوه؟.. هل تعلم معنى كلامك، يعني أنك لن تتزوج، أي أنك تدفن كل

أمانيك وحياتك، نعم، أنت ستدمر حياتك بذلك.

كانت أمي جالسة على الكنبه، جلست بقربها وقبّلت يديها وقلت لها بهدوء:

- أماه، لا تزعجي نفسك بهذا الموضوع واتركي هذه المسألة، فالزواج والدراسة والأولاد لا يتماشون مع بعضهم في هذه الأيام، وخاصة مع وضعي أنا. أشاحت والدتي وجهها عني ولم يعجبها كلامي.

ذهبت إلى غرفتي لمراجعة بعض الدروس، أزحت ستار النافذة وذهبت إلى سريري في منتصف الغرفة، كمسمار، وقفت بذهول بدون أية حركة حينما نظرت من النافذة، كانت امرأة واقفة بكامل قامتها أمام النافذة.. بداية تصورت انها إحدى جاراتنا، لكن عندما دققت في تفاصيلها، أدركت أنني منذ زمن لم أر ذلك الزي الذي تلتحفه، كلما كنت أدقق في تفاصيلها، كانت الغشاوة تسيطر على رؤيتي أكثر. خرجت مسرعاً من الغرفة لأتمكن من رؤية تفاصيلها عن قرب أكثر. بعد برهة قصيرة توقعت أن تكون امرأة تود النزول من السور. عندما ذهبت إلى الطرف الآخر من الغرفة، تمعنت في النافذة كثيراً لكني لم أر شيئاً، جلست أمام النافذة أفكر وأقول لنفسني: ماذا جرى لتلك المرأة؟ إلى أين ذهبت؟ ذلك الزي الذي كانت ترتديه، زيّ أي منطقة؟ ولماذا هي على الحائط؟.

هل يعقل أن تكون صورة تلك المرأة تخيلات لا غير؟ ان استمر الوضع على ما هو عليه فان هذا الحائط سيصيبني بالجنون... وصلت لقناعة انها مجرد خيالات تهباً أمام عيني، وإلا فكيف لامرأة ان تتسلق ذلك الحائط العالي، وعلى الطرف الآخر من الحائط مجرد فراغ لا بيوت ولا سكن فيه. أحسست بحاجة للتبول، خرجت إلى الخارج وبدون وعي مني تبولت على الحائط، تذكرت كلام صديقي (تحسين) وقلت: -تحسين محق في كلامه، الحائط وخصيتي، نعم... خصيتي.

- ما بك لا تتكلم، هل أنت مريض؟!
كان سنكر صامتاً هكذا، وبّخه (تحسين) قائلاً:
- أتكلم معك، هل انت أصم؟
- أتركني، فوضعي غير مستقر، غير مستقر أبداً.
- أحدث خطب ما ولا علم لي به؟
- صديقي تحسين، أنا لا أمزح. ذلك الحائط مسكون بالجن، وعكّر علينا حياتنا... حتى البارحة كنت أقول بأنها تخيلات أمام عيني أو انها من تأثير كلام والدي المتكرر الدائم عنه. لكنني وصلت إلى قناعة بأن الموضوع ليس كذلك، ما أراه امام عينيّ هو حقيقة وليس تخيلات.
كان (تحسين) واقفاً حين كنت أتحدث معه، فجلس القرفصاء أمامي قائلاً:
- أنت لا تمزح أليس كذلك؟
- الموضوع تعدّى المزح، ان استمر الوضع على ما هو عليه سأجن، يجب عليّ ان أجد حلاً لهذه المعضلة.
- قل لي، ما الذي استطيع أن أفعله؟
- نعم، تستطيع فعل شيء. هل تتذكر بأنك قلت لي يوماً أن في لالش لديكم ساحر وبامكانه عمل الاعاجيب...؟!
- نعم، أنا لم أمزح فيما قلته، كلهم يعرفون (خوديدا)، يجعل لك اللون الأسود أبيضاً.. لكن قل لي، ماذا جرى معك حتى أساعدك في هذا الموضوع؟
- يا صديقي، أشاهد في اليوم الواحد العديد من الخيالات على الحائط، في فترة من الفترات كنت أتخيل امرأة واقفة على الحائط، الآن تجاوز الأمر ذلك، فتلك المرأة تأتيني في الحلم أيضاً.
- تأتيك في المنام، بحسب تعاليم دينكم فإن الشيطان قد فتح بيت دعارة، أي انها من تأثيرات الشيطان.
- أترك هذه الكلام أيها المعتوه، دعني اكمل حديثي. المرأة لا تقترب مني ولا تتكلم، لكنها تظل واقفة في زاوية من الغرفة فقط.

- واقفة فقط...؟ هي جميلة؟
- لا أرى وجهها، فقط أرى رأسها وشعرها ويديها ورجلها، ملامحها ضبابية لا أميز جيداً تفاصيل وجهها.
- يعني هي عارية؟
- كلا، ترتدي زيّاً عجباً، ليس بزيّ هذا الزمن.
- سنكر، أنت جننت وتود أن تجعلني مجنوناً معك، برأيك زيّها يعود لأي زمن.
- زمن دقيانوس مثلاً؟
- وكيف أعرف؟ هل شاهدت فيلم هرقل؟
- هرقل، قصدك هرقل؟
- نعم، أحد هذين الداعرين.
- إن كان قصدك على هرقل الذي يعود للعصر اليوناني، نعم أنا شاهدته.
- ثياب تلك المرأة التي تظهر لي على الحائط تشبه إلى حد كبير زي النساء في ذلك الفيلم.
- سنكر، ما تقوله بحد ذاته فيلم، وفيما يبدو إننا نحن أيضاً سنتحول إلى فيلم، يعني تود أن تقول أن زيّها يعود للحقبة اليونانية في زمن أرسطو؟
- أنا لا أقول ذلك، لكن لماذا تقف على حائط سور مدينة نينوى، لماذا ترتدي تلك الثياب إن لم يكن لها علاقة بذلك العصر.
- لا يهم إن كانت من العصر اليوناني أم من العصر الآشوري، حتى وإن كانت من الحاخامات البابليين، المهم هو ماذا تريد هذه المخلوقة منك حتى تأتيك كل يوم في منامك؟
- كل ليلة.
- كم عمرها؟
- كما قلت لك، فوجهها من الغشاوة لا أستطيع أن أميّزه، لكن جسمها وقامتها أشبه ما تكون بإمرأة جميلة ومغناجة وتشبه التماثيل اليونانية.
- ما خطبك تشبهها باليونانيين... أترك هذا التشبيه، عندما تراها في منامك، ألا تخاف منها؟

- بداية.. نعم، كنت اخاف. أما الآن فلا أخاف منها. لكن ما يقلقني هو صمتها ووجهها الضبابي.

- إسألها، ترى ماذا تريد منك؟

- يا أخي أنا أسألها، لكنها صامتة ولا تجيبني، كأنها نصب حجري.

- شيء غريب، ماذا تريد منك هذه؟ ما أستطيع فعله لك هو اني سأموت من الرعب حين رؤيتها.

- وصلت إلى تلك القناعة أن تلك التي تأتيني في المنام هي روح، لكن ماذا تريد مني لا أعرف.

وضع (تحسين) يده على فم سنكر قائلاً:

- لا تحدثني عن الروح، فسأموت من الرعب والخوف هذه الليلة، سيرة الروح تسبب لي الفزع.

نظر إليه سنكر: ما أراه في المنام إن كانت روح أم لا، لا يهم. المهم لماذا اختارني من بين الملايين حتى تُريني نفسها؟ هذا ما يُقلقني. وأبحث عن جواب لهذا السؤال. أيستطيع ذلك الرجل الساحر الذي حدثني عنه أن يجيبني عن هذا التساؤل. وكما قلت لي فهو يفك الطلاسم أيضاً. وكيفما كان، ان كنت تعلم بأنه سيساعدني في هذا الموضوع فحاول ان تأخذني إليه. أتفعل لي ذلك؟

- ولمَ لا... يوم الخميس سنذهب الى لالش، سنبيت ليلة في بيتنا وفي اليوم التالي سنعود. ما رأيك؟

- جيد.

آلاف الجُند، الطائرات، الدبابات والسفن الحربية اجتمعت في السعودية ودول الخليج، وكان صدام مصراً على البقاء في الكويت، والعالم كله هب لطرده منها.. كان قد لغم كل الآبار النفطية في الكويت وهدد بتفجيرها واعتبر ان اجتماع كل الدول ضده ما هو إلا اعتداء عليه. كانت أنظار العالم تنتظر ساعة الصفر لبدء العملية العسكرية، وبالرغم من كل تلك التحشيدات إلا ان صدام حسين أبي الانسحاب من الكويت.

تمتم والدي بصوت خافت:

- هذه المرة لن تمر له مرور الكرام.
كنت اعرف أنه يقصد صدام بكلامه، لكنني لم أتدخل في النقاش معه. ذهلت
والدتي من تمتمات والدي، توجهت إليه قائلة:
- إن كان مصرّاً على عدم الانسحاب، فإن الطائرات ستدمر كل شيء وتقصفنا.
أليس كذلك؟
- هو لن ينسحب، هم إذا هجموا فإنهم سيضربون المواقع والمؤسسات
العسكرية ولن يقصفوا الشعب البريء.
- وكأنه مكتوب على جبيننا كي تميز الصواريخ بأننا شعب بريء، والآخر مع
النظام.
- وكيف تعرفين ذلك، هل أتيت من عندهم حتى تقولين ذلك؟
- دائماً هي هكذا، فكلما قُتل متهمٌ واحد، يُقتل مئة بريء بجريته. لا تعول على
دقتهم في هذا الهجوم، إنهم سيدمروننا أيضاً.
كنت أنصت إلى مناقشاتهم تلك بصمت. كانت والدتي تقول لي أحياناً: أليس
كذلك؟ فأجبر على إجابتها:
- نعم، لا أحد يعرف ما ستخلفه هذه الحرب إن بدأت. صدام اقترب من
نهايته، لكن كيف، وما هي الضريبة، لا أعرف؟
قال والدي:
- إذا رأينا أن وضع البلد سيتدهور، سنترك هذه المدينة وسنذهب الى اقربائنا في
السليمانية أو أكرى... سنترك هذا الأمر إلى ان تبدأ الحرب حينها الله كريم.
إن ما أقوله خلاف ذلك لن يعجب والدي، اذ بات يخشى ألا يتم الهجوم، حينها
سيعرفون رأيي وقد أتعرض للاعتقال من وراء آرائي.
كانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل، كنت متأكداً بأن تلك
المرأة ستأتي لي الليلة في المنام. فجأة طُرق بابي بقوة وسمعت صراخ والدي من خلف
الباب يقول: افتح الباب... افتح الباب. في تلك العجالة فتحت له الباب، كان يحمل
الراديو في يده ويقول بصوت متقطع:
- أسمع؟.. بدأ الهجوم، بغداد تتعرض للقصف. صدام انتهى.. انتهى.
قد لا يكون الأمر كما يقول والدي. لذلك قلت له:

- إهدأ يا أبي، فكيفما كانت نتيجة هذه الحرب، فإننا كالألاف من أبناء جلدتنا الكُرد سنتوجه الى الجبال، فهذا أفضل حل لنا. وإلا، فكما كنت تقول لي بأن السياسة بلا صاحب، فلنكن مراقبين هذه المرة.

الحرب بدأت. ولا أحد يعرف نتائجها. فكر والدي لبرهة، ادار مفتاح الراديو وقرّبه من أذنه عدة مرات وقال بهدوء:

- أنت مُحق في كلامك يا بني، لا أحد يعلم ما سيحدث، فعالم السياسة مليء بالسيناريوهات المتناقضة.

كان الخوف والقلق باديين على ملامح وجه والدي. تمتمت قائلة:

- سيُدمرون الأخضر واليابس وسيدمروننا نحن أيضاً، ذلك الرعديد لم يتخل عن تصرفاته حتى أوصلنا الى ما وصلنا اليه، دمر نفسه ودمّر الأناص الأبرياء معه..!

كنا في غمرة الحديث، عندما اهتزت المدينة على وقع انفجارات؟ أمسكت والدي برأسها صارخة: يا إلهي، لقد بدأ القصف.

إنفجارات قوية كانت تُسمع من عدة أطراف في المدينة. ازحّت الستارة عن نافذتي، كانت الإطلاقات الحارقة والمضيئة تخترق السماء ووالدي ترتجف خوفاً.

اردت الصعود الى سطح الدار لكن والدي قال بقلق:

- لا تخرج يا بني، فالقصف يشتد والقذائف والرصاصات الطائشة تملأ السماء.

لم انتظر وصعدت الى سطح المنزل. كانت سماء المدينة مليئة بالقذائف الحارقة، ويُشاهد من بعيد أبنية سكنية تحترق، عندما حددت وجهة تلك البنايات أدركت إن الحامية العسكرية وأمن المحافظة قد تم قصفهما، عدت مسرعاً الى الأسفل كي أطمئن والدي وقلت لها:

- الظاهر أنهم حددوا المواقع العسكرية والأمنية مسبقاً ويقصفونها الآن، لقد قصفوا مقر الحامية العسكرية ومقر أمن المحافظة، اطمئني يا أمي، فهم لن يقصفوا الأبرياء.

-كلام فارغ، ستري غداً ما سيجري للناس.

كان والدي يُحب القصف ويخافه في نفس الوقت، أراد ان يتكلم لكن صوت انفجار قريب جعل والدي تصرخ: يا غوث بغداد...

قلت في نفسي: ومحيط غوث بغداد يُقصف الآن أيضاً.
سمعنا أصوات عدة انفجارات قريبة. قال والدي:
- بحسب قوة هذه الانفجارات، فان المدينة قد دُمرت والمئات قُتلوا أيضاً. ليحل
التهار حينها سنعرف أكثر ما الذي يجري حولنا. أليس كذلك؟
- نعم، غداً سيتبين لنا ما خلفه الهجوم، ان حدثت مجازر فاننا سنترك المدينة
ونذهب إلى مكان آخر، وإن دمروا مراكز السلطة فقط، فمثلنا مثل عامة الناس.
- ومن قال قد نظل باقيين إلى الصباح؟
- أمّا، كفى، ما هذا التشاؤم؟ حتى وان قامت المجازر نحن أيضاً سيكون
مصيرنا كمصير جميع هؤلاء البشر في المدينة.
تبع تلك الانفجارات انفجاراً أقوى وأقرب وعلى إثره انكسر زجاج نافذتي،
ذهبت مرة أخرى الى السطح، كانت دائرة البريد والاتصالات تحترق، عدت مسرعاً إلى
الأسفل. سألتني والدتي:
- هذا الانفجار كان قريباً جداً، لا تقل لي إنهم ضربوا الحامية العسكرية
مجدداً؟
- دائرة البريد القريبة من بيتنا تدمرت والنيران تشتعل بها.
- رأيتم؟ دائرة البريد والاتصالات ليست مواقعاً عسكرياً ويقصفونها، ألم أقل
أنهم سيقتلوننا؟
- الظاهر أنهم سيتعاملون مع كل مؤسسات الدولة بنفس الطريقة.
- يا أمي، دعي هذا الحديث، في هذا الزمن من يسبب المجازر للبشر سينال
جزاءه. وهذه الحروب الدموية كلها من تأثيرات وتصرفات حزب البعث مع هذا
الشعب.
- أصمت، أصمت. قتلوا الآلاف منّا ولم ينبس أي من هؤلاء ببنت شفة، والآن
بدأوا يدمرون هذه البلد.
- هذه المرة الأمر مختلف، ولن يتركوه يمر بسلام، سينتقمون لنا منه، ولن
يتركوا حجراً على حجر...
- لو لم يذهب ذلك الأخرق إلى الكويت، كان سيبقى إلى ما شاء الله فوق
صدورنا.

- يا امرأة، بقاؤه بات محالاً ... محال.

- أتمنى أن يكون مثلما تقولون.

انقطعت أصوات الانفجارات، وكانت تُسمع أصوات صافرات سيارات الإسعاف مختلطة بصرخات الناس من حولنا، والكهرباء انقطعت عن المدينة. أشعلت شمعة وكنت متأكداً ان تلك الفتاة ستأتيني في الحلم. هل تكون قد نجت من القذائف والرصاصات في السماء؟ خرجت من غرفتي، أردت الذهاب الى خارج البيت، لكن والدتي لحقت بي وجرتني الى داخل البيت. كانت الساعة تُشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل، كنت أنتظر بزوغ الفجر بفارغ الصبر... أقرأ ملامح البشر من حولي. وفجأة حدث انفجار قوي بدون سماع أصوات تحليق للطائرات في سماء المدينة. كنت قرأت منذ زمن عن الصواريخ الذكية، قلت في نفسي: (هذه صواريخ توماهوك)... جلست بالقرب من الشمعة المضيئة في غرفتي، بدأ التّعاس يغلبني، وكنت أعلم بأن تلك الفتاة ستزورني في الحلم مثل بقية الأيام.

نمتُ لساعتين أو ثلاث، ونفسها تلك الفتاة كانت رفيقتي في الحلم. فقت مُسرِعاً من النوم وذهبت الى الخارج. قالت لي والدتي بقلق: (إلى أين؟).

- أماه، ماذا يعني إلى أين؟. أريد أن أعرف ماذا جرى للعالم بعد كل القصف

والانفجارات التي حدثت.

- بُني، أترك الناس وشأنها، إن كان العالم تحت سلطة أيّ ديّوثٍ كان، ما شأننا

أنا وأنت؟ في هذه المعمة، الشاطر من يُنقذ نفسه.

- سأتي حالاً.

أردت التوجه الى الكلية... قلت في نفسي (هل أنت مجنون) كلية ماذا أيها المجنون، فالأساتذة الآن مشغولون بأمان أولادهم وعائلاتهم. قياساً لأصوات تفجيرات ليلة البارحة. توقعت ان يكون نصف المدينة مدمراً، لكن محيط الكلية لم يصبه أي قصف. ذهبت كي أرى (تحسين) وفي منتصف الطريق رأيته قادماً نحوي، كانت علامات السرور بادية على محياه: (تمام... صدام انتهى).

- هكذا ترى؟

- أيها المعتوه، وكأنك تدخن الحشيش ولا ترى ما يجري، بقاؤه في السلطة بات

من المحال.

- في دنيا السياسة لا يوجد شيء اسمه محال، هناك الكثير من الاشياء غير المتوقعة والمستحيلة تحدث.
- وهل هذا القصف والتدمير عن عبث؟ هم لم يأتوا إلى هنا بنزهة.
- أتمنى أن يكون كلامك صحيحاً.
- أيُّ مجنون، ألا ترى ان مؤسسات الدولة دُمرت، يقولون بأن بغداد قد دمرت ايضاً.
- المهم إزاحة الأفندي عن الحكم، وإلا فإن البشر والحجر عند صدام لا يعادلون فلساً.
- هل مازلت تريد الذهاب إلى (خوديدا)
- مع ان أحداث هذه الحرب مهمة بالنسبة لي، لكن بعد غد نذهب؟
- اتفقنا.

ما تراه هي روح، روح ضائعةٌ ليست مؤذية. هادئة ومحبّة للخير...
- أنا لا أفهم من هذا الكلام.. أنا كفص ثوم وبذرة بصل، بين ملايين البشر،
فلماذا أنا دون غيري؟.
- أهذا سرُّ ما تقوله.
أنا على قناعة بأن الروح لا تتناسخ ولا تذهب إلى جسدٍ آخر، كما أنها لا تظهر
للعيان.

- إذاً، ما الذي ستفعله لأجلي؟
- ما أفعله لأجلك، حالياً لا شيء. سأفعل ما بوسعي كي أُحرك تلك الروح
وأجعلها تتكلم، إذهب واشكر ربك على ان تلك الروح خيرة ولا تريد أذيتك، سأكتب
لك الآن طلسماً علقه بإبرة تحت مخدتك، فالجن والأرواح تخاف من الإبر. وأفعل ما
أقوله لك، إن نمت، نم عارياً... فشرط هذا الطلسم ان تكون عارياً تماماً من ثيابك،
إن جعلنا تلك الروح تنطق وتتحرك نكون قد قُمنّا بعمل عظيم ونستطيع حينها
التحدث معها وأنا بنفسني سآتي في إحدى الليالي إلى غرفتك وسنمضي ليلة سوية.
- أفهم من كلامك بأنني قد أتعرض لمشاكل أخرى؟
- لا أعتقد.. قد أستطيع التحدث معها، وان لم أستطع فأنتم أيضاً لديكم
شيوخ وملاي كُثر قد يكونون أفضل مني في هذا الموضوع، وإلى الاسبوع القادم ان لم
نغيّر شيئاً، حينها سنسلك طريقاً آخر. أريد أن أعرف أين كنت نائماً البارحة؟

اجابه تحسين: في بيتنا...
- أي أنك كنت البارحة في لالش ورأيت نفس الحلم؟
- كلا، لم أرها ولم أر أي حلم آخر على الإطلاق.
خرجنا من عند (خوديدا)، قال تحسين بحماس:
- هذه المسألة جدية وليست مزحة، علينا أن نتعامل معها بكل جدية.
كنت أعلم بأنني وقعت في مشكلة، ولكن ما يقلقني هو اني لا أعلم أية مشكلة

هي.

والدي أصبح كخبير حربي من طراز (شوارتزكوف) من كثرة متابعته لأخبار الحرب، حتى انه لم يسألني لم أنت ذاهب إلى لالش. أحياناً كان يقول بعصبية:
- هؤلاء حمير على هيئة بشر ولا يجيدون التصرف، كان عليهم ان يهاجموا من كردستان.

عندما يتحدث والدي بتلك الطريقة، كنت أتخيله بالزي العسكري وعلى كتفيه رتبة عسكرية مرصعة بالنجوم... كان هناك طلسم مثلث الشكل في جيبي عليّ تغليفه، حيث أكد عليّ (خوديدا) بالأ أفتحه أو أقرأه. لم أصل إلى الموصل بعد، لكنني من بعيد كنت أسمع هدير الطائرات في السماء وأعمدة الدخان تتصاعد في السماء ككتناينٍ جائعة تفتح أفواهها صوب طريرتها. لم يعد (تحسين) إلى الموصل وبقي في لالش، كان الكثير من أهالي المدينة يتركونها وينتقلون إلى البلدات والقرى المحيطة بها.

حين وصولي إلى البيت، كان صوت المارش العسكري ينبعث من مذياع والدي، من ملامح والدتي فأنا أعلم بأنها في انتظاري، وفور رؤيتها لي قالت:
- وهل الآن وقت السفر؟ يومان بالكامل وأنا قلقة عليك!
- أمأه، لا تقلقي، ماذا بقي من المدينة ولم يقصفوه، دمروا كل شيء.
كان والدي يحتسي الشاي، وضع كوبه قائلاً:
- أهالي تلك المناطق كيف وضعهم؟
- أبي، السماء لا تمطر الورود، تلك حرب بدأت، والناس قلقون ولا يعلمون ما تخبئه لهم الأيام، بعض الأهالي أولادهم يخدمون كجنود في الجيش العراقي.
- بُني، ليس هناك أي عمل كبير بدون ضحايا، هذه الحرب لا تخوضها أمريكا بمفردها بل نصف العالم مُشارك بها، تلك الشعوب والأنظمة ليست حمقاء مثل أنظمتنا، بل لديها برامج مُصاغة عليها تنفيذها، وكيفما كانت النتيجة فلا يهمها.
- لكن أخاف أن تكون نسبة الضحايا كبيرة ويظل هذا الأخرق جائماً على صدورنا في السلطة.
- ذلك محال... محال.
- أبي، في علم السياسة لا يوجد شيء اسمه محال. المحال وهم... وهم.

- إن كانت الأوضاع في منطقتنا أقل خطراً، لم نحن باقون هنا تحت الخطر. برأيي ان نذهب لزيارة أقربائنا سيكون ذلك أفضل لنا.
- والدي متردّد، هز برأسه مستمراً في حديثه:
- الناس في مناطقنا قد انتفضوا ضد صدام، ودمروا كل مؤسسات الدولة هناك، اخاف أن يُعيد الكرّة ويقوم بالمذابح، لنتنظر ونرى ما تؤول إليه الأمور.
- بالنسبة لي، أصبحت تلك الفتاة همّي وشغلي الشاغل، قررت البقاء كيفما كانت الضريبة حتى أجد المغزى من ذلك السر الذي تُخفيه في زيارتها لي في أحلامي.
- إذهبوا أنتم، انا لن آتي.
- إن لم تأتِ معنا فإننا لن نغادر هذا البيت.
- يا امرأة، الوضع لم يتدهور إلى ذلك الحد الذي نترك فيه بيتنا، حتى الآن لم يقتربوا من الناس العُزل، ويقصفون المواقع العسكرية والأمنية فقط. وقد يقومون بقصف مقرات الأحزاب أيضاً...
- تلك البناية التي في أول الشارع هي مقر حزبي.
- أردت أن أخفف من ذعر والدتي وقلت لها:
- أمّاه، المدينة مازالت على ما هي عليه ولم يغادرها إلا القليل. كانوا قد قصفوا محطة الكهرباء في المدينة والآن الناس تستعمل الفوانيس و(لمبات الكاز).
- والدي مشغولٌ بشراء مولدة كهرباء صغيرة، وما يزعج والدتي في شرائها هو البتزين. استطرد والدني قائلاً:
- الظاهر ان هذه الحرب ستطول، منذ أيام وهم يقصفون، ولا أحد يعلم متى يهاجمون من البر.
- قلت لوالدتي في إحدى المرات:
- أردت التسجيل في الكلية العسكرية، ولكن لأنني كردي لم يقبلوني فيها.
- أحسن، وإلا كانوا سيعدمونك مثل أخي الصغير. نسيت، لم تقل لي كم هو سعر المولدة الصغيرة؟
- سؤال والدتي هذا تعبير عن موافقتها لشراء المولدة.
- الانتفاضة قد بدأت في كردستان، وقوات الباسداران الايرانية انخرطت مع القوى السياسية المختلفة في المنطقة وبدأت بتحركاتها..

خيّم الظلام ومدينة الموصل هادئة في عتمتها، وسماؤها مكتظة بالنجوم المعلقة المتهافئة ببريقها في كبد السماء.

وضعي النفسي في حالة يرثى له، أشعلت العديد من الشموع في غرفتي كي أدرس على رقصات ومضاتها، لكنني لم أستطع، فكرت بأن العذر في الكتاب الذي بين يدي، مسكت كتاباً آخر، لكن لم أستطع قراءة سوى صفحة أو صفحتين، وضعته جانباً. فكرت لبرهة كيف آتٍ بـ(خويدا) الى هذه الغرفة، ماذا أقول لوالديّ؟ تلك التميمة التي أعطاني إياها (خويدا) غلفتها وبواسطة إبرة قمت بتعليقها أسفل مخدتي. غارات جديدة من الطائرات أسمع دوي الانفجارات على المدينة، وأنا انتظر غارة أخرى، لكنّها تأخرت.

أعلم ان تلك الطائرات تُقلع من قاعدة (انجريك) ووجهتها في العودة أيضاً إلى هناك. تهيأت للنوم، لكنني أحاول أن اتذكر شيئاً ما قد نسيتّه، نظرت حولي وإلى نفسي، تذكرت حينها بأنّي ما زلت لابساً ثيابي. خلعت ثيابي بسرعة، وعارياً توجهت صوب السرير، لم أقرأ أية تعويذة أو أية قبل النوم. خوفي قد تبعثر، وهبّي الوحيد هو معرفة ماذا تريده تلك المرأة مني، ولماذا اختارتني من بين ملايين البشر كي تظهر أمامي؟

تلك الأسئلة أصبحت هاجسي وحيرتني وبعثرت اموراً كثيرة في حياتي. الليل في هزيعه الأخير، النوم يجافي عيوني، لا أعلم متى وكيف غفوت، أتت المرأة تلك إليّ في الحلم. لكن هذه المرة كانت تجوب سماء الغرفة بجناحين، كنت أمد يديّ إليها لكن يديّ كانتا تمسكان الفراغ، لم أكن أحس بالخوف. لأكثر من أسبوع، أرى نفس الحلم، المرأة تجوب الغرفة بجناحها. في إحدى الصباحات عندما أفقت من النوم، سألتني أمي بدهشة: البارحة غيرت مخدتك ورأيت تميمة معلقة فيها. هي ليست لمسائل العشق أو ما شابهها.. أليس كذلك؟

- كلا يا أماه، لا علاقة لها بالعشق، منذ فترة وأنا أرى أحلاماً مزعجة، تلك التميمة دعاء للنوم المريح، كتبها لي أحد الأولياء.

- وهل ما زلت ترى تلك الأحلام؟

- لا أخفيك، ما زلت أراها، لكن هناك شخص وعدني بأنه سيحل لي هذه

المشكلة.

صفقت والدتي بيديها وقالت بقلق:

- ولماذا لم تقل لي ما الذي يجري معك؟

- أمّاه، لا تهوّلي الموضوع، مجرد حلم مزعج يأتيني في المنام ويذهب. لا تشغلي

نفسك بهذا الأمر.

كان عليّ أن أقول لوالدتي شيئاً عن هذا الموضوع، لكي أفتح الطريق لمجيء

(خوديدا) الى غرفتي. لم تكن والدتي تؤمن بالخرافات ولم تكن متعصبة في إسلامها،

لكنها كانت تخاف من مسائل السحر والحسد والعين، قالت لي:

- القرآن ذكر السحر وهذه الأمور موجودة، وأنا أيضاً رأيت الكثير من امور

العين والحسد... ابعدنا الله عنها. بُني، انت ابننا وما يحدث لك يهمننا. أنا واثقة بان

عيناً ما قد أصابتك، كان عليك أن تقول لنا منذ البداية.

يقينا انا أعلم لم طرفا وسادتي مليئتان، فقد قامت والدتي بتعبئتها بالرقى

والتعاويد المختلفة، ومتأكد أن طلسم (خوديدا) هو الذي غير من سلوك وحركات

المرأة. قررت العودة إلى (خوديدا) لأقول له عن التحركات الجديدة للمرأة. ومرة

أخرى ذهبت برفقة (تحسين) إليه، نقاط التفتيش والمراكز الحكومية قد تدمرت

كلها، أصبحت المدينة خالية من النقاط الحكومية. المواقع الحزبية والمؤسسات

الأمنية قد انتقلت إلى أماكن غير معلومة، بعضها احتلّ الجوامع، والبعض الآخر

تخفى في الكنائس والمدارس.

تفاءل (خوديدا) من ذلك التغيير، ضرب يده بصدرة قائلاً: "بات الحل لدي،

الجمعة القادمة سآتي إلى بيتكم وسأنام ليلة واحدة في غرفتك."

ملاح (خوديدا) وطريقة لبسه كانتا مثار استغراب والدتي كانت تمنع النظر إليه، نادتنى وأخذتنى جانباً قائلة:

- ألا تقل لي ما هذا؟

حتى لا أسبب لها القلق، رأيت بأنه من الصعب شرح كل شيء دفعة واحدة ، لذلك قلت لها:

- أمّاه، هذا الرجل يكتب الأدعية وهو معروف بعمل الأدعية الخيرة، وهو من أقرباء صديق لي في الكلية، سيبقى في بيتنا الليلة وينام في غرفتي.

- ولم لا أجهز له مكاناً للنوم في الصالون؟

- كلا يا أمّاه، هو عمله في غرفتي ويقول: "حتى الفجر لن أنام وسأقرأ التعاويذ وأنظف غرفتك من الأرواح الشريرة".

- من ماذا؟

- أمّاه، هو يرى بأن كانت هناك روحٌ في غرفتي فهو سيخرجها من الغرفة.

كان الاستغراب بادياً على وجه والدتي، وخاصة ملاح (خوديدا) بلحيته الرثة وشواربه الكثيفة، وحديثه عن الروح وأشياء غامضة أخرى، لذلك قلت لها:

- أمّاه، الموضوع لا يستدعي الريبة والقلق، رجلاً أتى كي يدعو لي بالنوم المريح، هو لن يذبحني، هل فهمت؟

انشغل والدي مع (خوديدا) بالحديث عن سير العمليات العسكرية وكأنه في غرفة العمليات، و(خوديدا) أيضاً منشغلاً ذهنه في غرفتي وتلك الروح، فهو يشعر بوجود روح تلك المرأة ويتمنى أن يحل المساء ويبدأ برنامجه في التحضير للعمل...

حل الليل، وأنا قد أخذت حقيبة (خوديدا) منذ قدومه الى غرفتي، ووالدي مشغول بكيفية بدء الهجوم العسكري البري، وهو مصرّ على أن القصف الأمريكي وقوات التحالف لا بد أن يترافق مع إنزال مظلي حول المدن، فهذا أمرٌ سهلٌ لهم... ألف طائرة... خمسة آلاف طائرة حربية، و(خوديدا) يهز برأسه موافقاً.

- لديهم نوع من الطائرات تستطيع حمل عشرة دبابات ويتم انزالها للبر عن طريق المظلات.

لمح لي (خوديدا) انه يود البدء بعمله. قلت لوالدي:

- الاستاذ قادم من طريق طويلة وبحاجة الى ان يرتاح، وبحسب قناعاته فإن عمله في غرفتي بحاجة الى تحضيرات خاصة.

ووالدي وصل الى ميمنة الهجوم البري ولم يصل بعد الى منتصف الهجوم، قام (خوديدا) وقال:

- سيحل المساء.

عندما أخذت (خوديدا) الى غرفتي، نادتنى والدتي حين خرجت من الغرفة، امسكت يدي وقالت بهدوء:

- ماذا يريد ان يفعل هذا الرجل؟

- يريد أن يقطع رأسي من الوريد إلى الوريد... يعني ماذا سيفعل يا أماه؟ الرجل أتى من ذلك المكان البعيد حتى يساعدي، وكل ذلك لأنه قريب لصديقي وإلا فإنه لا يخرج من بيته بأقل من خمسمائة دولار، وهو يرى ان كانت هناك أرواح مسكونة في بيتنا فهو بإمكانه إخراجها، وهذا الامر لا يستدعي القلق والخوف.

- جيد، ولكن هل تعتقد بأن هناك أرواح مسكونة في بيتنا؟

- كلا يا أماه، لكن الرجل يحاول كي لا أرى أحلاماً مزعجة، كي انام براحة، هل هذا الأمر مزعج وغير مريح؟

خفف والدي من صوت الراديو قائلاً:

- اتركه يا امرأة، الأمر لا يستدعي كل هذا الذعر والخوف، فليقم الرجل بأدعيته فلا ضير من ذلك، اما أنا فلا أومن بمثل هذه المعتقدات ولن أومن بها.

عدت الى غرفتي، كان (خوديدا) قد أفرغ ما بحقيبتيه وأشعل سبعة شموع على حافة النافذة، إضافة إلى أنه سحب طاولتي إلى منتصف الغرفة ووضع عليها جمجمة كبيرة وحولها سبعة قرون ماعز وبيده قنينة زيت يعبأ تلك القرون بذلك الزيت وقال لي:

- هذا الزيت من مزار الشيخ عدي.

صب الزيت على القرون وأشعل النار بقداحته بها، تلك القرون أصبحت كشموع تشتعل فيها النار، حينها قال لي:

- لم يبقَ لديك أي عمل تقوم به لي، تستطيع النوم الآن.

- لا أعتقد اني سأنام بسهولة.

- سأجعلك تنام بكل سهولة.

أخرج قنينة صغيرة من جيبه وقال:

- اشرب رشفةً من هذا الدواء.

إلى تلك اللحظة لم يتملكني الخوف، لكن رويداً رويداً بدأ الخوف ينتابني. حدق

فيّ (خوديدا) وتمعنّ في ملامحي قائلاً: هل أنت خائف؟

- ما ذلك الدواء؟

تغيرت نبرة صوت (خوديدا) وكأنه يناديني من كهف عميق وقال بصوت مبحوح:

- إنه محضّرٌ من عدة أنواع، ولا تخف، لن يؤذيك فقط اشرب منه رشفة

واحدة.

لم أرَ مسبقاً ضوء الشموع بتلك الضراوة والقوة، لهيها طويلاً يمتد بخط

مستقيم حتى سقف الغرفة، وقبل أن تصل إلى السقف تتحول الى كتلة نارية.. قلت

له:

- هل أتعري؟

- هذه الليلة بالذات لست بحاجة للتعري، لكن إذهب إلى سريرك وحاول أن

تنام.

أحسست بطعم ذلك الدواء المر كالعلقم في حلقي، وعندما ذهبت إلى السرير

وضع (خوديدا) اصبعه على جبيني وبدأ بقراءة الأدعية ورويداً رويداً كان يزيد من

قوة ضغط إصبعه. تذكرت والدتي حينها، لو انها رأت ذلك المنظر في غرفتي، كيف

كانت ستتحمل ولا تتدخل.

غلبني النعاس. أما (خوديدا) فقد ذهب الى الطاولة وبيديه الاثنتين بدأ برفع

عباءته السوداء حتى بانث خصلات شعره، وبعد برهة، انبثق شعاعان كأشعة الليزر

من عيون تلك الجمجمة الكبيرة، وأنا كلما يمر الوقت يهاجمني النعاس أكثر، كنت

احاول جاهداً ألا انام كي أستطيع الخروج من الغرفة، لكنني لم استطع الحركة،

بصعوبة بالغة كنت افتح عينيّ ولم أكن أعلم بكل ما يدور من حولي، حتى اني لا

أدري متى غلبني النعاس!!

في الصباح حين استيقظت من النوم، رأيتُ (خويددا) جالساً بالقرب من
وسادتي ويحدق بي ، ازحت اللحاف جانباً وجلست، قال لي (خويددا) بهدوء:

- هات يا سنكر، قل لي ماذا رأيت البارحة.

- تقصد ما رأيته، أنت لم تره؟

- أنا كنت مشغولاً بعملِي، ما رأيته أنا أيضاً أنت لم تره! لكن لا تسألني ماذا
رأيت.

- البارحة غرفتي هذه كانت مليئة بالاضواء، رأيتُ تلك المرأة كشعاع دقيق،
وكشلال ماء هبط من سقف الغرفة، اكثر من خمسمائة امرأة كنّ يذهبن صوبها ...
و تلك الأشعة والأضواء رأيتها تموج في الغرفة دون الاقتراب مني.

صقّق (خويددا) ورفع اصبعه قائلاً: لقد انتصرت.

قام وازاح الستارة من أمام النافذة وتمتم قائلاً.

- عزيزي سنكر، إما انها لن تأتيك أبداً، أو انها ان اتت ستبدأ بالتحدث إليك.

لكني اعتقد جازماً انها خلال عشرة أيام قادمة لن تأتيك في المنام وقد لا تأتي أبداً...

طُرق باب غرفتي، والدتي قد جلبت الفطور، خرجت من الغرفة، والذي

والراديو في يده يقترب منا قائلاً:

- ليلة البارحة دمروا بغداد تدميراً، ضربوها بسبعة وعشرين صاروخ

توماهوك، هل تعلمون من أين يُطلقونها؟

لم يتوقف والذي واستمر في حديثه: يُطلقون تلك الصواريخ من البحر الاحمر،

هذه الصواريخ اللعينة ليس فيها مجال للخطأ ولو بسنتيمتر، وكأن فيها جني حتى

تصيب أهدافها بدقة، هؤلاء كأنهم يعتمرون قبعات سحرية أو هم سحرة!!

- أبا سنكر، أنا لست بساحر، فقط أكتب الأدعية والتعاوين.

- أقسم لك يا أخي بأني كنت أقصد بنت الحرام امريكا وأفعالها، ولم أقصدك

أنت.

في تلك الأثناء، اهتز البيت على وقع انفجار قوي، صرخت أُمي بصوت عال

ووضعت يديها على رأسها صارخة: هذه كانت قريبة جداً.

لم أنتظر ما حدث، خرجت من البيت كان الدخان يتصاعد من الشارع. عدتُ

إلى البيت، لقد قصفوا المقر الحزبي في رأس الشارع. أراد (خويددا) الذهاب، لكن

والذي أمسكه من يده وقال له: لن أدعك تذهب حتى تتناول الفطور معنا، نحن أهل
المدينة تعودنا على هذه الانفجارات.

- نحن ليس لدينا مثل هذه الأشياء.

- نتمنى ألا نُجبر على الخروج من بيوتنا، حينها سنأتي إليكم.

بعد عدة أيام من ذهاب (خوديدا) وتعاويذه في غرفتي، بدأت تلك المرأة تأتيني في المنام، لكن هذه المرة كَفَّت عن التحليق في الغرفة وبدأت تمشي ذهاباً وإياباً، وأحياناً تقف قبالي في زاوية من زوايا الغرفة.. وكالمرة السابقة ملامح وجهها ضبابية وصامتة لا تتكلم. بعد اسبوعين بتُّ في وضعٍ نفسي مزرٍ ونويت الذهاب الى (خوديدا) واخباره بالمستجدات التي حصلت معي.

نهضت في الصباح الباكر مستعداً للذهاب الى (لالش)، كنت أفكر بوضعي النفسي، فتلك المرأة عكّرت مزاجي وحياتي كلها، كان وضعي يُرثى له حتى وصلت الى تلك الدرجة التي أخاف فيها النوم كي لا أراها بحلتها الغريبة ووجهها الضبابي تمشي في غرفتي بدون أية كلمة أو لفتة، إلتجأت إلى الأدعية والآيات القرآنية كي أجد منفذاً للخلاص مما أنا فيه، وإلى تلك الأثناء لم أكن قد تصرفت معها أي تصرفٍ مُسيء، لكنني قررت هذه الليلة أن أقول لها.. عكّرت حياتي ليلاً، وفي النهار أصبحت أفكر بالليلة السابقة. وليحدث ما يحدث، الليلة سأشتمها كثيراً.

المدينة بدأت كما لياليها السابقة يُسمع فيها أصوات القذائف والانفجارات والصواريخ تشق عنان السماء.

كنت منهكاً حين وضعت رأسي على الوسادة، لا أدري كيف نمت ومرة أخرى كالعادة أتت إليّ في الحلم، صرخت فيها: ماذا تريد مني؟! وضعت سبابتها على شفتيها وكأنها تقولي لي: (أصمت)..! أدارت ظهرها لي واتجهت الى جدار الغرفة وكأنها تكتب كتابة الكترونية على الجدار وبدأت . بدايةً لم أنظر الى ما تكتب بل كنت مذهولاً من تصرفها هذا. بعد برهة نظرت إلى الجدار كان مليئاً بالكتابة باللغة الكردية الفصيحة. إلتفتت إليّ وأشارت كي أرى ما كتبتة على الجدار... كاك سنكر. أنا امرأة قُتلت قبل ألفين وخمسمائة عام، وقبري تحت غرفتك هذه وأنا مسحورة، وذلك الطلسم سينفك بسهولة على يديك. إن فُكَّ ذلك السحر ستري وجهي وسأتكلم معك وسأخدمك ما حييت، والطلسم المذكور هو بهذا الشكل: هذا الحائط بجانب بيتكم، مازالت آثار (نركال) موجودة فيه وهناك تمثالان لثورين مجنحين موجودين في مقدمة الباب، هناك كتابة على حافر الثور الذي على جهة اليمين

مكتوبة بالخط المسماري على هذا الشكل (?). إن محوت تلك الكلمة فسُيُبطل السحر وأتحرر منه، حينها سأتكلم معك وسأفيدك في كل حياتك.

كنت مازلت أتمعن في كتابتها تلك، حتى اختفى شبح المرأة أمام عيني.

صباحاً حين أفقت من النوم، لم تكن مسألة كتابتها تلك في بالي، لكني حين نظرت إلى الحائط كانت الكلمة المسمارية تلك فقط باقية على الحائط. حينها تذكرت كل كلماتها، وحتى لا أنساها كتبت تلك الكلمة على ورقة وعندما كتبتها، اختفت الكلمة أيضاً من على الحائط. فكرت في قبر تلك المرأة، قمت وضربت برجلي على الأرض. هنا، هنا. مشيت عدة خطوات إلى الجهة الأخرى وضربت برجلي على الأرض مرة أخرى.. كلا، القبر هنا. كلا، إنه تحت الكرسي. كل من يراني على تلك الحالة سيقول: إن هذا الرجل قد جُن. لماذا يفعل ذلك؟ اتخذت قراري.. يجب أن أبقى على ذلك السر وأسير وراءه، ولذلك الغرض ستلزمي مطرقة وإزميل، لأن البحث عن كلمة منحوتة على الصخر ليس بالأمر السهل. فكرت لو كان حراس البوابة موجودين، حينها ماذا سأفعل..؟ أجبت نفسي بأن في هذه المعمة في البلد قد دُمرت أغلب المؤسسات الحكومية، بالتأكيد سيكون الحراس في هذا الظرف مختبئين في بيوتهم مع أولادهم، وتمثالان لثورين مجنحين يبلغ وزنهما حوالي مائة طن لن يكونا بحاجة الى حراس ولن يخطر على بال أحد أني مشغول بالبحث عن تماثيل لثيران حجرية من العصر الآشوري!! حملت كتاباً ودبرت مطرقة وإزميلاً وتوجهت صوب بوابة (نركال). دائماً ما كنت أخاف أن يكون الحراس موجودين هناك، وإن صحّ احتمالي فسأتي ليلاً.

وصلت الى بوابة (نركال) والكتاب في يدي، بدا المكان خالياً حتى من العصافير، بضعة سيارات تمر بين الحين والآخر في الشارع المقابل للبوابة. وضعت الكتاب بجانب اليد اليمنى للثور المجنح ونظرت الى الحافر الخامس للثور واذا نفس الكلمة التي كُتبت على حائطي منقوشة على حافره الخامس، حتى تلك اللحظة لم أكن أعلم ان الثيران المجنحة من العصر الآشوري لها خمسة أرجل بدل أربعة.

جلست عند الرجل الخامسة للثور، كنت أنظر بعين إلى ما حولي وبالعين الأخرى إلى الكلمة المكتوبة على الحافر. أخرجت المطرقة والإزميل بسرعة وبدأت بالنقر على تلك الكلمة.. كنت خائفاً من رؤية أحدهم لي، ومع كل ضربة بالمطرقة

أحس بصوتٍ غريب ينبعث من ذلك الحجر، وكأني أضرب المطرقة برأسي انا. رويداً رويداً اختفت الكلمة أمام عيني من جراء ضرب المطرقة. رأيت كتابات مرعبة على صدر الثور تشبه إلى حد ما الكتابة التي كتبتها المرأة على الحائط. المهم، بعد ان محوت الكلمة، حينها لم أكن أحس بصوت المطرقة ولا ذلك الصوت الذي تصدره. وكي أتأكد من عملي، القيت نظرة فاحصة مرة أخرى حيث لم أبق على أي أثر للكلمة، بعدها خرجت منتشياً من ذلك المكان.

الهجوم البري للتحالف بدأ وفي عدة ساعات قد حققت قواته انتصارات كبيرة على جيش صدام، كانت جثث آلاف الجنود العراقيين مبعثرةً في صحارى الكويت وحول مدنها تحت دخان الآبار النفطية التي أحرقها صدام. انتفض الشعب العراقي في غالبية المدن على سلطة البعث وصدام حسين ورموز نظامه، وأغلب مدن الجنوب العراقي بدأت ملاحقة فلول النظام ودولة البعث. بقيت مواقع للسلطة في بغداد فقط، حيث خرج منها الناس قبل الاجتياح العسكري.

انتفضت مدن كردستان منذ بداية الهجوم الجوي على العراق، ، ايقنوا ان سلطة البعث في بغداد تلفظ انفاسها الأخيرة. مدينة بغداد دُمرت، بعض شوارعها امتلأت بحطام الجدران الاسمنتية التي وضعها السلطة، أينما تنظر تجد الدمار من حولك، بغداد تنفس بصعوبة ولا تجد إلا بضعة عربات تجوب شوارعها. تقرأ في وجوه غالبية الناس الفرح الطفولي بالخلاص، وعلى العكس وتقرأ القلق في وجوه قلة قليلة منهم. هذا وضع العراق عامة تلك الايام ، صواريخ التحالف وأمريكا وصلت الى جنوب بغداد، لم يبق جندي عراقي في الكويت على قيد الحياة، الجثث المحترقة ودبابات الجيش العراقي المدمرة تملأ الشوارع... أقوى خامس جيش في العالم لم يستطع الصمود خمس ساعات فقط، بقي الشعب والناس والوطن بدون راعٍ ، واصبح الناس قلقين على مستقبلهم، الخوف من القادم والمجهول. منذ يوم مقتل خالي، والدتي تقول يومياً:

- من يقول بأن هذه النار لن تحرقنا جميعنا؟ إذا لم نأخذ عبرة من الماضي فالقادم سيكون أصعب. لم يبق الجيش العراقي حتى على الديكة والدجاجات في كردستان، ونفس الجيش فعل نفس الشيء في عدة مدن إيرانية والآن دور الكويت، لم يبق فيها حجر على حجر، وغداً سيذهبون ويدمرون مكاناً آخر.

اجابها والدي قائلاً:

- هذا محال، إن ذهب صدام لن يظلّ الوطن بدون قيادة، هذه البلاد رأت مآسي أكبر من هذه وبقيت.

كنت استمع بصمت، وأقدّر خوف والدي، لكن الحلم وتلك المرأة كانا يستعبدان تفكيري، لم يكن مهماً لي بقاء أو رحيل صدام بقدر ما يهمني موضوع المرأة والحلم. انتظر قدوم الليل وألا أرى تلك المرأة، هل يا ترى سأراها مرة أخرى؟ هل ستحلق بجناحها وتترك المجيء إليّ في الحلم. أتمنى ان تتركني وشؤوني ، سأتححر منها وأعيش حياتي الطبيعية ككل البشر، حيث أكابد المآسي من وراءها، أنقذني يا الله... لم تبق نقطة حكومية في مدينة الموصل إلا وتم قصفها، المدينة تغوص في الظلام، والكلاب الضالة في الشوارع تعوي كالذئاب. لم تبق من المؤونة في المدينة إلا القليل وأسعار المحروقات ارتفعت بشكل جنوني، كنت أرى القليل من موجّهات الستلاينات على أسطح البنايات، والناس في المدينة مزقوا حاجز الخوف، فكل ما يحدث من مجريات الحرب، في اليوم التالي على لسان العامة.

كلما أوي الى فراشي، النوم يجافي عيوني، اتقلب في سريري يمناً ويسرة، أفكر في تلك المرأة، إن طلبت مني شيئاً آخر فماذا سأفعل؟ أتوجه لمن؟ هل يستطيع (خوديدا) إنقاذي من هذه المصيبة؟ وان لم يقدر، إلى من سأتوجه؟ ما طلبته مني تلك المرأة نفذته، فهل ستتركني بعد كل هذا العناء؟ إلهي أنجذني... نطقت الشهادة وقرأت الفاتحة على روح الرّسل والأولياء، وقررت أن أردد أسماء كل الرسل والأولياء من كافة المذاهب.. لا أدري إسم أي من الأنبياء ذكرت. وأخيراً لم أعلم كيف استسلمت للنوم، ذات المرأة زارتني في الحلم.. ملامحها تدل على الانهيار والفرح وأسمع صوت قهقهاتها. أول مرة أراها بهذه الهيئة ، ضحكاتها تتبعثر في الغرفة وكأنها تطلقها في وادٍ عميق ينثر صداها، ذلك الصدى الذي يرتطم بقوة ويحدث ارتداداً في الصوت. كنت انظر إليها بخوف وهي مستمرة في ضحكها، عندما امعنت النظر في وجهها، انبهرت لاني لم أر إمراة بجمالها في كل الكرة الأرضية، أردت قول شيء لها، استقرأت أفكارني، ووضعت سبابتها على شفيتها علامة أن أصمت... تملكني الذعر، اكتفيت ان أنظر إليها بصمت ولم أقم بأي شيء آخر. وكمفتاح تريد به اطفاء عربة توقفت ضحكها بشكل مفاجئ، بقيت صامتة، تنظر إلي وكأنها تراني لأول مرة.

استرسلت مرة أخرى بالأدعية والصلوات حتى أخفف من وطأة الحلم. أصلي وأقول: "يا الله، أنت تعلم بأني لا أصوم ولا أصلي، لكني أؤمن بكتابك وإنك خالق هذا الكون الواسع، وبرأيي فإن العالم ليس فقط الصحراء العربية وانك خالق وإله تلك المجرات، فانت اعلم بتناسق وجمال هذا الكون... إلهي أنقذني، فيما أن أموت أو أتحرر من مصيبتى هذه".

بدأت المرأة مرة أخرى بالضحك والقهقهة، وبدأت المعاناة نفسها مرة أخرى أيضاً. توصلت الى نتيجة أن هذه المرأة تستطيع قراءة أفكارى.

جلست المرأة على الكرسي خلف طاولتي الصغيرة ووضعت يديها تحت فكّهما وبقيت صامتة لبرهة من الزمن، هزت برأسها عدة مرات وبدأت بالحديث:

" النتيجة، إنى بعد ألفين وسبعمائة عام قد تحررت.. التحرر من الإنتظار والصمت، من البرزخ بين النوم واليقظة، بعد كل هذه المدة الطويلة تحررت على يديك.. كنت مجبراً على التعامل معك بذلك الشكل، لكن لم يكن هناك من حل غير ذلك... في عالمنا، عدا الأرواح الحرة التي تستطيع في مرحلة من المراحل ان تعود إلى بداياتها وبأسلوبها الخاص تستطيع ان تعذب ذلك الجسد أو أن تطلق العنان لتلك الروح... أما الأرواح الخيرة فيغضون النظر عن الزمن وعلمهم الإنتظار... كما سمعت بقيت ألفين وسبعمائة عام وأنا أنتظر".

- يعني أنك لا تريدين الإساءة إليّ؟

عادت إليها ضحكتها مرة أخرى... اللعنة، مرة أخرى الضحك.

علمت فوراً ما يجول بخاطري...! لذلك قالت:

- إن لم يعجبك ضحكي فلن أضحك من الآن فصاعداً.

- بالعكس، أنا أحب الضحك كثيراً... أود أن أعرف الكثير عنك، ان أعرف من

أنت؟ وماذا تريدين مني؟

- ألفان وسبعمائة عام وأنا أنتظر، أدعوك أنت أيضاً ان تمهلي فترة. أؤكد لك

بأنى لن أؤذيك، على العكس فسأكون بخدمتك وقد أكون قادرة على فعل الكثير من

الأشياء وتستطيع أن تجرّب ذلك، وان لم تقتنع ، فأنا سأظل ممتنة لك، لانك

حررتني من ذلك السحر الأسود كل هذه المدة الطويلة. إن أردت سأظل معك، وإن

لم ترغب فإنى سأصفق بجناحي ولن أعود إليك مرة أخرى.

- وماذا تستطيعين أن تفعلي لي؟

- قبل كل شيء عليك أن تعرف من أنا ومن أين؟ حينها نتحدث في ذلك؟

- حسناً ، بأي إسم أناديك؟

- أنا إسمي (دغدو). لكن لا تناديني، لإني أعلم بما ستقوله قبل أن تنطق به ،

وسأجيبك. لكني أود أن تجيب عن سؤالي، أذهب أم أبقى؟ إن ذهبت فإني سأذهب

إلى الأبد، وإن بقيت فأني لن أتخلى عنك وسأظل إلى جانبك دائماً، بشرط ألا تحدث

أحداً عني وعن ما أستطيع فعله.. إن وافقت، سأبقى... حتى أمام (خوديدا) حتى وإن

ساعدك هذا الرجل في فترة ما ، لكنني لا أريد أن يعرف بما يحدث بيننا. إن سألك..

أشكره على مساعدته وقل له: إنها ذهبت ولم تعد تأتيني في الحلم... هل توافق؟

- أوافق وأقسم أيضاً بأنني لن أذكر اسمك أو أتحدث لأحد عنك؟

- عزيزي سنكر، قصتي هي ملحمة طويلة، ما أستطيع سرده سأقوله لك،

وهناك أشياء أخرى كثيرة لا أستطيع التحدث عنها. في تلك المدة الطويلة التي بقيت

فيها قيد الإنتظار والصمت، لم أستطع مجارة ذلك العصر والأرواح المتنقلة فيه ،

لكني امتلك كاريزما تميزني عن تلك الأرواح وانا على علم بأفعالها وأعمالها، والرب

أعاني على تلك القدرة حتى أكون على إطلاع بكل تفاصيل الأحداث على كوكبي وعلى

الأرض وكنت أنظر إليها وكيف توالى الأحداث وكيف مرّ الزمن عليها. لأقل لك أيضاً

أن هناك كواكب ونجوم أخرى لا أعلم عنها شيئاً ولم أصل إليها حتى، ولا أعلم كثيراً

عن دنيا الأرواح في عالمكم، ان لم تحدثني أنت عنها وتشرحها لي، حتى أعرف ماذا

أسألك وعن ما أريد. كل ما أعرفه، إنك لست لوحديك، لا بل الكثيرون الذي يرون في

أنفسهم علماء ومفسرين يفكرون بشكل خاطئ ويقيّمون الأمور حسب أهوائهم.

- وأنا من أين سأعلم بهذه الأمور؟ إلا في حال إن بدأت منذ الغد بقراءة الكتب

التي كتبت عن عصركم..

- ذلك عائد لك، لكنني أصحح معتقداتك. اتركنا الآن من هذه الأمور ودعني الآن

أسرد لك مأساتي... أتحدث أم لا؟.

لم أنعم في أعماقي بتلك الراحة منذ زمن، كانت (دغدو) ماثلة أمامي بوقار

وصرامة وتمعن في النظر ، نسيت إنها تقرأ أفكاري. قلت في نفسي " يا إلهي هذه المرأة

كم هي جميلة، قد تكون حورية من حوريات السماء أو إحدى أميرات أعماق السماوات".

ضحكت (دَعْدُو) فجأة وقالت:

- أنت مُحَق، فقد كنت في أيامنا من أجمل نساء زماني.. للأسف لم أنل من ذلك الجمال غير التعاسة والكوارث، وليس عليّ فقط بل تسببتُ بالتعاسة لمن حولي ولأناس كثيرين. وقد يكون جمال حوريات السماء ليس بمستوى جمال الأنس، فهنّ جزء من الضوء الرباني وجمالهنّ يختلف عن جمال الأنس ويختلفن في أرواحهم أيضاً.

- تحدثي لي عن نفسك، يعني توَدِّين أن تقولي بأن الحوريات أجمل منك؟

- لا تستطيع أن تقارن بين جمال الحوريات وملائكة السماء وبين الأرواح فهم مختلفون، الحوريات جزء من شعاع الرب والأرواح آتية من الحس البيولوجي وقد مرت هذه الروح بالكثير من المراحل.

- ألا ترين بأنك محافظةٌ على جمالك؟!

- كثيرة هي الأرواح التي تغيرت ولم تبق على ما هي عليه، وهي حكمة إلهية. صحيح أن القاعدة الأساسية هي نفسها مرتبطة بالخير والشر، لكن موازين الحياة على الأرض مختلفة عن ما هي عليه في السماء.. أنا إبنة (دياكو) من أوائل أباطرة حكم سلالة (ماد). صيت جمالي كان قد انتشر في كل أصقاع الأرض. بعث (سارجون) امبراطور السلالة الآشورية القوية برسالة إلى والدي كي يرسلني له كهديّة، لكن والدي كحاكم لتلك الأصقاع ومعروف بحكمته ومحبته لشعبه وناسه أراد رفض طلبه هذا، لكن مجلس عشائر و حُكّام (ماد) أجبروا والدي على قبول أمر (سارجون). واعتبروا ان دعوته هذه هي بمثابة حجة للهجوم على (ماد) في حال تم رفضها. والظاهر ان (سارجون) استعد منذ فترة لذلك الهجوم، وهاجم بلادنا بجيوش كبيرة وجند كثيرين وعلى حافة بحيرة (جيجيست) وقعت معركة دامية.

- بحيرة ماذا؟

- جيجيست... أنتم تقولون لها بحيرة (أورمية) كانت قوات الآشوريين كبيرة جداً وتفوق كل تصور، ولم يستطع الجيش المادي الصمود أمامه لأكثر من أسبوع، حيث اندحر الجيش المادي وقتل منه الكثير، وقبضوا على والدي وعلى أناس كثيرين،

بداية كانوا يودون أن يقتلوهم جميعاً. عندما رأني (سارجون) قرر أن يُبعد والدي عن (ماد) ونقله الى (حماه) في سوريا وهكذا نجا والدي من القتل.
- أي أن جمالك كان هو السبب في انه لم يقتل والدك وحكام ماد؟
- هذا ما قاله لي (سارجون).. بأنه لم يقتلهم لأجلي.
- إذاً، لماذا تقولين بأن جمالك هو سبب الكوارث والدم، ألا ترين بأنه سبب الحياة أيضاً.

- لأنك لا تعلم بأن في تلك الفترة القصيرة قُتل آلاف الناس وآلاف البيوت دُمّرت والآلاف شردوا وتم نهب ممتلكاتهم .
نظرت (دغدو) نظرة ثاقبة إلي قائلةً:

- بدأت تباشير الصباح تلوح في الافق ، سنؤجل حديثنا إلى وقت آخر.. من الآن فصاعداً علاقتنا لن تكون كما في السابق، فقط سأراك في الحلم، لن أبتعد عنك أبداً.. الأمر متعلق بك، فمتى أردتني سأتيك فوراً. سأجعل لك مكانة في فكري وكياني، ولن أبتعد عنك ومتى أردت أن أبتعد عنك، فبلمح البصر سأخرج من حياتك ...

تحررت الكويت، وتوقفت الحرب، بدون قيد أو شرط، داخل خيمة وقّع كبار ضباط الجيش العراقي الذي يمثلون صدام حسين على إعلان التسليم. العالم الحر كان مستغرباً من هذا. مؤسسة قمعية ودموية كسلطة البعث، كيف ستبقى بهذا الشكل، وفوق هذا، سمحوا للطيران الحربي المروحيات بالاقلاع، وقام الجيش العراقي بتنفيذ المجازر الجماعية في المدن المنتفضة واعتقل الآلاف بدون محاكمة أو مساءلة، تم قتلهم فور اعتقالهم، قام الجيش بتنفيذ المجازر بدون رحمة، ليلاً ونهاراً. المطبلون والمزمرون للسلطة بدأوا بحملة تهويل للانتصارات التي حققها الجيش في الكويت وطرد العدو وأسموا معركتهم تلك بأمر المعارك.

بعد تدمير النجف وكربلاء وبعض المدن الأخرى في الجنوب، توجه الجيش الدموي العراقي صوب كردستان، بدأ الناس بهجرة مليونية خوفاً من استخدام السلطة للأسلحة الكيميائية. معظم الناس، بكل أطيافهم تركوا مدنهم وبيوتهم وتوجهوا الى تلك الجبال، لم يستطع العالم الحر الوقوف أمام هذه التراجيديا التي يقوم بها النظام العراقي، وبقرار من الأمم المتحدة قاموا بتأمين خط للأمن والحياة للشعب الكردي.

انسحب الجيش العراقي من كردستان، وطن مدمر، وشعب منهك، عاد الناس مرة اخرى إلى مدنهم وبيوتهم وقراهم، والجوع والإنهاك باديان على محياهم. دخلت المدن العراقية في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل. لم يتوقع أحد أن يتم طرد صدام حسين بتلك الطريقة من الكويت، وكأنها مسرحية مُحضّرة مسبقاً، حيث كانت الغيوم التي شكلها الدخان المتصاعد من آبار النفط التي تم إحراقها، قد خيم على الدول المجاورة للكويت. ومع كل هذا، كان صدام حسين في الحكم بعد ان كان انهيار نظامه في حكم المحقق. كان والدي مضطرباً يقطع الحوش ذهاباً وإياباً ويضرب يديه بعضها ببعض ويقول: كيف ذلك؟ ولأجل ماذا؟ لم لم يُقتل هذا الشخص وفوق كل ذلك يظل في الحكم؟

والدتي تقاطعه أحياناً قائلة:

- ألم أقل لكم، تلك الطبخة مُعدّة منذ زمن وقد انضجت أيضاً، لم تكونوا تصدقونني وكنتم تصرخون: بقاء صدام هو محال وهو ضرب من الخيال. الساسة الغربيون يفهمون جيداً ويعملون فقط من أجل مصالحهم، ودماء آلاف الأطفال الأبرياء لا ... قاطعها والدي

- يا امرأة، الأمر ليس بذلك الشكل.. العالم تغير، من قوّض البرنامج المعد سلفاً هي ايران... لولا انتشار الباسداران في الجنوب أيضاً لكان سقوط الطاغية مضموناً، لكنهم يخافون أن تصبح العراق دولة اسلامية متطرفة كإيران، وإلا فانهم قد جهزوا رحيله.

- هذا كلام فارغ، منذ البداية هذه الحرب مرتبة على هذا الشكل، أليس هناك وجود للباسداران والاستخبارات الايرانية هنا في كردستان؟ تسمع صفيهم من كل طرف... أليس كذلك؟

- نعم، وضع كردستان مختلف عن وضع جنوب العراق، في كردستان تصب العلاقات في مصالح الطرفين، أما في الجنوب فالعلاقات هي دينية... الدين لا يصب في مصلحة الناس وبالنسبة للغرب فإن التعصب الديني وخاصة الإسلامي يعد من أخطر الظواهر لديهم.

احترتُ بين والدي ووالدتي... لماذا انت صامت ولا تتكلم؟
بدوري أليت ان لا أتدخل بينهم، إلا حينما يبادرونني بالسؤال. بعدها بادر والدي وسألني:

- أنت مقبل على إنهاء الدراسة وستنال درجة البكالوريوس، والآن غالبية الناس يتحدثون عن هذه الحرب، إلا أنت صامت لا تتكلم؟!

حربي الحقيقية بين عقلي وعاطفتي، لم أكن أهتم بالحرب أو ببقاء صدام في الحكم أو زواله. رأيت من الأفضل أن أستعين بـ (دغدو)، وبدقيقة واحدة اجابتنى كما وعدتني:

- ذلك الرجل سيظل لعشرة سنوات أخرى في الحكم وبعدها سيُقتل. قصدي صدام حسين... صدام.

احترت في الإدلاء بتلك المعلومة، بينما والداي يتناقشون كديوك متصارعة. بدون أن انظر إليهم قلت :

- لا تتعبوا أنفسكم، سيبقى صدام في الحكم لعشر سنوات أخرى وسيقتل بعدها.

انتفض والدي وكان حديداً مصهوراً وُضع في يده:

- ماذا؟ عشر سنوات؟ هذا الكلام لا معنى له!. من أين جاءك هذا الإلهام؟ من السماء؟ بعد عشر سنوات أخرى لن يبقى وآلاف آخرون سيقتلون...
- سنبقى ان شاء الله... كلامي ليس بسند ولا وثيقة حتى تقلق نفسك هكذا. هذا رأيي وقتله، قد لا يكون كذلك وقد لا يبقى إلى الغد أيضاً...!

سمعنا طرقاتاً على الباب. حضر تحسين وعلامات الحزن بادية عليه:

- هل رأيت، بقي هذا الرعديد كما هو؟ يقولون بأن أتباع صدام في الجنوب أصبحوا كالكلاب المسعورة، يقتلون الآلاف من الناس بدون رحمة في اليوم الواحد.
- وكيف عرفت ذلك؟

- أتى قريب لي البارحة من الجنوب وتحدث لنا عن وضع بغداد والجنوب، يقول: قبل بضعة أيام في نادي (السيد) وهو مصيف لـعدي ابن صدام، كانت هناك حفلة وهو بنفسه أطلق آلاف الاطلاقات وأتباعه نزلوا إلى الشوارع وبدأوا بإطلاق النار العشوائي على الناس.

- من فرحتهم لأنهم انتصروا في الحرب؟

- نعم، فهم هكذا يعتقدون، هم يرون أن بقاءهم نصر لهم، وإن بقي الوضع كذلك فسيهاجمون كردستان أيضاً.

- ومتى توقفوا عن هجومهم على الشعب؟ فليهاجموا.

- كلا، هذه المرة الوضع مختلف، ألم يقصفوا مدنا كما قصفوا حلبجة بالأسلحة الكيميائية؟ هل تستبعد ان يقوموا بأفعالهم تلك؟

- لم أفكر في ذلك، إن استخدموا الأسلحة الكيميائية فإنه من المحال أن نستطيع صدهم.

- الناس يخافون من هذا الأمر، تلك حرب غير متكافئة. عندما قصف حلبجة من اوقفه عند حده؟ لم ينبس أحد ببنت شفة.

بدأت أفكر في الأمر، مستقبل الناس و صدام والأسلحة الكيميائية. هل سيستخدمون الأسلحة الكيميائية؟

اجابتي (دغدو) بلمح البصر:

- كما قلت، سيبقى صدام حتى عشر سنوات أخرى في هذه المدة لن يستخدم

الأسلحة الكيميائية في كردستان..

بابتسامة قلت له بهدوء:

- لا أعتقد ان يستخدم الأسلحة الكيميائية مرة أخرى في كردستان.

حركت تحسين يديه غاضباً:

- ما تقوله لا ينفع (إنه صدام صدام) ان كان معه قنبلة هيدروجينية

فسيستخدمها أيضاً. إذهب وانظر الى الجنوب، أنهار من الدماء تجري هناك، ولم

يردعه أحد.

فكّرت بأنني لا يجب ان أصرّ على رأيي.

- أنا قلت رأيي. بعدها من قال لك بأن ذلك سيحدث؟ كل ما تتوقعه قد يفعله

صدام، لكن لا تنسى بأن العالم في تغيير.

- بالنسبة لنا نحن الكرّد فالسماء بذات اللون من الجهات الأربعة، هذا الشعب

لم يعد يثق بصدام مثقال ذرة واحدة، كل الجحوش الذين كانوا أعواناً لصدام

غالبيتهم شاركوا في الانتفاضة وهم جاهزون للحرب.. صحيح نسيت، في يوم الجمعة

عدتُ إلى لالش وذهبت إلى (خوديدا) وسألني عن أخبارك وقال: "أما يزال يرى تلك

الروح في مناماته؟".

- صراحة أود أن أزوره مرة أخرى كي أشكره.. اشكره والحمد لله منذ تلك الليلة

لم أعد أرى شيئاً وبعد ذهابه لم تعد تأتيني تلك المرأة في المنام، وقل له الموضوع

انتهى.

- ألم أقل لك بأن (خوديدا) قادر على هذه الأشياء؟

- أشهد بأنه فعل ذلك وأنا مدينٌ له (أتت دغدو وقالت.. ابتعد عن هذا المكان،

هناك قنبلة من القصف السابق لم تنفجر بعد وستنفجر الآن..). أمسكت بيد

تحسين وبسرعة قلت له:

- دعنا نذهب إلى السوق.

- سحبي تحسين متردداً:

- اتركني.. لستُ نعجة حتى تسحبي بهذا الشكل..

- أيها المعتوه، سأعزمك على سندويشة، إن لم تُسرع فسأندم ولن أكرر
العزيمة..

ابتعدنا مسافة مائتي متر، انفجرت تلك القنبلة وطارت بعض الشظايا بقربنا.
اندهش تحسين وباستغراب بدأ يكلم نفسه:
- لساعة كنا هناك في ذلك المكان.. هل تعلم بأن سندويشتك أنقذتنا، وإلا فإننا
كنا سنأكل السندويش في العالم الآخر.. ابتسمت له ولم أنطق بأية كلمة.

- نعم يا (دغدو) لم تكلمي حديثك..؟

حديثي أنا وأنت لن ينتهي بهذه السرعة.. منذ مدة طويلة وطويلة جداً وأنا امضي أيامي بين الموت والحياة، أحداث كثيرة مرّت بي. إذاً، كما قلت، قاموا بإبعاد والدي وأقربائي إلى سوريا وأنا أصبحت جارية من جوارى امبراطور آشور الدموي (سارجون). أما (سارجون) هذا فماعداد والدة ولي العهد فله العديد من الجوارى، يختارني يوماً من بين الجميع ليقضي ليليته ومجونه معي مما أثار غيرة زوجته، أصبحت عروسة ليليته دون الأخريات.

- حسناً ، وما هو رأيك؟ هل كنت سعيدة بتلك العلاقة؟

- كنتُ أصطنع السرور. لكن كل تفكيري عند والدي وأقربائي وأمرء (ماد).. ف (سارجون) من كبار أباطرة زمانه وبإشارة منه يستطيع ان يقتلهم جميعاً. دعك من السعادة بتلك العلاقة الآن، فأنا حينها أحمل مسؤولية وجدانية وقومية على عاتقي. نعم، غالبية نساء الامبراطورية الأشورية يحلمن بوصول (سارجون)، والجوارى كن بغالبيتهم من بنات الأمراء وحكام البلاد التي وقعت تحت سلطة (سارجون).

- إلى الآن لم تجيبي عن سؤالتي.. حين تقضين الليالي مع (سارجون) هل تحسّين

بلذة الوصول معه؟

- حقيقةً؟ كانت اللذة ميتة في داخلي، لم أستطع نسيان ما جرى لأهلي، لذلك

انا مجبرة على اصطناع الفرح والسرور، ولم أدع احداً من حولي يحسّ بما يجول في خاطري. في أحد الأيام فاجأني (سارجون) بسؤاله:

- أنتِ سعيدة الحظ.

اجبته:

- أيعقل أن أكون بقرب كبار أباطرة العالم ولا أكون سعيدة الحظ؟

- أيلزمك شيء؟

- نعم.

- أطلبي ما تريدين.

- اتمنى لطف ورحمة جنابكم، لكن لي طلب وحيد..!

- على ألا يكون طلبك هو عودة والدك وأقربائك!!
- عزيزي الإمبراطور، إن وضعت يدك في أية معضلة فإنها ستحل بكل سهولة،
فهنيئاً ومشكلي الوحيدة هي أمان والدي وأقربائي.

- ليس الآن، إلى أن أعود من حملي هذه سأحقق أمنيتك. لا أدري كم ستطول
هذه الحملة، لكنني أعدك بأني سأرجعهم لك، وهذا وعد من الإمبراطور (سارجون)..
إذاً، وافق (سارجون) على مسعاي وطلبي. بدايةً، أراد أن يأخذني معه إلى تلك
الحملة. لكن بعد عشرة أيام من التجهيزات والاعداد لها، غير رأيه وقال بأن تلك
الحملة مليئة بالمصاعب ولا أريدك أن تواجهيها معي.

كنت قد ضمننت حرية والدي وأمراء (ماد) بموافقة الملك (سارجون).. عندما
تحركت الملك في حملته العسكرية، بعثت بتتاري إلى والدي كي يخبره بموافقة الملك
على تحريرهم. والدي علم بذلك بحسب تنبؤات كبير رجالات المحفل الديني (موشي
موغان) بموافقة الملك على إرجاعه إلى بلاده، فتلك التنبؤات محل تقدير في كل بلاد
(ماد) ويؤمنون بها وفيها ملامح المستقبل لأوضاع المملكة وما ستؤول إليه الأوضاع في
العالم، حيث مُدوّن في تلك التنبؤات بأن والدي سيصبح ملكاً وسيحكم لعدة
سنوات، تلك التنبؤات دَوّنها (موشي موغان) في كتاب كان محفوظاً لدى والدي في
صندوق، وبعد الحملة الثانية لـ (سارجون) سلّم والدي الكتاب لأحد أعوانه واسمه
(أوراش).

بحثت عن ذلك الصندوق كثيراً لكنني لم أجده، وتبين لي فيما بعد بأنه هو أيضاً
تم جلبه كأسير إلى نينوى وقُتل هناك والصندوق اختفى ولم أجده وأرسلت تلك
المعلومة إلى والدي الملك (دياكو)...

بعد خروج الملك (سارجون) من نينوى، استلمت زوجته كامل أعمال المملكة
من بعده، أعلمتني إمرأتان من حريم الملكة بسريّة تامة بأن هناك مخطط ضدي من
قبلها وعليّ اليقظة من ذلك المخطط. علمت بأن الملكة تخطط لذلك منذ زمن حتى
تُبعدني عن الملك. الملكة فضلاً عن كونها والدة ولي العهد، فهي آشورية، وماذا أفعل
وأنا الجارية والعبدة أمامها؟ فكرت كثيراً كيف أحمي نفسي، لم أكن قادرة لا على
الهرب ولا على فعل أي شيء آخر ولا حتى إعلام الملك بالخطر المحدق بي.

وهكذا لم تفدني لا الأدعية ولا أي شيء آخر. في إحدى الليالي ربطوا يديّ وفيه وأخرجوني من القصر وأبعدوني مسير عدة أيام عن مدينة نينوى، بعدها تبين لي بأنّي في سوق بيع الجوّاري بمدينة (بابل). واشتراني أحد أمراء بابل وأصبحت عبدة له.. طالت حملة الملك (سارجون) سنة بكاملها، وأنا أمضيت تلك السنة في (حرمملك) ذلك الأمير البابلي الذي عاملني كأبي جارية من جواريه.

- بداية وصولك إلى تلك المدينة، كيف عرفتِ بأنّها مدينة بابل؟

- كنت قد سمعتُ عن أسماء معابدها سابقاً، فضلاً عن ان الزي واللغة في بابل كانتا مختلفتين عن الزي واللغة الآشوريتين. بعد الحملة الآشورية على بلادنا، القليل من الناس يجيدون اللغة الآشورية، وفي بابل أيضاً يعرفون القليل عن هذه اللغة. عندما سألتهم بالآشورية قالوا لي بأنّها مدينة بابل. عندما رأيت أسوارها إندهشت أيما اندهاش، فهي ذات صيت قوي في كل تلك الأصقاع. كانت ثلاثة أسوار تحيط بالمدينة، وكل سور منها أعلى وأوسع من الآخر. السور الأول يسمونه بسور (نيمتي بيل) والعربات الحربية تسير فوقه، أما السور الثاني الذي كان أضخم وأعلى من الأول فكان معروفاً باسم (أمكوربيل) حيث كانوا يضعون نقاط مراقبة على مسافة كل عشرين متراً منه. كانت أسوار بابل وحدائقها وينابيعها مثار اعجاب ودهشة العالم في ذلك العصر.

- تسردين ذلك وكأنّ هناك فارق كبير بين نينوى وبابل؟

- هو كذلك بالفعل. الاختلاف الجذري في طريقة التفكير عند الشعبين، حيث ان الآشوريين يعتاشون على الحروب والحمالات على المدن والبلدان الأخرى ويظهر ذلك جلياً في أعمالهم الفنية في تلك الفترة، على العكس منهم البابليون يهتمون بالتجارة والصناعة والحرف الفنية، وسوق بابل يزدان بصناعاتهم، إضافة إلى البضاعة التي كانت تأتيهم من البلدان المجاورة أيضاً. الإختلاف الآخر هو بطريقة تفكير ملوك تلك المدينتين، فملوك بابل يتممون أعمال ملوكهم السابقين، اما ملوك آشور فيدمرون ما بينيه ملكهم السابق. في نينوى كانت كل أعمال ومؤسسات الدولة تُبنى من الحجارة، مثل ذلك الحائط المحاذي لبيتكم. في بابل يستعملون الطين والفخار الأحمر في بنائهم، كبوابة عشتار التي مازالت آثارها باقية ومحفوظة في متحف برلين... كل من ينظر الى زرقة تلك الاسوار الفيروزية يندهش من جمالها

الخلاّب. كنت قد سمعت كثيراً في السابق عن معبد (مردوخ) وبعد ما رأيته، وجدت انه يمثل تحفة معمارية في ذلك العصر. وشعب بابل يفتخر بنفسه وبمدينته فبابل بالنسبة لهم مركز الكون وقطبه .

- نحن نعلم بأن سومر هي مهد البشرية الحقيقي، أصحيح هذا أم لا؟
- لا أحد يستطيع إنكار ذلك، فمنذ القدم أسلوب الحكم فيها (حكم مديني) وفي جنوب وادي ما بين النهرين تم تأسيس عدة أشكال للحكم في كل مدينة، كحكم: أريدو، أور، نيبور، كيش، لكش.

- اتركي ذلك الوادي الآن، بالنسبة لنا نحن الكرّد، فإن أصولنا تعود ل (ماد). ألا تقولين لي، كيف لشعب يكون مستعمراً من قبل الأشوريين لمدة خمسمائة عام. أنتِ كأميرة من (ماد) كيف تفسرين هذا الأمر؟

- هذا الحديث سيطول كثيراً وقد يسبب لك صداعاً في الرأس. لكن، دعني أقول لك شيئاً.. صحيح انكم من سلالة (ماد) وهناك الكثير من الوثائق تؤكد هذه الحقيقة، وصحيح ان هناك سبب خارجي لما ذكرت، ألا وهو تنالي الغزوات على كردستان، لكن السبب الآخر هو منكم أنتم، أهو جهل أم قلة معرفة منكم...! فأفعالكم وطبيعتكم الآن تدلُّ بشكل قاطع بأنكم من سلالة (ماد). بعد ألفين وسبعمائة عام وما زال التفكير ذاته والصراعات الداخلية قائمة بينكم، حتى أصبحت هذه التناحرات ثقافة. لمدة خمسمائة عام لم نكن نحن ال(ماديين) أصحاب مملكة خاصة بنا. طبعاً، لم يكن ذلك بسبب الحملات الأشورية فقط. السبب الرئيسي وعدم اتفاقنا وتشرذمنا وصراعاتنا الداخلية. ف (ماد) مكونة من ستة قبائل وكل قبيلة من هذه القبائل لها حكمها الخاص بها، وفي كثير من الأحيان يتقاتلون بينهم ، وأولها قبيلة (بوسي) التي قطنت حول بحر (كاسين) وبعدها استوطنت في جنوب كردستان، موطنكم الحالي الآن.

- أي أننا كرّد جنوب كردستان أصلنا من قبيلة ال(بوسي)؟

- كلا. أولاً: عندما تأسست دولة (ماد) كانت تلك الدولة خليطاً من عدة قبائل، وحكمها كان واسعاً. ثانياً: قبيلة (بارتيكت) غالبيتها تعيش في المدينة وحول (الأسيدان) وحتى أصفهان الحالية. ثالثاً: قبيلة (ستروخاني) تتواجد في مناطق سمرقند وخوارزم وتعتاش على الزراعة. رابعاً: قبيلة (أريزانت) وهذه القبيلة من أهم

قبائل (ماد). خامساً: قبيلة (بودي) تستوطن غرب بلاد (ماد). سادساً: قبيلة (موغ) من القبائل الرحّل وكانوا يجوبون بلاد (ماد) وينشرون الديانة (الميتراية) بين الناس، وأغلب رجالات الدين يُختارون من هذه القبيلة وهم محل ثقة الجميع. عائلتنا هي من هذه القبيلة.

- بتلك الأوضاع المتشردمة كيف استطعتم تأسيس حكم (ماد) القوي؟
- أنا أعرف بأنكم -الكُرد الحاليين- لا تعلمون الكثير عن ماضيكم وماضي (ماد)، لا أدري ما السبب في ذلك، لكن تلك هي الحقيقة المرّة. إن سردت لك الأحداث التي جرت في عصرنا وما قبل عصرنا، فلا نهاية لهذا الحديث. أقول لك بكل ثقة انه لولا حكمة والدي، فربما كنا سنتقاتل لمئات السنوات الأخرى.
- اللعنة، ذلك الاقتتال والحروب الأخوية وصلت منذ زمنكم إلينا، أتعلمين كم قتلنا من بعضنا؟

- نعم، واعرّف بدقة، الأفعال والأعمال ما خلف الستار أيضاً، لكن لا تطلب مني سردها لأنها ستفتح جراح الكثير من الناس، فقط أقول ما أشبه اليوم بالبارحة، العملاء والجحوش كثر وما خلف الستار أفضع من المكشوف.

- قصدي في عصر (ماد) أم في عصرنا الحالي؟
- قصدي نحن وأنتم.. نحن بعد عماء طويل والكثير من القتل استطعنا أن نتوحد ونجتمع حول ملك واحد.. لولا حكمة والدي الملك (دياكو) لما توحدت تلك القبائل تحت راية واحدة. انتهوا لما حولكم فهناك الكثير من المطبلين بينكم..!
- أعلم ذلك.. لكن لماذا أستعمركم الآشوريون مرة أخرى واستعبدوكم ثانية؟
- كانت أسباب هزيمتنا كثيرة جداً. السبب الرئيسي كان تمرّد قبائل (ماد) على سلطة والدي والنتيجة هي دمارهم جميعاً واجبروا بعدها للرضوخ لسلطة (سارجون) الآشوري وهم نادمون إلى الآن. فلا تنهافتوا كثيراً لأن ذلك سيحدث لكم أيضاً.

- كيف كنتِ تقضين أيامك في بابل وكم بقيت هناك؟
- بقيت حوالي السنيتين في حرم سرايا ذلك الأمير البابلي، وانجبت ولداً من ذلك الأمير، لكنه مات بالحصى... الآن ستأتي والدتك وتساءلك: لم أنت صامت هكذا؟ وكأن رماد الموتى قد ذرّ على رأسك؟

بعد برهة، أتت والدتي إلى غرفتي وعلامات القلق والتردد بادية على محياها
وسألته نفس السؤال الذي ذكرته (دغدو)..!

- أمّاه، لم يحدث لي أي شيء، كنت أفكر في الآلاف الذين قضوا في هذه الحرب
وصدام بقي على ما هو عليه.. هذا فقط هذا ما يقلقني لا غير..

- أي أكون مطمئنة على أنك بخير، اخاف أن يكون الموضوع أكبر من صدام
وحروبه، أكون عاشقاً ولا تخبرني يا بني؟

- لا يا أمي، اطمئني. إن حدث شيء من هذا القبيل فلن اخفيه عنك.
- أتمنى ذلك.

أحسست بخجل دفين، اني كذبت على والدتي بتلك السهولة ولم أستطع أن
أحدثها عن (دغدو)..

ماذا كنت سأقول لها؟.. أقول لها بأن إبنك قد أبتلي بالعيش في أحداث دارت
رحاها قبل الفين وسبعمائة عام، وإن تلك الأحداث تسيطر على كل تفكيره ووجدانه
وأصبح صديقاً وأنيباً لروح أميرة من أمراء (ماد)..؟

- أصبت حين كذبت عليها تلك الأكاذيب البيضاء، ومع ذلك فانها لم تقتنع
بكلامك وهي تتوقع ان يكون قد حدث شيء ما لك، لكنك تخفيه عنها.
- إذاً، ماذا أفعل؟

- الأفضل لك من الآن فصاعداً أن تخالط عائلتك أكثر فأكثر.
- أتركينا من هذا الحديث الآن...

لم تدعني أكمل حديثي وأردفت قائلة:

- اعلم بأنك تطمح لمعرفة المزيد لما حدث معي... عندما يعود الملك (سارجون)
من حملته تلك، يقولون له بأن: (دغدو) استغلت فرصة عدم وجودك وهربت، وحتى
الآن ونحن نبحث عنها ولم نعثر عليها.. يبدأ الملك بالتحري والمساءلة في الموضوع،
لكنهم من خوفهم من الملكة يخافون الإفصاح عن الحقيقة. يقترحون ارسال رسول
إلى (ماد) حتى يعرفوا مصير (دغدو) ويتمنون من وراء ذلك ان يمر الوقت وينسى
الملك هذا الأمر. فأعوان الملك يبحثون عني في كل مكان وبالنسبة لهم فقد تحولت
لقطرة ماء انسابت في باطن الأرض. كان الملك مصراً على العثور علي وايجادني ، فقد
أمر بسجن كل أفراد حاشية القصر الملكي ووضعهم تحت التعذيب الشديد. وأخيراً

اعترف أحدهم تحت التعذيب وقال: (توكولتي... رئيس حرمك الملكة هو يعلم بمكان (دغدو)، فأنا لم أعد أحتمل هذا العذاب. أخبروا الملك بذلك وأتوا إليه بـ توكولتي مقيداً. كان الملك غاضباً وعصبي المزاج حينها.. عرف توكولتي بأنها اللحظات الأخيرة من حياته، وعندما رأى ستة أو سبعة فئران جائعة آكلة للحوم في قفص والجلاد بيده السكين منتظراً إشارة للقيام بالمراد. قال الملك لـ (توكولتي): " أنت تعلم جيداً بما ستفعله هذه الفئران الجائعة، لحظات وستنقب بطنك، فأنت تعلم بهذه العادات القديمة لأشور". توكولتي يعلم بأنه بين الحياة والموت وصرخ مستنجداً:

- أكون فداءً تحت قدميك أيها الملك، إن لم تقتلني سأقول لك الحقيقة كاملة.

- أريد أن أعرف دورك في ذلك وبعدها سأقرر.

- أكون فداءً للملك، فأنا نفذت أوامر الملكة وأنا بريء من هذه التهمة الكبيرة،

فأنا عبد للملك وللملكة.

- ها أنا أرى بعيني كم تحبون ملككم، ويقول بأنه بريء وسيفديني بدمه أيضاً.

- (دغدو) على قيد الحياة، ولم تمت.

- يبتسم الملك ويحس براحة تجتاح كيانه ، ينزل من الكرسي الملكي ويحوم حول

توكولتي لعدة مرات، ثم يقف قبالته ويردد بهدوء عدة مرات (دغدو) على قيد

الحياة) يقول مزمجرأ: هي على قيد الحياة أم لا؟

- نعم أيها الملك المعظم، هي على قيد الحياة.

- إذاً قل لي ماذا حدث لها.

- بعد ان خرجت من مدينة نينوى، وبحسب أوامر الملكة التي كانت تنتظر بفارغ

الصبر منكم القيام بتلك الحملة، بعدها بيومين وفي إحدى الليالي ذهبت برفقة

اثنين آخرين هم أيضاً مسجونون الآن هنا. ربطنا (دغدو) من يديها وضمها وأخرجناها

من القصر وبعناها لأحد باعة الجواري، وفي تلك الليلة أخرجها بدوره من مدينة

نينوى.

- أنت والاثنان الآخرين فقط شاركتهم في ذلك؟

- نعم يا سيدي، حدث الأمر بسرية تامة وبأمر من الملكة.

- هل تعرف بائع الجواري ذاك؟

- نعم، أعرفه وهو من أهالي نينوى واسمه (بولاسر) وهو معروف في البلد.

زمجر عليه (سارجون) مرة أخرى، محدثاً بصراخه صدىً مدوياً في القاعة (أذهبوا وأتوني به في الحال). ابتعد الملك عدة خطوات من توكولتي، أراد الذهاب الى كرسيه وعاد مرة أخرى وهمس في أذنه:

- قلت ان دَعْدُو على قيد الحياة، أي انك تعلم أين هي، أليس كذلك؟

- نعم، هي في مدينة بابل، وفي سرايا أحد الأمراء واسمه (بنوئيد).

- كيف عرفت ذلك؟

- كنت أتابع أخبارها عن طريق (بولاسر) وأنقل بدوري أخبارها للملكة.

- أي ان (بولاسر) يعلم بدقة كل شيء عن دَعْدُو؟

- نعم، هو يعلم ذلك.

يشد الملك (سارجون) توكولتي من شعر رأسه ويخرج خنجره الذهبي من غمده ويفصل رأسه عن جسده. تنثر قطرات الدم على أرضية القاعة وبعضها اصابت ثياب الملك. كان توكولتي ينازع الموت ويصدر شخيراً قوياً، رموا جثته مع رأسه المقطوع إلى خارج القاعة وأمر الملك بقتل الاثنين الآخرين الذين كانوا معه. نظر الملك إلى رئيس وزرائه قائلاً: "الليلة تذهب إلى مدينة بابل ولا تُعَدُّ بدون (دَعْدُو) وأتني بذلك الأمير البابلي أيضاً".

طُرق باب سنكر، أدخلت والدته رأسها من الباب قائلةً له:

- خلوتك هذه لا تطاق يا بني. الأكل جاهز، ألا تأكل؟

وأنا أستمع إلى الأحداث التي جرت مع (سارجون) الآشوري. كنت أحس بحرارة

الدم المُراق وهيئة وملامح (سارجون) أمام عيني.

- نعم، سأكل...

والذي مازال مشغولاً بالاستماع إلى الراديو. من قلة أمله وإحباطه من الوضع العام يقضي جُلَّ وقته مع الراديو، لم يصدق أن صدام باقٍ وكل ما جرى قد جرى وانتهى الأمر. كنت على ثقة بأن آراء والدي لن تبقى على ما هي عليه وقد يتأذى من جرّاء آرائه تلك، حتى اني كنت أخاف أن أسأل (دَعْدُو) عن مصير والدي. وصلت إلى قناعة بأن الجهل إلى درجة ما أفضل من العلم بالأشياء. الجهل تهمّة لا تدفع ضريبتهما وهي المحرك للحياة و تزرع الأمل. بالنسبة إلي، فإن حياتي قد تغيرت وأصبحت الأسرار العجيبة تحيط بي من كل طرف، إحساسٌ قوي ينتابني ويجعلني أفكر في

وضعي... (سنكر، أمامك طريقان عليك الاختيار بينهما، إما ان تقول لـ (دغدو) إذهبي في طريقك وحينها تعود إلى حياتك الاعتيادية أو أن تستمر معها... فلنقل انك عدت إلى حياتك الطبيعية، فأنت مجرد كُردي لا سند أو ظهير لك وفي هذه الأوضاع الصعبة التي تمر بها البلاد، إلى أين ستصل؟... ستكون كقطرة ماء في بحر يضم الآلاف، وبعدها ستنتهي.. أي حياة هذه؟... وإن حالفي الحظ وأنهيت دراستي في الكلية، سيتم تعييني في قرية نائية كمدرس... تلك القدرة التي أستمدتها من (دغدو) ستفيدني غداً وسأستطيع فعل أشياء كثيرة. هي مدخل لحياتي الجديدة وقررت ألا أعود منه.. أتت (دغدو) إلي في ذهولي ذاك وقالت:

- أنا أعلم بقرارك وهو قرار صائب... لنعد إلى حديثنا... في ذلك الوقت كانت مدينة بابل تحت حكم الآشوريين. عندما يصل رئيس وزراء الملك إلى بابل، يقبضون على الأمير (نبوئيد) مباشرة ويأخذونه إلى رئيس الوزراء ومن ثم أخذوني أنا و (نبوئيد) إلى نينوى. بعد عدة أيام مثلنا أنا و(نبوئيد) امام الملك (سارجون). بعد ان سأل الملك (نبوئيد) عدة أسئلة وبتهمة زواجه مني، امر الملك بقتله. أما (بولاسر) بائع الجواري، فقد فتحوا بطنه وتركوا الفئران آكلة اللحوم تقضم أحشائه. أما الملكة والدة ولي العهد، فقد تم إبعادها عن القصر الملكي وقضت حياتها في قصر آخر بعيد عن قصر الملك. فالملكة ذات سلطة ومن عائلة الأمراء الآشوريين وكان لها الكثير من الأقرباء الذين يسندونها. وكردة فعل من إبعادها عن القصر، قامت بتسخير كبير السحرة في مدينة بابل الذي يسمى بـ(ديم بابو)، وكتب لها طلسماً بأنه سيسجن روجي لمدة ألفين وسبعمائة عام في قفص روجي وعندما علمت الملكة أنني بت أقضي كل أوقاتي مع الملك، استطاعت عن طريق أعوانها أن تدس لي السم في الطعام وتقتلني... أعلم بأنك ستسألني عن والدي وما حصل له ولأمراء (ماد).

- كنت على وشك أن أسالك عنهم...

أمراء (ماد) والمناطق الواقعة تحت حكم الآشوريين وقعوا على وثيقة وعددهم سبعة وعشرون أميراً، وبحسب تلك الوثيقة أعلنوا ولاءهم للملك (سارجون)، فضلاً عن انهم دعوا والدي الملك (دياكو) للعودة إلى (ماد) ووقعوا على وثيقة وفاء للملك (سارجون) وعلى وثيقة عدم التمرد والعصيان.

- الظاهر ان في عصركم أيضاً كان هناك جحوش؟

- الجحشنة والعمالة خُلقت مع البشرية، لكن نسبتهم عندنا كانت أكثر مما هي موجودة لدى البلدان الأخرى، وللأسف فقد وصلت هذه الظاهرة إليكم أيضاً..

- أي ان الجحشنة وصلت منذ زمن (ماد) إلى عصرنا هذا؟

- الجحشنة ليست وليدة عصر أو مرحلة، فهي كانت موجودة وما تزال وستبقى أيضاً، فهي بذرة موجودة في (أنا) وأعماق الكثيرين من الناس، فعند البعض مهما كانت قيمتها فإنهم يحاولون الوصول إليها. امراء (ماد) بجحوشهم ورجالاتهم الجيدين أيضاً يستطيعون أن يطمئنوا الملك على إرسالهم الخراج السنوي للملك الآشوري.. بعد موتي بثمانية أشهر، عاد والدي الملك (دياكو) والأمراء معه إلى بلاد (ماد). امراء (ماد) قد وصلوا إلى قناعة إلى انهم لا يستطيعون مواجهة الملك الآشوري بمفردهم، وبوصول والدي إلى البلاد، عقدوا اجتماعاً حضره الجميع وانتخبوا والدي مرة أخرى ملكاً على بلاد (ماد) وفي نفس السنة فكر والدي في تأسيس عاصمة لائقة بمملكته واختار منطقة (أكباتانا) ليؤسس عاصمته فيها...

- أين تقع (أكباتانا)؟

- هي مدينة همدان الحالية. أصبحت عاصمة ل (ماد) ويوماً بعد يوم أصبحت أكثر جمالاً. حيث بنوا سبعة أسوار ملونة حولها، وبنوا قصرأ ملكياً وقاموا بسن القوانين الخاصة بالملك تقديراً له، منها ما هو مضحك، فمثلاً: كان رش الماء في القصر الملكي ممنوعاً، والنظر في وجه الملك أيضاً ممنوعٌ وأصبحت هذه الأمور من العادات والتقاليد في المملكة. وكل من لديه دعوة او أمر لدى الملك عليه أن يقدمها لأمير من الأمراء ومن ثم تعرض على الملك من قبل الأمير. أنا أنقل لك بأمانة مجريات الأمور في عاصمة (ماد) ولسبب بسيط ومهم وهو أن تعلموا أنتم الكرد بعادات وتقاليد أجدادكم. كيف عاشوا وكيف كانوا أداروا أمور مملكتهم.

- تعرفين أكثر مني بأن هذه المعلومات مهمة جداً بالنسبة لي، ومجرد انكم أنتم

ال (ماديون) أجدادنا، فهذا بحد ذاته مكان فخر واعتزاز لنا.

- لذلك أنا مصرّة على سرد هذه الامور... لكني اطمئنك بأن ملك (ماد) كان لا

يملّ ولا يكلّ من العمل، فكانت دعاوى الناس تُقدم له عن طريق الأمراء ويقوم بدوره بحل مشاكل الناس. كانت آثار احتلال الآشوريين ل (ماد) لآلاف السنين بادية على المملكة الحديثة البناء... حكم والدي (ماد) لمدة ثلاثة وخمسين عاماً وخلفه أخي

(خشتريته) من بعده في الحكم. كان أخي هذا عدواً لدوداً للأشوريين الذين قتلوا آباه واجداده، فلم يتوافق معهم ورفض أوامرهم ومهد للهجوم عليهم، فقامت غالبية قبائل (ماد) بمساندته وبدأوا بتدمير كل قلاع ومقرات الأشوريين الواقعة ضمن مملكة (ماد)، حتى إنه استطاع فرض الحصار على مدينة نينوى عاصمة الأشوريين. فبدأ الأشوريون بالدسائس والمؤامرات بين أمراء (ماد) واستنجدوا بالملك الأشوري في ذلك العصر (أسر حدون) الذي زوّج ابنته (باراتانو) ملك (السكرتيين) شرط أن يتحالفا معه على مملكة (ماد) وأن يفكوا الحصار عن مدينة نينوى. قامت معركة كبيرة بين ماد من جهة والأشوريين والسكرتيين من جهة أخرى، هُزم أخي (خشتريته) في تلك المعركة ووقع في الأسر وأمر الملك الأشوري (أشور بانيبال) بقتله بعدها. بدأ السكرتيون بالمذابح والنهب وتدمير مملكة (ماد) ونقلوا عاصمتها (أكباتانا) إلى مدينة (ساطز) أي مدينة سقز الحالية وحكموا (ماد) لمدة عشرين سنة.

- هل أستطيع أن أعرف من أين قديم السكرتيون ومن هم؟ وما هو أصلهم؟

- هم في الأصل من العرق ال (آري) واستوطنوا ضفاف البحر الأسود، ورويداً رويداً بدأوا بالتوسع صوب مملكة (ماد).

- أود أن أعرف بعد كل تلك المذابح والغزوات التي جرت، كيف استطاع الماديون أن ينظموا أنفسهم مرة أخرى، وأن يحاربوا قوتين عظيمتين في ذلك العصر كالسكرتيين والأشوريين؟

- سأسرد لك بكل دقة تاريخ ومسيرة الآباء والأجداد. بعد مقتل أخي (خشتريته) واحتلال (ماد) من قبل تلك القوتين. كان (هوخشتره) ابنه مازال طفلاً، حيث قام وجهاء وأعوان (ماد) بإخفائه عن الأنظار، وعندما اشتد عوده وأصبح قادراً على الإمساك بالسيف، أقام مذبحاً وسانده أمراء (ماد) وأصبح ملكاً على البلاد. بداية تسلّمه الحكم، وضع نصب عينيه إنهاء احتلال السكرتيين وعمل ليلاً نهاراً من أجل هدفه هذا، فقام بإعداد وليمة كبيرة ودعا كل قادة السكرتيين، من بينهم (مادباسي) ابن (باراتانو) ملك السكرتيين وقام بقتلهم جميعاً، وهكذا حرر (ماد) من السكرتيين وبدأ ببناء جيش قوي ذاع صيته في الأصقاع، الجيش المادي يتألف من الرماة والرماحين والرجال المدججين بالسيوف والتروس. يوماً بعد يوم، ازداد هذا الجيش قوةً وقام بتجنيد غالبية شعوب (ماد) في هذا الجيش. فضلاً عن ذلك، قام ابن أخي

(هوخشتره) بتوقيع اتفاق مع (بنوبوسر) ملك الكلدانيين، ويتضمن الاتفاق الهجوم سوية على نينوى عاصمة الآشوريين، وفي سنة ستمائة وستة عشر قبل الميلاد، جهزوا حملة عسكرية كبيرة على نينوى وهاجم الماديون من الشرق والبابليون من الجنوب، استمر ذلك الهجوم عاماً كاملاً وكان السبق فيها للماديين، وصل الطرفان إلى عتبات نينوى وقاموا بحصارها، كما احتلوا مدن آشور (تريبس و نمرود).

اعلم أنك تفكر الآن بمن هو ثاني ملوك آشور، أليس كذلك؟
- أنت تعلمين جيداً بم أفكر.

- كان (شين شاريشكون) ابن (آشور بانيبال) كبير ملوك الآشوريين، وكان معروفاً باسم (ساراك)، عندما رأى هذا الرجل انها الأيام الأخيرة من سلطة وحكم نينوى، قام بجمع أفراد عائلته وبينهم أخته وأقرباءه في القصر الملكي وأضرم النيران في القصر، حيث أحرقهم جميعاً ومات هو أيضاً معهم.

كل ذلك لم يشفِ غليل (هوخشتره) بل بدأ بإشعال النيران وإضرار الحرائق في كامل مدينة نينوى حتى دمرها كلها عن بكرة أبيها. تحولت المدينة إلى مجموعة من التلال والخرائب المحترقة ولم يبق رجلٌ في نينوى إلا وتم قتله. بعدها لم يبق شيء اسمه الحكم الآشوري. انّ تصرفات (هوخشتره) نابعة من حقد دفين، فعلى مدار سبعمائة عام عانت البلاد من ظلم وجور الآشوريين، كل هذا خلف ذلك الحقد لديه.

- على حد علمي فإن سلطة آشور لم تكن في نينوى لوحدها، ألم تقم حروب وهجمات أخرى؟

هزّت (دغدو) رأسها بالإيجاب مرتين، كمدرسّة وعالمة بالتاريخ تلقي الدروس لطلبتها، وقالت:

- نعم، (آشور أوبيلات) أخ آشور بانيبال وعمُّ (ساراك)، وهو آخر ملوك الآشوريين. حاول هذا الملك أن يجمع الجنود الآشوريين الفارين من الحرب، وشكل جيشاً منهم، وقامت معركة بين جيشه وجيش (ماد) لكن جيشه انهزم شر هزيمة وأُبيد بعد تلك المعركة.

توقفت (دغدو) عن الكلام وبدأت تقهقه ضاحكة. خفت أن تكون ضحكها كسابقتها، تطول وتطول ولا تتوقف، وأنا صامتٌ ومندهشٌ من قهقهاتها تلك أنظر

إلى وجهها الجميل والناعم، كل تفكيري مشغولٌ بها.. توقفت عن الضحك.. فقد نسيت مجدداً أنها تقرأ افكاري وتعلم بكل ما يجول بخاطري... ضحكها هذه المرة كانت مختلفة عن ضحكاتها السابقة، ضحكها هذه المرة مليئة بالغنج والدلال. بلسانها بللت شفيتها وبيديها أزاحت ضفيرتها الذهبية عن وجهها، رقبها تفيض أنوثة وحسدتُ (سارجون) الأشوري على ذوقه...أبتسمت (دغدو) ابتسامة تفيض بالأنوثة وبدأت بالحديث، لكن طريقة حديثها هذه المرة مختلفةً :

- لتعلم بأن (العقل) هو مفتاح اللسان، مفتاح الأعمال والأفعال والتصرفات. مفتاح الإيمان، فالعقل والتفكير الصائب يعدّان الخطوة الأولى باتجاه بوابة التغيير... أنت، فكّر في نفسك، كيف انك متردد وخائف من البوح بما يجول في خاطرك ووصلت إلى ما أنت عليه الآن، هذا التغيير قد أخذ حيزاً من تفكيرك، ألا وهو انك تتمنى عشقي. فالجمال من ملذّات الدنيا، والانسان نادراً ما يستطيع أن يبتعد عن رغباته، وإحدى تلك الرغبات هي الأنثى.

عدّلت من جلستي وأحسست بضيق ما. اقتربت مني (دغدو) وأشارت لي بيدها قائلة:

- معي لا تتردد، ولا تتضايق. منذ مدة وأنا أعرف أن عينيك مليئتان بالحب وبعض الرغبة أيضاً، فأنا وأنت اختلطت روحانا، فقد كونت مكانة لي في كيانك وسنستمر مع بعضنا البعض. أنا آتية من زمن سحيق يمتد لألفين وسبعمائة سنة وأنت لُفِظت من الأنفاس الأخيرة في القرن العشرين وقد وضعك الله في طريقي كي تحررني من سجنٍ كنتُ أسيرة فيه كل تلك المدة، وقررت أن أكافئك على قدر استطاعتي مقابل تحريرك لي من ذلك السجن وألاً أبتعد عنك وأحقق لك كل رغباتك ومطالبك.

- كل رغباتي ومطالبي.

- كلا، فالله وحده قادرٌ على تحقيق ذلك، فأنا عبدة من عبيد الله وقد وهبني بعض الكرامات، فأنا ميتةٌ وانت حيٌّ. أنا روحٌ وأنت من لحمٍ ودمٍ. إذأً، لماذا يقولون بأن الله وهب بعض أوليائه كرامات لا حدود لها. - كلا، فتلك الكرامات محدودة واللا محدودة لله وحده.

- ديانتنا تتحدث عن النبي سليمان وبعض الأئمة والأولياء الذين كان لديهم القدرة على القيام بأعمال خارقة. ما رأيك؟

- النبي سليمان ورد ذكره في القرآن وقدراته كانت محدودة وتلك الأعمال التي لم ترد في كتابكم المقدس (القرآن) لا تؤمن بها.

- أتركي كل هذا الآن. ولكي لا يكون هناك أي اختلاف بيني وبينك، فأنا مستعد أن أترك هذه الحياة وأت إلى عالم الأرواح، فهل ستبتعدين عني حينذاك؟

- كما قلت، عالم الأرواح يختلف عن عالمكم، صحيح أن العالمين تحت رحمة الله، لكن الله وهب العقل والذكاء والتفكير للإنسان حتى يُفرق بين الخير والشر. اما عالمنا فهو اليقظة الأخيرة.

- إن كان كذلك، فلماذا استطاع ساحر بابلي أن يُسجن روحك ويُقيدها لمدة ألفين وسبعمائة سنة؟

- عالمنا نحن الأرواح لا يلي يوم الحساب والحشر، فكثير من الأرواح ما زالت تحت تأثير الحياة الماضية، وما زالت تلك الأرواح الشريرة بعيدة عن النور الإلهي وتحاول هذه الأرواح جاهدة الاقتراب من الأرض، ولأن الأثمين بعيدون عن النور الإلهي فإن أعمالهم وأفعالهم مليئة بالآثام، فهم يعيشون في عذاب وعالم مظلم، نحن في (البرزخ) والكثير من الأرواح فيه وبحسب أفعالهم الحسنة، تم هديهم ونقلهم من الظلمات الى مكان أكثر نورانية، فالنور والضوء مرتبط بالأعمال الحسنة والصالحة.

- هذا يعني أن البرزخ كمدرسة مليئة برحمة الله.

- بالطبع، فرحمة الله واسعة ومستمرة أبداً.

حسناً، إن وصلت إلى عالم الأرواح، هل ستبتعدين عني حينها؟

- حينها سيكون هذا الأمر بيد الله ولا أستطيع فعل شيء غير الدعاء، ولا تُفسر ذلك بأنه من باب المحرمات فربما هو بابٌ من الفرج. وهذا لا يعني أنني مغرمة بك.

- أود أن أكون بقربك دائماً، مثلنا نحن البشر أود أن اتمكن من الاختلاط بك.

- هذا ليس باستطاعتي ولا أستطيع القيام بذلك بشكل مباشر. لكني أستطيع أن أدلك على طريق تستطيع من خلاله تحقيق رغبتك تلك. في دنيا الأرواح هناك الآلاف بل الملايين من الأرواح لها نفس ملامح وجهي وجسدي والكثير من الأرواح

تتشابه وهذا الشيء نابع من موت البشر منذ ملايين السنين.. وكلّ ينتظر يومه وأغلبهم من أتباع العالم المظلم وقريبون من الأرض وما زالوا لا يفصلون بين الخير والشر. في فترة سجنى لمدة قرون، كنت على علم بكثير من الأعمال والتصرفات وحتى تلك الفترة أيضاً كانوا قد تأثروا بشخصيتي، فعندما يقتربون مني، كنت أضع التحديق إليهم وكان الكثيرون منهم يشبهون ملامحي إلى الحد الذي لا تجد فروقاً بيننا، أستطيع أن أرسل إحداها إليك في الحلم حتى تقضي وقتك معها.. وهذا شيء اعتيادي عند البشر، وهناك اختلاف في فهم هذا الموضوع عند الشعوب، فأنتم المسلمون تفسرون ذلك بأن الشيطان قد دخل روح ذلك الشخص، فأتباع العالم المظلم يحبون التجلي في أحلام المؤمنين... هل أقوم لك بذلك؟

- كل ما يأتي من قبلك وتفوح منه رائحتك سيكون حلواً وعذباً.
- ستأتي من قبلي، لكن لا تفوح منها رائحتي.. ومجيؤها فقط من أجل تحقيق الرغبة وهي قادمة من عالم الظلمات.

- كما تقولين انها تشبهك تماماً، هل هناك أية فروق ظاهرة بينكم؟
- نعم، هم لديهم ستّ شامات على رقابهم، تعتبر هذه الشامات علامة على انهم من عالم الظلمات.

- ولماذا ست شامات وليست سبعة أو خمسة مثلاً؟
- الرقم ستة، رقمٌ خاص ومرغوبٌ به في عالم الظلمات.
- هل تتوقعين بأن النتيجة لن تكون مفيدة وستلحق الضرر بي؟
- ان كانت بعيدة عن كاريزماي ولم تكن تحت أنظاري فستستطيع أن تدجنك وتجعلك طوع أمرها.

- وكيف تتمرد عليك؟
- تلك الأرواح تابعة لعالم الظلمات وهي هزيلة، ضعيفة وضائعة، تحاول دائماً إكتشاف ذاتها وتحاول ايجاد الطمأنينة على حساب أي شيء كان، لكنها ضعيفة، إلا اذا نفحهم الله بنوره، وهداهم فانهم لا يقتربون من الأعمال الضحلة ولا يستطيعون التمرد.

- كما قلتِ، هم يحاولون ايجاد الطمأنينة وأن يتحرروا من عالم الظلمات، وان لم تظل كاريزماك عليها فماذا ستفعل بي؟

- هذا احتمال بعيد ولن يحدث، فأنا أحاول كل جهدي لأحررها من عالم الظلمات ولا تستقر في جسد ما، حينها ستقع تحت تأثيرها وبالتأكيد ستكون النتيجة مليئة بالعذابات لك.

- أخاف أن تركيني يوماً وأقع تحت تأثير تابعي عالم الظلمات...
قهقهت (دغدو)، ومع قهقهتها تلك قلت في نفسي (يا إلهي، كم الضحكة جميلة على فم هذه المرأة، فكلما ضحكت ازدادت غنجاً وجمالاً...)
- أترك جمالي، فجمالي هو الطوق الذي تسبب بمعاناتي، وبعد مقتلي بألفين وسبعمائة عام لم ينلني منه غير العذاب، تأكد بأني لن أتخلى عنك، إلا ان غيّرت رأيك أنت وأردت الإبتعاد عني.

- أي أطمئن أنك لن تتخلي عني؟

- تأكد بأني لن أتخلى عنك.

هز سنكر رأسه:

- هذا يعني أنك توافقين على اقتراحي؟

- من خلال التجربة ستري ذلك.

- هل تود أن أستمِر في سرد الأحداث لك؟
- الظاهر ان ابن أخيك الملك (هوخشتره) كان عظيماً وعالمماً أيضاً.
- لم يكتفِ بتدمير الأشورين فقط وطمع في المزيد، حيث علم بأن السكتيين لديهم قدرة خاصة بهم، وحاول استمالتهم إلى جانبه فقام بإرسال ابنه إلى السكتيين ليعلموه الفروسية والرماية، واتفق الطرفان على طي صفحة الماضي والتعاون فيما بينهم في مجالات عدة.. كان السكتيون يقدمون الطرائد للملك في الاحتفالات، وفي إحدى تلك الاحتفالات عندما ذهب الملك إلى الصيد، وككل مرة يذهب السكتيون لكنهم لا يصيدون شيئاً ويعودون بأيادٍ خاوية ولا يجلبون شيئاً للملك، غضب الملك منهم وأسمعهم كلاماً لاذعاً... في الصباح أخبروا الملك إنهم اصطادوا الفرائس وقاموا بشوي الكباب من لحمها وهي جاهزة للأكل... أكل الملك من تلك الوليمة إلى حد التخمة وبعدها علم بأن ذلك اللحم هو لحم ابنه، حيث ذبحه السكتيون وقاموا بشيّه وتقديمه للملك. تلك المجموعة من السكتيين تركوا البلاد وذهبوا إلى الملك الليدي.

- أين تقع بلاد ليديا الآن؟

- ليديا تقع في تركيا الحالية. ملك ليديا (آلياتيس) قام بإيواء السكتيين ولم يهتم بطلب (هوخشتره). حينها أعد (هوخشتره) حملة كبيرة وبدأها بالحرب على الأوراتوين وانتصر عليهم، وبعدها هاجم بلاد الليديين وجرت معركة حامية الوطيس بين الطرفين، استمرت تلك المعركة خمس سنين، ومن شدة إحدى المعارك حُجب نور الشمس عن المتقاتلين وخيم الظلام على أرض المعركة، حينها فسر الطرفان بأن هذا الظلام هو عقاب من الآلهة على سفك الدماء كل هذه المدة الطويلة، وقرر الملكان (هوخشتره و آلياتيس) إيقاف الحرب ووقعا على اتفاقية بينهما وخرج الطرفان غير منتصرين من هذه المعركة. ، لذا فإن الحكماء تدخلوا لفض تلك الحرب بين الطرفين، ومن بينهم ملك بابل (نبوخذ نصر) وقائد بلاد كيليكية الملك (سيدنس) للمصالحة بين الطرفين، ومن بنود الإتفاقية تقرر ان يتم زواج (آلياتيس) ابنة ملك ليديا من (أزدهاك) ابن هوخشتره، وزواج (أميتيس) ابنة

هو خشته من ملك بابل (نبوخذ نصر). بعد تلك الاتفاقية عم السلام كافة الأرجاء ومات هو خشته الذي حكم البلاد لمدة أربعين عاماً بعد توقيع تلك الاتفاقية بفترة قليلة، في عام خمسمائة وخمسة وثمانين قبل الميلاد وخلفه ابنه (أزدهاك) في حكم البلاد.

- عذراً، فقط أود أن أعرف بأن (أزدهاك) هو نفسه (الزحاك) المعروف لدينا؟
- هو نفسه، لكن بمسميات مختلفة. البابليون أسموه ب (اختوفيكو) وعند العرب كان معروفاً باسم (زُحاك) وعند اليونانيين (أستيكي) وعند الإيرانيين كان اسمه (أزدهاك). صحيح ان هذا الملك كان عصبياً وشديداً، لكن لم يكن بالصورة التي تعرفونه عليها ، فتلك النظرة التي أخذتموها عنه هي من فكر وخيال الأعداء، أعداء حكم (ماد)!!

- أنا أعلم بأن هناك خلط بين الأسطورة والتاريخ في عهد (أزدهاك) وأن هناك أفاعٍ على كتفيه وان هذه الأفاعي تعيش على أكل أدمغة البشر، هذه الأمور كلها أساطير! سأكون ممتناً ان سردت لي حقيقة (أزدهاك).

- تلك الأسطورة كتبها الفردوسي في الشاهنامه وقام بخلطها مع التاريخ، فلم ينقل التاريخ بأمانة بل جعل الأسطورة أقرب إلى ان تكون لقومه الثارسيين. فيفسر حلم (أزدهاك) على انه رأى أن شجرة تخضراً بين فخذي ابنته (ماندانا) وأن ظل هذه الشجرة يخيم على غالبية البلدان كما يفسر ان ابنته (ماندانا) كانت زوجة الأمير (كامبيز)، ويأتهم مولود ذكر يستلم الحكم ويأخذ منه التاج الملكي، وهو بدوره كي يحافظ على سلطته يقرر قتل هذا المولود، ويحيل هذا الأمر إلى (هارباك) قائد جيش (ماد). لكن (هارباك) لا يقوم بقتل المولود ويعيش ذلك الولد حياة فقر وغربة بعيداً عن أهله، ويصبح بعدها هذا المولود (كورش) الذي يحكم بلاد (ماد) و(فارس)... ما سردته الآن بعيد كل البعد عن الحقيقة ولم تدون بهذا الشكل في أحداث التاريخ أيضاً وهي قسم من أسطورة صاغها الفردوسي من مخيلته في الشاهنامه.

- حسناً ، كيف لشباب طري العود ك (كورش) ان يحكم تلك البلاد بهذه السهولة وينصب نفسه ملكاً على بلاد ماد وفارس؟

- عن طريق الخيانات والانقلاب... نعم، الانقلاب.. تربى (كورش) في كنف جده ويعلم كل شيء عن ماد خلاله. كان للملك (أزدهاك) إبنة فقط باسم (ماندانا) التي هي والدة (كورش)، ولم يكن لديه أبناء ذكور وهذا ما جعل من حوله يطمعون في الحكم من بعده، و(ماندانا) هذه هي والدة (كورش).

لم يكن الناس يحبون (أزدهاك) كثيراً، لذلك كان (كورش) الذي تربى على يد جده في مقدمة من حاولوا ذلك، حيث استمال (هارباك) المخادع قائد الجيش المادي وعقد معه اتفاقاً للقيام بانقلاب ضد الملك وبذلك جلس (كورش) على العرش الملكي واصبح ملكاً لماد وفارس.

الانقلاب كان مليئاً بدقائق الأمور، حيث عاد (كورش) الى منطقة (نارس) و بدأ من هناك بتنظيم الجيش وأعلن استقلال تلك المنطقة. حينها أرسل الملك (أزدهاك) حملة كبيرة بقيادة (هارباك) للهجوم على (كورش) وبدون إراقة نقطة دم واحدة، استسلم الجيش المادي لـ (كورش) وعاد الجيشان معاً صوب (أكباتانا) عاصمة (ماد) وألقوا القبض على الملك (أزدهاك) وبعد فترة قام (كورش) بوضع السم له في الطعام وقتله... هذه هي حقيقة تلك الأحداث.

- أي أن كاوى الحداد لم يقتل (أزدهاك)؟.

- كاوى الذي ذكرته، يخاف حتى النظر إلى قصر (أزدهاك) فكيف به أن يقتله بمطرقة، تلك ملحمة فارغة المحتوى ومن خيال اليساريين بعد ثورة أكتوبر.

- أي ان كاوى موجودٌ كشخص؟

- الفردوسي ذكر اسم كاوى، لكن ليس بالأسلوب المعروف لديكم أنتم الكُرد.

كان هذا الرجل حداداً في سوق (أكباتانا) وهو معارضٌ للملك، لا غير...

- هل تستطيعين أن تتحدثي لي قليلاً عن كاوى؟

- أستطيع ولم لا.. لكني أود أن تدركوا بأن كاوى ليس بتلك الشخصية التي

خلقتموها أنتم لأنفسكم.. ذلك الشخص حدادٌ في عاصمة (ماد) وأصله مادي وكالآلاف من متعصي ذلك العصر، لجأ إلى عدو قومه وتعاون مع (هارباك) خادم (كورش) في انقلابه، ليخلق البلبلة والفوضى في العاصمة فقط، وكل ما يُقال غير ذلك هو محض كذب.

- هذا يعني ان كاوى من الأشقياء والمتمردين في البلد؟

- كلا، لم يستطع أحد في زمن الملك (أزدهاك) أن يقوم بالتمرد، وأعني بذلك في العاصمة.

- إذأ، لماذا يقول الفردوسي بأن: بعد ان يوصل كاوى الحداد شكواه إلى الملك (أزدهاك) فانه يذهب بعدها إلى الثوار و(فريدون)؟

- القسم الأول من شاهنامه الفردوسي كلها أسطورة، فعصر (فريدون) أقدم من عصر (ماد) بأربعة آلاف سنة. العصر المادي تاريخه مدوّن، وغالبية أحداث ذلك العصر محفورة على الحجارة ويعد من التاريخ المدوّن والمكتوب. إن كان الفردوسي قد قام بخلط الأسطورة والتاريخ فهذا أمرٌ آخر، حتى ان سرد الفردوسي قد وصل إليكم بشكل خاطئ... لنذهب ونقرأ شاهنامه الفردوسي.

- هذا يعني أن كاوى الحداد، ذلك الثائر لدينا، لا أساس له؟!!

- فكر في الموضوع بدقة. منذ ألف عام كتب الفردوسي الشاهنامه، وقد تعاقبت السلطات المختلفة والعنصرية على حكم ايران، والشاهنامه فارسية وغالبية السلطات كانت من العنصر الفارسي، ان كان هناك بطل وثائر بإسم (كاوى) ويرد ذكره في شاهنامه الفردوسي، لكانوا بحثوا عنه بحثاً دقيقاً كي لا يجعلونكم تفخرون بأنه من نسلكم، فهل يترك هؤلاء شيئاً للغير؟!!

- يعني تودين القول بأن كاوى الحداد شخصية لا وجود لها؟

- أنا لا أقول بأنه غير موجود. كان موجوداً، لكن ورد ذكره في شاهنامه الفردوسي على ان له دوراً ثانوياً وهي الحقيقة. الملك (أزدهاك) يفتح الأبواب للناس المقموعين، وكاوى كان كالمئات والآلاف الذين لحق بهم الظلم فيذهب الى الملك ويقدم شكواه على أساس انه فقد عدداً من أبنائه وبقي له ابن واحد فقط وهو أيضاً في السجن ومعرض للقتل، فيفك الملك أسر إبنه. هذه الملحمة فسرها الفردوسي من موروثه الفكري ولا أدري لمَ حوّل أصل الملك (أزدهاك) على انه من أصل عربي، فهو لا يفقه الحقيقة بتاتاً، فأنا أتذكر الملك (أزدهاك) بدقة وكأنني أراه الآن أمام عيني. لا أدري من أين اتوا بتلك المطرقة والثورة. هذه الأمور لا أساس لها ووصلت إليكم أنتم الكُرد بذلك الشكل الخاطئ.

- ولماذا عليّ ان أنسى كاوى من الآن فصاعداً؟

- إن نسيته أم لا، فهو على كل حال ليس محل فخر واعتزاز، وكان كالكثير من أهالي (أكباتانا) المادية أدار ظهره لبني قومه وذهب إلى أحضان مُحتلي بلاده وأصبح تابعاً ذليلاً للإنقلابيين ك(هارباك) الصعلوك وناكر العيش والملح.

- بذلك يعتبر الملك (زُحاك) أو (أزدهاك) آخر ملوك (ماد)؟

- وهو كذلك، بعد ان احتل (كورش) عاصمة (ماد) وقبض على جده الملك (أزدهاك)، بعد ثلاثة أشهر قام بتسميمه وقتله وأسس حكم (ماد) و (فارس) ونقل العاصمة من (أكباتانا) المادية إلى (برسبوليس) وبدأ يُشكّل إمبراطوريةً واسعة الأرجاء... هنا سردت لك بشكل مختصر تاريخ أجدادي، وسنذهب إلى موضوعٍ آخر.
- أي موضوع مثلاً؟

- مواضيعي لا نهاية لها، فأنا بحد ذاتي تاريخ حي وكنت شاهدةً لأحداث التاريخ الحقيقية لفترة ألفين وسبعمائة عام، وأي موضوع تريده سأجيبك عن حقيقته.
- أنا أنهيت الكلية منذ شهر تقريباً ولا أعلم الكثير عن تاريخ شعبي وتاريخ البلدان المجاورة. إن وضعت أنت بعض الأخطاء أمامي وقمت بتصويبها فإنك بذلك ستنقذين الحقيقة من براثن الافتراء والكذب.

- إن ذكرت لك حقائق التاريخ فإنك ستستغرب من التاريخ المدوّن، ستري كم طاله التحريف والتشويه وإنه دوّن لصالح المنتصرين وحكام ذلك الزمن فقط.

- وهل تعلمين نفس الشيء عن حاضرنا أيضاً؟

- ليس حاضرهم فقط، بل ومستقبلهم أيضاً. تتبدل الأحداث أمام عيني كفيلم سينمائي، وقد يكون قد ورد الكثير عن مستقبلهم في سجل تنبؤات (موفي موغان). كان أبي يحتفظ به كسجل مقدس. للأسف، بحث عنه كثيراً فلم يجد لا السجل ولا تابعه (اوراشي) ولا الصندوق. وبالأخير تبين له بأن صندوق الأسرار ذاك قد أخذه (اوراشي) معه إلى القبر. استطيع أن أدلك على مكان القبر ومكان الصندوق إن أردت.

- ذلك السجل مكتوبٌ بأية لغة؟

- بالخط المسماري وسأترجمه لك بكل سهولة إلى لغتكم. عدا السجل، فإن الصندوق بحد ذاته يعتبر كنزاً ففيه خزينة من الذهب وتستطيع أن تُصبح مالكةً لذلك الذهب الذي في الصندوق ان أردت ذلك؟

أحسست بسعادة نزقة نوعاً ما. بتلك السهولة سأصبح مالكاً لخزينة قيّمة،
(دغدو) هذه ملاك سماوي، وقد بعثها الله لي...

كنتُ في خيالاتي تلك حين باغتتني (دغدو) بابتسامة حلوة وقالت لي:
- كلا يا سنكر، لا تفهم الأمور هكذا بشكل خاطئ، فأنا لا أصل إلى درجة ملائكة
السماء. الملائكة قرييون جداً من الله. أما أنا، فروحٌ مظلومة وقد عوّضني الله عن
ذلك الظلم الذي لحق بي بأنه وهبني قريحة قوية ووضعتني على الطريق القويم، وكما
ترى، بعد كل تلك المعاناة الطويلة وضعت نصب عينيّ أن أقوم بالعمل الخيّر وأحاول
دائماً أن تصبح انت أيضاً من الرجال الحسني الصيت والسمعة ومن أصحاب
الكرامات، ذلك واجب وجداني وإلبي على عاتقي يجب أن أؤديه.

يا إلهي كيف اجتمع كل هذا الجمال في امرأة؟ مع إني كنت أعيش في دوامة من الإندهاش وكنت مهوراً ولا أصدق ان امرأة فائقة الجمال واقفة أمامي بكامل عريها وتضع يدها على خاصرتها وكأنها إبنة سلاطين، وأنا خائف بدون حيلة لا أدري ما أفعل، كان خوفي يختلط مع الدهشة ويخلق في داخلي نوعاً من عدم الثقة بنفسى... هي أول مرة أرى فيها (دغدو) وهي عارية تماماً، إذ أنها محتشمة دائماً ولم تخرج عن المألوف أبداً، تعنتي بالتفاصيل الصغيرة، حتى حركات يديها تحسُّ بأنها توازن حركتها وهي تعلم تمام المعرفة بأن روحي وفكري وكياني كلّه بات لها، لكنها لم تقطع ذلك الخيط الرفيع أو تزيح الستارة الشفافة بيننا، تفتن لكل خلجات نفسى، كطفل صغير تهدهدني وتسمع دقات قلبي القوية بين يديها وتفيض بالحنان إلى حدٍ تفيض فيه بالأمومة. تقرأ كل ما يجول بخاطري، كانت تعلم بدقة عن الحاجات البيولوجية عند الانسان ولها خبرة عصور من الزمن في هذا المجال. ها هي الآن أمام عيني، جسداً بضاً وموزون، شعراً ذهبي متدلٍ بقسوة ووجه سحري يشعُّ بياضاً، امرأة تفيض بالشهوة من كل بقعة في جسدها. ما أثار استغرابي تلك الأقفال المعلقة على جسدها، هناك قفلٌ على حلمة نهدها الأيمن وآخر على حلمة نهدها الأيسر، وقفلٌ آخر أكبر قليلاً على فرجها مثبتٌ بين فخذيهما. الأقفال الثلاثة مربوطة بسلسلة متدلّية من رقبتها على نهديهما المكورين وفي ملتقى النهدين على صدرها ثمة مفتاح متدلٍ من السلسلة. أشارت (دغدو) بإصبعها الى المفتاح وقالت: بهذا المفتاح ستفتح الأقفال الثلاثة بيديك. كنت صامتاً ومندهشاً أنظر إلى هذه الأنثى التي تفيض شهوة. أفاقني صوت (دغدو) من شرودي وهي تقول:

- ما خطبك واقفٌ هكذا؟! -

قلت باستغراب:

- وماذا عليّ أن أفعل.

- ماذا تفعل؟ بهذا المفتاح الذي في رقبتى أفتح هذه الأقفال.

إقتربت من جسد (دغدو) الأسطوري، وللمرة الأولى لامست يدي ذلك الجسد الطري الدافئ، انتابتني رعشةٌ لم أدرك كنهها، أمسكتُ المفتاح وبيديّ المرتجفتين

أمسكت القفل محاولاً وضع المفتاح فيه، رعشة يدي أحدثت صوتاً وحركة في الأقفال، أنقذتني (دغدو) حين أمسكت لي القفل لأدخل المفتاح فيه جيداً. عندما فُتح القفل، وقعت الأقفال الثلاثة مع سلاسلها بين أرجلنا، بعدها أحسست بالشفاه الممتلئة على شفتي، ولسانها في أعماق فمي يتحرك بخفة واختلطت أنفاسنا. لم أستطع البقاء واقفاً على قدمي في غمرة الشهوة تلك وبين اليقظة والشرود فتحت عينيّ بكسل، كانت (دغدو) تحدق في عيني وبخبرة بدأت بفتح أزرار قميصي. لم أكن أعلم بأني بتُّ عارياً مثلها وصدري ملتصق بنهديها، بت كريشة تتطاير مع نسيمات الهواء وفقدت كل أحاسيسي. لم تُمهلي (دغدو) المجال وبإصبع واحدة جعلتني أتمدد على ظهري وجلست فوقي. في غمرة النشوة تلك، يداي لا تتوقفان عن الحركة، حتى دخلت في غيبوبة لم أفق منها إلا وأدركت ان ما بين فخذي أصبح طرياً. وحيداً في غرفة هادئة وساكنة وخيال (دغدو) أمام عيني لا يفارقي.

بعد دقائق، انت (دغدو) بحلتها السابقة، بزّيها ووقارها واقفة بعيدة عني، سألت نفسي: لم هي بعيدة هكذا. فقبل لحظات كنا جسدين ملتحمين... إنها امرأة غريبة بالفعل، لماذا تقف هناك بعيدة عني؟ إن بقي الحال هكذا فإنني أسير على طريق لا عودة منه... وهو طريق الجنون.

- كلا يا سنكر، أنت بعيدٌ عن الجنون. فقد اختلطت الأمور لديك وُصدمت مما جرى لك، قلت لك سابقاً بأني أستطيع أن أرسل امرأة شبيهة بي إليك في الحلم، وها أنت ترى بأني حققت تلك الرغبة. من أتتك في منامك إسمها (أرتَميس). تعال واقترُب مني.

رفعت (دغدو) شعرها عن رقبتها من الجهة اليسرى وقالت:

- أنظر بدقة الى ما تحت أذني.. أهنالك كتابة تحتها... هل وجدت الكتابة؟ هذه المرة ان أنت (أرتَميس) إليك في الحلم انظر إلى ما تحت أذنها اليسرى، ستري ثلاثة أرقام كشامات عليها، الأرقام هي ستمائة وستة وستون (٦٦٦)، ذلك الرقم هو ختم أرواح عالم الظلمات وغالبية تلك الأرواح تحاول الخروج من الظلمات والاقتراب من العالم النوراني وتتخلص من محنة الانتظار والعذاب، و(أرتَميس) إحدى هذه الأرواح التي كانت ضيفة عليك في منامك البارحة.

- أعتذر منك، من كثرة استغرابي ودهشتي نسيت حتى نفسي. يعني تودين القول
بأن المرأة التي كانت معي البارحة هي ليست أنتِ؟.

- لا تتصنع عدم الفهم، قلت لك من قبل بأني روح مظلومة وقد عانيت من
الظالمين في زمني الكثير والنتيجة انني قُتلت غدرًا. ففي عالم الأرواح هناك المليارات منّا،
وكل روح تنال جزاءها حسب ما فعلته هذه الروح من خير وشر في حياتها السابقة.
حقيقةً، انتم البشر غريبون، فأغلبكم يظن بان هذا الكون فارغ وأنا أعلم كم هو واسع
وفسيح، إن قست مسافاتك بالضوء فإنك بحاجة لملايين السنين حتى تتبع ذلك الضوء
ولن تصل إلى حافته. أقول بأنكم غريبون لأنكم بالفعل غريبو الأطوار انتم من تعيشون
على الأرض. أخلق الله مليارات من النجوم والمجموعات الشمسية فقط من أجل
جمالية السماء فقط؟! لا أتوقع انك تستطيع إجابتي. انتم البشر ترون بأن العالم وما
حولكم هو للرغبة وتتحركون لأجل رغباتكم فقط. وأقرب مثال على ذلك، البارحة
مساءً كنت مع (آرتميس)، وقد فقدت عقلك وذهنك معها. أود ان تعلم بأن حجم
الأرض إن قارنته مع المجموعة الشمسية فإنها ستكون ك رأس إبرة في بحرٍ كبير. هناك
الآلاف مثل هذه المجموعة الشمسية قد أسست هذا الكون.. انتم بالفعل غريبون ولا
تعترفون بأن علمكم وقدراتكم محدودة. المخلوقات الأخرى ليست مثلكم.. فأنتم ما
زلتم لا تعلمون بدقة ما هو موجود في بيئتكم. إلى الآن لا تعلمون أية كائنات تعيش في
أعماق المحيطات... لا تعلمون بعمق أرضكم، لا تعلمون متى تحدث الزلازل ومتى تنفجر
البراكين.. لا أحدث عن السرطان والايديز، فسترون الولايات من مئات الأمراض الأخرى
القاتلة وأصبحت هذه الأمراض كأسرار عندكم. انتم البشر تتحركون في حلقة غريبة،
فكل ما لا تعرفونه هو غير موجود ولا تهتمون به.

- هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟

- كما قلت سابقاً، أنني مدينة لك، الله جعلك مفتاحاً لتحررني من سجنِي، فكل ما
أستطيع القيام به لأجلك بإذن الله سأقوم به.

- جيد. وفقاً لكلامك فما عدانا نحن البشر على الأرض هناك بشر آخرون
يعيشون في مكان ما؟

- سأصحح لك سؤالك.. هل الإنسان فقط يعيش على الأرض؟ هذا لا يعني عدم
وجود كائنات أخرى في هذا الكون. فوجود ملايين بل مليارات النجوم في السماء

والمجموعات الشمسية لم يخلق عبثاً ، ان في خلق هذه الأكوان حكمة إلهية وهي بعيدة عن أن يفسرها العقل.

- وهل ترين مخلوقات أخرى غير البشر؟

- إن كنا نؤمن بالرب ونؤمن بأنه خالق الكائنات والأكوان، حينها نقرُّ بأنه هو وحده الباقي. أود القول بأن في هذا العالم الواسع أنواع عديدة من الكائنات... فالسمااء في اعماقها تحتوي الكثير، فكل الكائنات القابلة للموت تحمل في طياتها أشياء معقدة ومتنوعة. ذلك التقدم الذي حققته تلك الأنواع يلزمكم أنتم البشر آلاف السنين حتى تصلوا إلى مستواهم. أسلوب الحياة خاضع لميكانيزم خاص، وهم يختلفون عن البشر من الناحية البيولوجية، وهم مثلكم عباداً لله، لكن منهم مؤمنون ومنهم غير مؤمن، في هذه النقطة يتشابهون مع البشر على الأرض.

- وما هي الروح؟

- الروح جزء من نور الله ولا تموت أبداً وخالدة إلى الأبد، أنا في دنيا الأرواح هذه، أرى أرواحاً خيرةً وأخرى شريرة، البعض منه بين النور والضيء والبعض الآخر يقيم في الظلمات وبعيد عن النور ويتعذب من البرد والصقيع واهلكها الإنتظار. فمن كانوا على الأرض بعيدين عن الأعمال الخيرة لا تتحقق غاياتهم ويحاولون جاهدين تصحيح أخطائهم لكنهم لا ينتصرون في النهاية وذلك ما يسبب لهم عذاب روحهم الآثمة، لكن تلك الأرواح لا تفقد الأمل من رحمة الله، وتطمع في رحمته لها في يوم من الأيام كي يخلصها من العذاب الذي هي فيه الى يوم الحشر.

- وفق هذا المفهوم، فلا يوجد نار جهنم وجحيم في القبر؟

- كلا، إنه موجود... وقد ورد ذكر هذا الشيء عندكم انتم المسلمون في كتابكم القرآن، وفي الديانات الأخرى أيضاً فإن المرء يكافأ حسب عمله. شيء يتم في يوم الحشر والنشر وليس في مرحلة البرزخ، ومتى ما تم البرزخ حينها يكون عمل الله. لكن هناك فرص كثيرة ومجال كبير في البرزخ للتوبة وللإقتراب من النور. أي اني أود القول بأن عالمنا عالم الأرواح فيه الكثير من المراحل والاصلاح والهداية نحو النور والنورانية، وذلك كله يتحقق برضا الرب.

- اود أن تقوم بعمل من اجلي ..

- ألا تعلمين بأني سأقوم بأي عمله تطلبينه مني..؟

- نعم، أعلم. لكني أستمع بكلامك حين تقول هذا..كما قلت لك، قبري في غرفتك وتحت سريرك تماماً.. أتمنى ان تحفر قبري وتنقله إلى مكان آخر. هل ستقوم بذلك؟

- أمركِ. لكن إلى أين أنقله؟ إلى جهة غير محددة أم إلى مكان خاص؟

- عندما تحفر القبر، بعد جثتي بمسافة شبر إحفر الأرض سوف ترى أول درج، بعد ذلك الدرج سترى إحدى عشر سلماً، بعدها سيأتي أمامك ممر، تمشي فيه حوالي سبعين متراً حيث يصل الى تحت جدار سور نينوى، تحت الجدار ترى أربعة زوايا حجرية وواجهته حجرية أيضاً، تستطيع أن تزيح تلك الواجهة بكل سهولة، عند إزاحة تلك الصخرة ستجد صندوقاً خشبياً بداخله وفي الصندوق كتاب كبير من جلد الغزال، ذلك الكتاب هو تنبؤات (موشي موغان) وفيه كمية من الذهب والمجوهرات الثمينة أيضاً، تلك المجوهرات وذلك الذهب سيكون ملكاً لك.

إنذهل سنكر كذهول طفل حين يكتشف سراً وبقلق أصبح يحدق في (دغدو).

أحست بذهوله وقالت له:

- لا داعي للتردد والقلق.. أعلم بم تفكر الآن. حين يذهب والدك ووالدتك في زيارة إلى أقربائهم في السليمانية أو أكرى حينها ستبدأ بالحفر وسأخبرك بعدها كيف تخبئ تلك المجوهرات أو تبيعها. ما يهمني أن تضع جثتي في ذلك الصندوق وبعدها تضع الصخرة على القبر وتعيده كما كان سابقاً. ذلك الصندوق أعطاه والدي لتابعه (أوراش) وقد قُتل في هذا المسعى أيضاً. ومن المهم أيضاً أن تحافظ على تنبؤات (موشي موغان) فهي ملك لتلك الشعوب وعمر ذلك الكتاب قرابة الثلاثة آلاف عام وأكثر، من الأسى أن يضيع هذا الإرث أو يقع في أيادي الجهلاء والمغفلين. دعني أقول لك هذه المعلومة أيضاً، فوالدك ووالدتك لا يسافرون لزيارة أقربائهم من أجلك، ويخافون عليك من البقاء وحيداً في البيت.

- إن كان ذلك فسأتحدث معهم اليوم وفور خروجهم للسفر سأبدأ أيضاً بعملتي.

كل ذلك الحديث يُسرد بصمت وبسريّة بينهما. فهم يقرأون الأفكار ويجيبون من خلالها على بعضهما البعض.

الآن يجب علي البدء بالعمل. المنطقة الآمنة في كردستان قد أُعلنت لصالح الشعب الكردي، والأحزاب الكردية اتفقت فيما بينها. بغداد تطالب الكرّد بالحوار والكرّد بدورهم ذهبوا إلى بغداد مترددين، رغم أنهم يعلمون بأنهم لن يصلوا إلى نتيجة. المهم أن الكرّد وصلوا إلى تلك القناعة بأن يذهبوا إلى بغداد. حكم صدام كان أمام تحديات وتهديدات، لكنه لا يستطيع الهجوم العسكري على كردستان. لكن في المدن العراقية الأخرى عمليات القتل والذبح والاعتقالات مستمرة. بينما والذي يتذمر من الوضع في بغداد، حيث صدام باق في الحكم وما يزال يتمسك بشعاراته السابقة وإعلامه يصوره على أنه الرجل التاريخي للعرب. ضجر والذي من ذلك الوضع، لذلك قلت له:

- أبي، لم لا تزورون أقرباءنا أنت ووالدتي وترون كيف هو وضعهم ومعيشتهم هناك، أما زال الوضع على ما هو عليه أم تغير؟ أرى أن تزورا السلیمانية وأكرى وتبقوا هناك لأسبوع أو أسبوعين ترقّهون عن أنفسكم قليلاً.

كانت والدتي ترتشف الشاي، وضعت الكأس على الأرض وقالت:

- سنكرّ بُني، نحن لا نذهب من أجل سلامتك، وإلا فإننا منذ زمن لم نذهب إلى تلك الديار.

- ماذا يعني سلامتي؟ أمّا... أنا لن أموت من الجوع وأعرف كيف أعدّ الطعام لنفسي وكيف أغسل ثيابي. هل ستأكلني الذئب ان لم تكونوا موجودين..؟

- إن كنت واثقاً لهذه الدرجة، نستطيع أن نعد أنفسنا للسفر، فأنا أحب زيارة الأهل والأقرباء هناك، فقد مللت من هذه المدينة.

- إذاً، لنذهب بعد غد، فغداً سأشتري بعض الحاجيات وأضعها في الثلاجة لك.

لم أدها تكمل حديثها وقلت لها:

- أمّا، لا تحملي همّي، تخيلوا أنني موظف حكومي وتم تعييني في مدينة بعيدة،

حينها كنت سأعيش بعيداً عنكم وكنت سأتدبر أموري بنفسي. أليس كذلك؟

- أردف والدي : وأنا في نيتي أن اخفف عن نفسي قليلاً. فالآن عطلة المدارس ولا أظن بأن أبوابها ستُفتح في هذه الظروف، وأنا أيضاً لم تعد لدي القدرة على إعطاء الدروس ومتى ما انتهى هذا الوضع فإنني سأُحال إلى التقاعد.

- إن كان كذلك فإننا سنعود إلى كردستان، إن لم يكن لدينا عمل في الموصل.

- وبيتنا؟

- لن نأخذ البيت معنا، نؤجره أو نبيعه.

لم يستسغ والدي كلام والدتي، فهو يعلّق آمالاً كبيرة على هذا البيت، وأنا أيضاً لم أكن مع فكرة بيع البيت، فلسنا مضطرين لبيعه وبحسب كلام (دغدو) على إنها لن تكذب عليّ أبداً، فإنني غداً أو بعد غد سأملك خزينة. إذاً لماذا نبيع البيت. فجأة أتتني (دغدو) وقالت:

- وسيكون كذلك، من المفضل ألا تبيعه. لأنك ستصبح غنياً وصاحب ثروة كبيرة.

حدقت والدتي في:

- لم تقل رأيك؟

- ماذا أقول يا أمّاه؟ ما يقوله والدي هو الصواب، من الأفضل ألا نبيع هذا البيت.

- حسناً، وهل يعقل أن يكون لك بيت وأنت تسكن في بيت مؤجر؟
- أمّاه، يقولون في العجلة الندامة، سننظر إلى الوضع وأنا متأكد أن الله سيفتح باباً من أبوابه لنا.

- وكيف...؟ ان بعنا البيت، هل ستمطر علينا السماء نقوداً.. أم ماذا؟!

هناك الملايين من الناس حالهم أسوأ من حالنا ويتوسلون الله أن يفرج عنهم .

اقتربت من والدتي وقبلت يديها:

- أمّاه، لا تيأسي هكذا، فقد رأيت حلماً بأن وضعنا سيتغير.

- أصمت أنت الآن. كنتم متأكدين كثيراً من رحيل صدام حسين وكنتم

تسخرون مني أنت ووالدك. فيها هو يشحد سكينه مرة أخرى.

فكر والدي قليلاً وانتصب على رجليه واقفاً وهو يقول بغضب:

- وأي ابن عاهرة يتوقع أن ذلك الجزّار سيبقى؟ الوطن تحول إلى خراب ودمار والجوع يفتك بالناس، وفضلاً عن ذلك الناس تخاف ان تهمس كلمة في بيوتها عن ذلك المنافع. هذا الرجل مشعوذ... مشعوذ، وكأن كل مشعوذي الهند وأفريقيا مجتمعين في قصره وبدونهم لا يأكل ولا يشرب.

حسبما قالت (دغدو) فإن صدام سيبقى لعشر سنوات أحر وبعد عشر سنوات سيتم القبض عليه وسيتم إعدامه. نظرت إلى والدي:

- لا داعي للغضب يا أبتى. ففي عالم السياسة كل شيء محتمل. فلا أصدقاء دائمين ولا أعداء دائمين، والمصالح هي التي تحكم الموقف، ولكي تتأقلم مع الوضع ليس لك إلا ان تُدرك أن صدام باقٍ الآن في الحكم وستنال البلاد الولايات من وراءه. بالنسبة لبيع البيت فأضرم رأبي لرأي أبي، ومن الأفضل ألا نبيعه الآن. انتم زوروا أقرباءكم وبعدها سنقيمّ الوضع ونختار أفضل حل لنا.

مالت أمي برأسها إلى الجهة الأخرى. هذه طريقته حين تتدلل على والدي. في الصباح، خرجوا صوب مدينة آكرى حيث غالبية أقرباء والدي يقطنون تلك المدينة وكانوا قد وضعوا نصب أعينهم زيارة مدينة السليمانية بعدها.

أما أنا، فبدأت بجلب أدوات الحفر من مطارق ورفوش وأزاميل وأكياس إسمنت. خشيت ألا أجد نفس نوعية بلاط الغرفة، لكن حين شيدنا الغرفة أعرف من أين اشترينا البلاط وذهبت الى نفس المحل وقلت لصاحبه:
- ألدك نفس هذا البلاط.

تمعن في وجهي وفي البلاطة بيدي وقال:
- للأسف، لم يتبق عندي من هذا النوعية لدي الا خمسة أو ستة صناديق فقط.

- وأنا أريد تلك الكمية فقط. سأجلب سيارة الآن لحملها. حملت صناديق البلاط بسيارة أجرة وجلبتها إلى البيت وبدأت بالحفر، وفي نفس اليوم استطعت حفر ما يعادل المتر المربع، رأيت جمجمة وهيكل عظمياً للأطراف الأخرى. كان القلق بادياً على (دغدو) وبدون أن أسألها عن السبب قالت لي:

- نعم، انت محق، لأنني أتذكر كم كنت بدون سند وكنت اتوسل إلى الإله أهورامزدا فقط.

أتيت ببطانية ووضعت جمجمة (دغدو) عليها وعاودتُ الحفر، و(دغدو) كل برهة تقول لي: مازال باقياً.

لم يمض وقت طويل حتى وصلت لجسم صلب، أزحت التراب الأحمر عنه ونظفته، رأيت مجموعة احجار مصفوفة. قالت (دغدو): هذا هو... إنه باب الممر. أزحت الحجارة حجراً حجراً، حتى ظهر نفق أمامي، وجهتُ ضوء المصباح اليدوي إلى الأسفل، رأيتُ عدة مدرجات... من ثقتي التامة بـ (دغدو) لم يراودني الخوف أو التردد في النزول، ووضعت قدمي على أول الدرج.. وكأني رائد الفضاء (أرمسترونج) عندما وضع قدميه لأول مرة على القمر، وأنا بعد ثلاثة آلاف عام، لأول مرة أضع قدمي على أول درج من ذلك الزمن المخفي والسحيق. نزلت درجتين، ثلاثة، سبعة. رأيت الممر المظلم امامي. الممر بعرض مترين وارتفاع متر ونصف تقريباً، عندما سلطت ضوء المصباح لم أجد سوى الممر. بدأت المشي داخله ... اتتني (دغدو) قائلة: (هيا تقدم). كنتُ امشي بتؤدة وهدوء: (مازال باقياً)؟ . اجبرت على خفض رأسي. الى أن وصلت إلى حائط مسدود أمامي.

قالت (دغدو): انه أساس وقاعدة جدار السور الذي يلف مدينة نينوى.

عندما وصلت إلى تحت الجدار، رأيت مصطبة حجرية ملتصقة تحته.

قالت (دغدو): إنها هي...

تلك المصطبة كانت مغلفة بخشب سميك. استطعت إزاحة الغلاف الخشبي من حولها، وتحته رأيت صندوقاً خشبياً أيضاً. بصعوبة بالغة سحبت الصندوق من أطراف المصطبة الأربعة. تذكرت بأنه سيلزمني قنديل أو مصباح حتى أتمم عملي بشكل جيد. عدتُ إلى الأعلى وأضأت مصباحاً يدوياً وعدت. فتحت الصندوق، كانت قطع الذهب والياقوت والمجوهرات الملونة الكبيرة والصغيرة تتلألأ تحت ضوء المصباح، فضلاً عن كتاب مغلف بعناية في داخله.

أتتني (دغدو) وقالت:

- هذا كتاب تنبؤات (موفي موغان).

لمست غلاف الكتاب، اهترأ بين يدي وتحول إلى رماد.

قالت (دغدو): التنبؤات مكتوبة على جلد الغزال وبقي على ما هو عليه.

أخرجت الكتاب بعناية، وتذكرت بأني بحاجة إلى حقيبة يدوية حتى أضع فيه الكتاب وهذه المجوهرات وأنقلها إلى الأعلى.

قالت (دغدو): أنت مَحَق. إذهب واجلب حقيبة.

أخذت الكتاب إلى الأعلى وعدت مرتين او ثلاث لجلب المجوهرات والذهب. وضعت جمجمة وهيكل (دغدو) بنفس الطريقة السابقة في ذلك الصندوق ووضعت الصندوق داخل المصطبة وغلفته بالأحجار كما كان سابقاً.

أمامي الكثير من العمل. أغلقت البوابة بالأحجار وملأت قبر (دغدو) وأنهيته بعد ساعة أو ساعتين من العمل المتواصل . بقي أن أضع البلاط الجديد الذي اشتريته على أرضية الغرفة. كنتُ منهكاً للغاية. عندما سمعت صوت الأذان أدركت أن الوقت فجر. هناك الكثير من التراب المتبقي من قبر (دغدو) في غرفتي وعليّ أن أخرجهُ. تمددت قليلاً على السرير كي أرتاح قليلاً ودخلت في غفوة طويلة لم أفق منها إلا على صوت آذان الظهر. نظرت حولي مندهشاً من كل ذلك الذهب والمجوهرات من حولي: يا إلهي... ما هذا الذي أراه؟

أتت إليّ (دغدو) وقالت:

- هذه المجوهرات كلها لك وهي ملكك الان .

- أيّ ملك ...؟ إن امسكوا قطعة واحدة من هذه المجوهرات معي فسيعدموني

فوراً. أنتِ تعلمين ذلك؟

- وأنا ماذا أفعل هنا؟ لا تخف من هذا الأمر، لن أدع أحداً يصيبك بأذى،

سأتولى أمر إخفائها والحفاظ عليها وإخراجها أيضاً.

سمعت طرقةً على الباب، طرقتُ مستمر لم يتوقف (يا إلهي... من يكون

الطارق؟! تملكني الخوف، ربما الجيران سمعوا ليلة البارحة أصوات الطرقة

والحفرة، وربما أخبروا الشرطة. أغلقت باب غرفتي بالمفتاح وتوجهت صوب باب

الخارجي لأفتحه. أتتني (دغدو) وقالت: (لا تقلق، إنه تحسين صديقك).

حضني (تحسين) فور فتحي للباب قائلاً.

- أين انت يا صديقي؟ منذ مدة وأنت مختف، خفت أن تكون مريضاً، لهذا

أتيت كي أطمئن عليك.

- فقط لأجل ذلك أتيت؟

- كلا، هل والدك بالبيت؟
- كلا، لقد سافروا.
- سافروا...! إلى فرنسا أم إلى قبرص؟
- دعك من المزاح أيها المعتوه، لقد سافروا إلى (أكري)
- أي أنك سلطان البيت الآن؟
قدوم تحسين لم يكن في الوقت المناسب، أخاف أن يلاحظ شيئاً، لذلك قلت
له:

- هل أنت عطشان؟ سأتي لك بكأس ماء.
- وهل أتيت من الصحراء العربية حتى أكون عطشاناً؟ أتيت كي أقول لك بأني
رأيت بعض الأصدقاء في (لالش) قبل أيام، وقالوا إن أردتم السفر إلى الخارج أو إلى
أي بلد تريدون فهناك شخص اسمه (شورش) سيقوم بعملية سفرنا. ما رأيك، تعال
لنسافر سوياً.

بدون تردد أجبته:
- لا أستطيع ترك والديّ بمفردهم، فليس لهم أحدٌ سواي؟
أتتني (دغدو) قائلة:
- أنت تفكر بطريقة صحيحة، من الأفضل ألا تسافر.
قال تحسين: أهذا قرارك الأخير؟
- نعم، فوضعي مختلف عن وضعك يا صديقي، وأعلم تمام العلم ان أقدمت
على السفر فإن والديّ سيموتان قهراً على فراقي.
- إذأ، ادعوا لي بالخير يا صديقي، لكنني اعطيت إسمك لشخص اسمه (رشيد
جتو) وهذا رقم هاتفه، ثق به تمام الثقة، أنا مسافرٌ غداً.
- أي أننا لن نرى بعضنا البعض من الآن فصاعداً.

حضنته وقبلنا بعضنا قبلات الوداع وخرج (تحسين) من الباب الخارجي .
عدتُ إلى غرفتي، إندهشت من منظر التاج الذهبي المرصع بالياقوت والمرجان...
اللآلئ والمجوهرات المنثورة على غطاء سريري ، أخذتني الحيرة وانا اوزع النظر بين
قطع هذا الكنز، فكل قطعة أجمل من الأخرى.
أتتني (دغدو) قائلة كعادتها:

- لدي طلب منك، هل أقوله؟

- تفضلي.

- قد يكون الناس في هذا الزمن لا يعرفون القيمة التاريخية وأهمية هذا التاج والصولجان والطورق الذهبي، وسيهتمون بالذهب فقط. أخاف أن يقع التاج والصولجان والطورق في يد شخص جاهل ويقوم بالتفريط بها . أود أن تعدني بانك سوف تحافظ على تلك القطع الثلاثة وتخبئها جيداً حتى نوصلها إلى مكانٍ فيه أناسٍ يعرفون فيه قيمتها ، وقد تطول مدة إخفائها أو تقصر. لأن هذه القطع الثلاث تعود لعصر تاريخي مهم ليس للكرد فقط بل للبشرية جمعاء.

- أتودين أن أعود بها إلى قبرك؟

كلا، لا أرى أن من المجدي فعل ذلك، دعك من هذا الوسواس الآن. الأفضل أن تغلفهم جيداً وتحفر لهم حفرة في فناء الدار وتضعها في تلك الحفرة.
- وماذا أفعل بكل هذه الدرر والمجوهرات؟ إن أمسكوها معي فسيعدموني مئات المرات بسببها.

- اعلم ذلك. سأرشدك على الطريقة التي ستقوم بها بسرية تامة ولا تتأذى منها. عليك أن تتحرك بذكاء.. أنت سمعت بكنيسة (دير مار متى) بكل تأكيد؟ هي بعيدة عن المدينة قليلاً.

- لقد زرتها مرات كثيرة.

- في الكنيسة هناك قسٌّ واسمه (الأب ستيفان)، خذ له معك بعض الخرز لكي يراها. أنا متأكدة بأنه سيتعامل معك.

- إن قال لي من أين تعرفني. ماذا سأقول له؟

- قل له بأني تعاملت مع (فرنسيس) عدة مرات، وبعته عدة قطع أثرية. إن قال لك من أين تعرف (فرنسيس)؟ قل له عن طريق الصانع (نصير سوبي) ومحلّه في شارع (النهر) ببغداد... هذه المعلومات تكفي لجعله يثق بك.

- حسناً ، وكيف لا يتوقع هذا الرجل بأني قد أكون من استخبارات الحكومة؟

- هذا الرجل، طماع وبخيل، إن رأى الخرز معك سيتعامل معك فوراً. قل له هذه كمية صغيرة من مجموعة لديّ. وقل له إن أردت سأجلب لك صورها . هذه

المواضيع تثير (الأب ستيفان) وتجعله من الطمع يرقص فرحاً. فهو مولع بهذه الأمور إلى الحد الذي يرى بأنه لن يموت أبداً.

- هو قس، أي انه رجل دين ويقوم بهداية الناس، كيف يقوم بهذا العمل؟
- هناك الكثير مثل هؤلاء الأشخاص وبين مختلف الشرائح. الكنيسة لا تعلم بعمله هذا الذي يؤديه بشكل سري.. لا تخف منه وحاول ان تزرع الثقة فيه، فهو سيخاف منك...!

كيفما كنت أتفحص الكتاب وما هو مكتوب فيه، لم أكن أفهم منه شيئاً. وتبين لي بأن الكتاب مكتوب بالأحرف المسمارية على جلد طري من جلد الغزال. أتتني (دغدو) وقالت لي: (كما قلت لك سابقاً بأن الكتاب من جلد الغزال. أتذكر والدي في كثير من الأحيان حينما يقرأه وهو يؤمن بما ورد فيه. أحياناً كان يقول لي: إنه عالم فذ، لروحك الرحمة والطمأنينة يا (موفي موغان)، أنظر ماذا كتب: سيسقط الحكم الآشوري وستدمر إمبراطوريتهم على يد أبناء (ماد). للأسف، فأنا لم أر ذلك اليوم بعيني. كيفما كان، ألا يكفي بأن الظلم الذي لحق بنا لمدة خمسمائة سنة قد تم القضاء عليه بسيف حفيده. هذا لوحده مبعث فخر لنا... ما أشدُّ غرابة في هذا الكتاب أن أكثر التنبؤات مكتوبة عن عام ألفين الميلادية، فكل الأحداث المهمة التي تحدث الآن قد وردت فيه، وأنا متأكدة أن أحداث ما بعد ستمائة عام أيضاً مدونة فيه. لذلك أقول لك بأن الكتاب أهم بمئات المرات من المجوهرات والذهب والحفاظ عليه هو واجب قومي وإنساني. حتى (سارجون) الآشوري بقوته وجبروته بحث عن هذا الكتاب وقطع (أراستي) مبصر والده إرباً إرباً في سبيل الحصول عليه، لكنه مات ولم يعثر عليه. غداً سأضعه باللغة الكردية بين يديك، حينها ستدرك أهميته.

- هل أذهب غداً إلى القس؟

- لا تتردد في ذلك.

كنت أمعن النظر في ملامح (دغدو)، قامتها، قدّها الممشوق. هذه المرأة التي غزت كياني بعنفوان، لم أكن أرضى بزيارة شبيبته لي في المنام. بتّ عكس التيار، وبمرور الوقت أصبحت منقطعاً عن العالم الخارجي وكل وقتي ويومي تحوّل ل (دغدو)، وكي تبقى ذكراها ماثلة أمامي وفي مخيلتي كنت ألجأ إلى الوحدة والإختلاء بنفسي.

فجأة ظهرت (دغدو) بقامتها الهيفاء أمامي: (لم جالس هكذا لوحده في هذه الغرفة وكأنك مسجون، قم وخذ عدداً من المجوهرات إلى (الأب ستيفان). الآن الوقت مناسب لتقوم بهذا العمل، فالبارحة زاره قس من الفاتيكان وهو أيضاً تاجر آثار، أسرع واذهب إليهم).

كل كلام (دَعْدُو) وإرشاداتها بالنسبة لي كأوامر عليّ تنفيذها. أخذتُ ثلاثة خرزات من تلك المجوهرات وذهبت إلى كنيسة (مار متى). رأيتُ هناك بعض الأشخاص الآخرين في بهو الدير وبعض القساوسة يمرون جيئةً وذهاباً، وأنا مثلهم كنت أنظر إلى جدران الكنيسة ومعالمها.

مرّ بحائبي قسٌّ في مقتبل العمر. سألته بهدوء عن (الأب ستيفان). قال لي: إتبعني. مشيت خلفه إلى نهاية الممر ونزلنا عدة درجات إلى الأسفل وفتح باب غرفة قائلاً: (تفضل بالجلوس). لم يكن في الغرفة أحد غيري. فهمت من ذلك القس أنه يريدني الإنتظار حتى يأتي (الأب ستيفان)، لكنه أغلق الباب وراءه وقال:

- تفضل، أنا الأب ستيفان...!

- نظرت إليه قليلاً وتمعننت في ملامحه، قاطع تمعني قائلاً:

- تفضل، لم أنت صامتٌ هكذا؟

قلت له:

- أتريد الحقيقة، كنت أتصورك شخصية أخرى.

- يعني كيف كنت تتوقع شكلي؟

- كنتُ اتوقع أن تكون أكبر سنّاً، لكن كيفما كان فإن جنابك أكبر مني بعدة

سنين.

- أنا هكذا، كما تراني الآن. تفضل ماذا تريد.

- في الحقيقة، أتيت إليك لأتحدث معك في موضوع مختلف، لاعلاقة له بأمور

الدين والدنيا، أمر لا علاقة له بمشاكل الدنيا ولا بمشاكل الناس.

أخرجت من جيبتي محفظة صغيرة وأعطيتها ثلاث خرزات وقلت له:

- سمعتُ بأنك تعلم بهذه الأنواع من المجوهرات، وعندى الكثير منها. سأكون

سعيداً لو ألقيت نظرة عليها.

تناول الخرزات الثلاث من يدي وتفحص إحداها على ضوء المصباح... كلا..

الأخرى... ثم الأخرى. بان الطمع والخوف أيضاً في عينيه، فهو يعلم تمام العلم

بقيمتها. قال بهدوء:

- كيف عرفت بأنني اعلم بهذه الأمور؟

- منذ زمن تعاملت مع بائع الآثار (فرنسيس) لعدة مرات، وقد سمعت عنك منه.

- حسناً ، وكيف تعرّفت على (فرنسيس)؟

- لا تخف مني يا (أب ستيفان) لقد حصلت من مكان ما على مجموعة كبيرة من هذه المجوهرات وأنا مستعدّ للتعامل معك بشأنها.

- لم تجبني، كيف تعرّفت على (فرنسيس)؟

- عن طريق صائغ اسمه (نصير سوبي) ومحلّه يقع في شارع (النهر).

استغرب (الأب ستيفان) عند سماعه هذه الأسماء ، فكر ملياً . ثم نظر مرة أخرى إلى إحدى الخزرات ووضعتها أمام المصباح وبصوت مرتجف قال:

- أتقول بأن لديك الكثير منها؟

- تأكد بأن لدي الكثير منها، ومعها أشياء أخرى أيضاً، من ناحيتي إطمئن فلن أتعامل مع أحد غيرك.. ثق بي، وأكرر لك بأن لدي أشياء أخرى، وإن أردت سأتي إليك بعد غد وأجلب صورها معي.

فقد (الأب ستيفان) هدوءه وبان الطمع أكثر فأكثر على مُحياه وبصوت مرتجف مرة أخرى قال لي:

- هل تنتظر قليلاً حتى آخذها ليراها صديق لي؟

لم ينتظر مني الجواب وخرج من الغرفة على الفور. عرفت بأنه ذاهب إلى صديقه القس القادم من الفاتيكان. بقيت لوحدي في الغرفة، وضعت رجلاً على أخرى وأنا واثقٌ من نتيجة عملي.

لم يمر وقتٌ طويل حتى دخل القس ومعه قس آخر أكبر سنّاً منه إلى الغرفة. مع أن الخوف كان يتمالكهما، إلا أنهما أحسّا بقيمة وأهمية تلك الخزرات الثلاث. قال القس (ستيفان):

- هل أستطيع معرفة من أين حصلت على هذه المجوهرات؟

- يا أب ستيفان، نحن الكُرد لدينا مثل يقول: (هل تريد أكل العنب أم قتل الناطور؟) كما قلت لك، لدي الكثير منها وأعلم بأنها تعود إلى ما قبل ألفين وسبعمائة عام قبل الميلاد، وإن أردتم مني التعامل معكم فأنا جاهز، أو أعطوني الخزرات لأذهب في طريقي.

حتى تلك اللحظة كان القسّان واقفين، لكن حين قلت لهم ذلك، همّوا بالجلوس بجاني، أحدهم جلس إلى يميني والآخر إلى يساري، أعطاني القس العجوز الخرزات الثلاث، لاحظتُ أنه لا يعرف التحدث باللغة العربية ولم أكن أعلم بأي لغةٍ يتحدث مع القس (ستيفان). قال لي القس (ستيفان) بجرأة هذه المرة:

- هل تبيع هذه المجوهرات؟

- أنا أتيت إلى هنا كي أبيعها.

- وكم تطلب ثمناً لها؟

أتنتي (دَعِدو) وقالت: (قُلْ لهم بأن قيمة كل خرزة مائتي ألف دولار، لكن لا تبيع الواحدة بأقل من خمسين ألف دولار، سيُجبرون على شراءها) قلت لهما:

- جيد، ألا تنتظرون لبعد يوم غد لآتي لكم بصور بقية الأشياء، حينها نتكلم عن سعرها وقيمتها؟

تحدث القسّان مع بعضهما البعض، ثم قال (الأب ستيفان):

- الآن سنتفق على سعر هذه الخرزات الثلاث ومن ثم نتحدث عن البقية.

كانا يخافان أن تفوت منهما فرصة شراء هذه الخرزات وألا أعود إليهم، ولاحظت انهم مصرّون على الشراء الآن. لذلك قلت لهم بثقة:

- أنا أعلم بقيمتها في السوق الأوروبية، وأعلم بأن كل خرزة من هذه الخرزات سعرها لا يقل عن مائتي ألف دولار وإن أردتم سأتفق معكم على سعر آخر.

تحدثوا فيما بينهما مرة أخرى وأدركتُ انهم يتشاورون، كان القلق بادياً على القس (ستيفان) وكان صوته يطغى على صوت محدثه. كرر سؤاله لي:

- لم تقل لنا، كم تطلب سعرها؟

حتى تلك اللحظة كنت كتلميذٍ جالس أمام استاذة. لكنني وضعت رجلاً على رجل وبقية صامتاً لبرهة وهم ينظرون إليّ بقلق. قلت لهم بهدوء:

- كل خرزة أبيعها بخمسين ألف دولار، ولن أبيعها بأقل من هذا السعر ولو بدولار واحد، وليكن بعلمكم أن هذه الخرزات من ضمن مجموعة كبيرة موجودة لدي.

صمت الرجلان، لكن القس (ستيفان) بدون أن يستشير صديقه قال:

- أهذا آخر كلام لديك؟ ألا تبيعها بسعر أقل؟
- كما قلت لك، لن أبيع بأقل من خمسين ألف دولار، وان لم يعجبكم السعر
فسأذهب بطريقي.

اعتدلت في جلستي متهيأً للوقوف، قام القس (ستيفان) من مكانه وخطا نحو
خطوتين وقال:

- اعذرني جداً، لقد نسيت أن أسألك، أتحب أن تشرب الشاي أم القهوة؟
- لا فرق، أهم كان.

لم يمض وقت حتى جلب لي القهوة والماء.
الكنيسة، الصلاة، بيت الله، وذلك المبلغ وشراء هذه المجوهرات كل هذه
شكلت لديه خوفاً وتردداً، ولكي لا يُظهر ارتباكه ورجفان يديه، أصبح يمسك فنجان
القهوة بيديه الإثنتين. إرتشف رشفة من قهوته وقال:

- أنت مصرٌّ على ذلك المبلغ. لا ضير، فنحن سنشتري. لكن تعلم جيداً بأننا
رجال دين وهذا بيت الله، وهذه الكنيسة تعتمد في مصاريفها على الله وعلى
مساعادات الناس لنا. لذلك عليك أن تساعدنا أنت أيضاً. أتساعد الكنيسة؟
- لمَ لا، فأنا أحب عمل الخير.

- إن كان كذلك، فتبرع بثلاثة آلاف لهذا المكان.
- لأكن صريحاً معكم، صحيحٌ أنكم قساوسة وتعيشون في هذا المكان، لكن لا
تنسوا بأني بائع وانتم ستشترون مني هذه الخزرات، ولأجل قداسة هذا المكان فأني
سأتبرع بإحد عشر ألف دولار، لكنني أعتقد بأننا يجب إعلام مدير هذه الكنيسة كي
لا يكون المبلغ الذي أتبرع به بيني وبينكم فقط. ولا أعتقد بأن ذلك المبلغ سيذهب إلى
صندوق الكنيسة ودعونا الآن من هذا الحديث..!!

هب القسّان وهما يتلعثمان بالكلام. قال القس (ستيفان):

- تلك مشكلتنا ولا علاقة لك بذلك.

قام من مكانه ومد يده إلي قائلاً:

- لقد قبلنا بالسعر وسنشتريها منك.

قام القس العجوز وتوجه إلى ستارة في الجدار، توقعت ان يفتح النافذة أو يزح الستارة، لكن كان خلف تلك الستارة باب، قام بفتحه ودخل إلى غرفةٍ بعد برهة خرج وبيده نقود، اعطاني مائة وخمسة وثلاثين الف دولار. قال لي القس (ستيغان):
- عدّهم.

- لا حاجة لعدهم.

أعطيته الخزرات الثلاث، ثم أعطوني كيساً كي أضع فيه النقود وقمت من مكاني.

- كما قلت، ستأتي بعد غد، او تعال يوم الجمعة، سيكون المكان مكتظاً بالزوار ولا ينتبه أحد إلينا. سننتظر.

خرجت من (دير مار متي). لم أر في حياتي كلها مثل ذلك المبلغ، لا عند الناس ولا في البنك حتى أني لم أذهب إلى البنوك ابداً. أحسست بثقل الدولارات كما أحسست أن كل الناس تعرف بأني أحمل هذه الكمية الكبيرة من النقود، وتعلم ايضاً بأني حصلت عليها مقابل بيع غير قانوني وغير مشروع.

وصلت بصعوبة إلى البيت، وخبأت كيس النقود وتوجهت إلى مكان المجوهرات أنظر إليها (مهما سعى الإنسان في طلب الرزق فلن يأتيه إلا ما كتبه الله له) أشكر الله أني في ليلة وضحاها بتُّ صاحب ملايين من الدولارات.

انتني (دغدو) في تخيلاً وقالت: ذلك صحيح، المبلغ ضخيم، ولقد نجحت في البيع اليوم، اتمنى أن تحافظ على صبرك ولا تستعجل، وتذكر بان مدينة الموصل ستصغر أمام عينيك يوماً بعد يوم. فكر في نفسك من الآن والايام القابلة، فحياتك مقبلة على التغيير وستصبح مثار حديث الناس وعيونهم ستكون عليك وتراقبك. لم يستطع أي كردي أن يكون كما أنت عليه في هذه المدينة.. الأفضل لك أن تعود إلى كردستان، فتلك البلاد مقبلة على تغيير جذري مثلك، وتخطو خطوات في ذلك الاتجاه. يجب أن تكون دقيقاً في تعاملك، وستصبح حياتك سهلة لا تشوبها أية مصاعب.

أجل (دغدو) محقة. شاب بدون سندٍ أو ظهير، ابن مدرس كردي ومنذ سنين إن كان يتأخر راتبه شهراً كانت المهلكة في انتظاره، وفجأة وفي مدينة الموصل، أصبح من ابناء ال... سأكون مثار شكوك الجهات الأمنية وعملاء الحكومة، وسيلصقون بي

مئات التهم ويجعلونني عميلاً لإسرائيل وأمريكا وإيران ومئات الداعرين الآخرين.
أليس كذلك؟

- أنا دائماً أقول لك الحقيقة، فبقاؤك في هذه المدينة محال. هذه المرة لكي تثير
طمع القساوسة أكثر خذ لهم إسوارة من الياقوت ولا تطلب أقل من مائتي ألف دولار
ثمنها، وقل لهم إن ختم ودمغة والدي الملك (دياكو) على هذه الإسوارة. سيشترونه
منك وهم ممتنون.

مرة أخرى ذهبت للنظر إلى تلك المجوهرات والذهب والأحجار الكريمة. عندما رفعت غطاء السرير عن كتاب (موفي موغان) ظهر لي كتيّب بجانبه، استغربت من وجوده فلم يكن في السابق موجوداً. لاغرابة في ذلك، فحياتي كلها تحولت إلى أسرار عجيبة. قبل أن أحاول لمس ذلك الكتيّب، لاحت لي (دغدو) قائلة: (ذلك الكتيّب هو ترجمة لتنبؤات (موفي موغان) بلغتكم الكردية، إقرأه بتمعن وحينها ستدرك أهمية المعلومات التاريخية والمستقبلية الدقيقة عن حياتكم على الأرض).

- هل أذهب إلى الكنيسة؟

- إذهب، إنهم ينتظرونك الآن.

- أود أن أصور بعض تلك المجوهرات وأخذ الصور إليهم. ما رأيك؟

- لا ضرر في ذلك.

حتى تلك اللحظة، لم تكن لدي أية تجربة مع التصوير، ولم أكن أعرف الكاميرات ولا أنواعها. كان علي شراء إحداها لأقوم بتصوير تلك المجوهرات. عندما ذهبت إلى محل بيع الكاميرات، قلت لصاحب المحل: أنا لم أستعمل الكاميرا قبل الآن، أود شراء آلة تصوير سهلة الاستعمال ولا يكون العمل عليها معقداً لمبتدئي مثلي.

الظاهر أن سوق بيع الكاميرات كان كاسداً، فمن يصور أو يشتري كاميرا في هذه الأوقات العصبية؟ عَرَضَ أمامي نوعين من الكاميرات، واخترت إحداها، ووضع لي شريطاً فيلماً في داخلها وكان استعماله سهلاً. خرجت من محل الكاميرات وتوجهت صوب محل لأدوات الزينة النسائية فيه المئات من الحلي والأساور البلاستيكية والمصنوعة من المعدن. اشتريت بعضاً منها للتمويه على المجوهرات التي بحوزتي وكى لا ألفت انتباه أحد إليها. صورت المجوهرات التقليدية مع المجوهرات الثمينة بين بعضها وأخذت الفيلم للتحميض. بعد يومين جلبت الفيلم. للأسف، لم تُحمّض بعض الصور وبعضها الآخر كان مشوّهاً حيث لم تُصور بشكل جيد.

ذهبت إلى (دير مار متي) في يوم الجمعة، رأني القسان من بعيد وأشروا لي كي أذهب إلى المكان الذي التقينا فيه في المرة السابقة. بدءاً بالحديث مباشرة وبدوري

أخرجت الإسوارة من جيبى وأعطيتها لهم. أخرج القس العجوز مكبرة من جيب قفطانه وأصبح يتمعن الاسوارة بواسطتها.

- هذه الاسوارة عليها ختم ودمغة الملك الميدي (دياكو).

استغرب القس من كلامي، لم يكن يصدّق، كيف لكردى منسى في هذه الأنحاء وخارج من حرب مدمرة ويتحدث عن أختام الملك الميدي (دياكو)...؟!
لم اتوقف عند ذلك، بل أخرجت الصور ووضعتها أمامهم وقلت:
- هذه المجوهرات موجودة لدي أيضاً، تمعنوا في الصور جيداً.

بدأوا بالتحديق في الصور، ومع أن جو الغرفة كان بارداً نوعاً ما، إلا أنني أرى العرق يتصبب من جبيني القسين على ضوء المصباح. بدأ الرجلان بالتحدث بلغتهم- وتبين لي فيما بعد إنها الإيطالية- قال لي (ستيفان) بتردد:- الظاهر أنك عثرت على كنزٍ قيّم، وقد لا نستطيع التعامل معك بمفردنا، فنحن نحتاج إلى برنامج دقيق للتعامل فيما بيننا، نحن لدينا علاقات مع شركة كبيرة ومعروفة في هذا المجال، سندعوهم كي يأتوا إلى هنا وبدورهم يبدأون بالتشاور والتعامل معك.

- كلا، لا يعجبني هذا الاقتراح، فأنا لا أريد التعامل أو رؤية أحد غيركم، فأنا لن أبقى في هذه المدنية وسأذهب إلى كردستان. إن أرادوا فليأتوا إلى هناك لرؤيتي.

راق كلامي للقس (ستيفان) وترجمه للقس العجوز.

أعطاني العجوز بطاقة عليها عنوان مكتبه وأرقام هواتفه، كما أعطاني القس (ستيفان) رقم هاتفه وقال بأن هذا الرقم هو رقم هاتف (ثريا)، لا تعطه لأحد واحتفظ به، فأنت تعلم ما معنى أن يستعمل الشخص هذه الأنواع من الهواتف، فقد يكون مصير مستعملها الموت المحتم.

استلمت مائتي ألف دولار منهم وعدتُ أدراجي إلى البيت. والداي قد عادا من سفرتهم.

قالت والدي فور رؤيتها لي:

- لم أستطع تنظيف غرفتك لأنها مغلقة.

- أتركي تنظيف الغرفة الآن يا أمه . تحدثوا لي عن زيارتكم للأهل والأقرباء، هل

أحسنوا ضيافتكم؟

والدي قد عاد إليه الأمل حينما رأى نهاية حكم صدام حسين في كردستان، وهو يتحدث عن أهمية خط العرض (٣٦) ويقول:

- العالم الآن لم يعد يصمت أمام المجازر والإبادة، إن لم تقع حرب الأخوة بين حزبي الإتحاد الوطني والديمقراطي الكردستاني، فإنها بداية الحياة هناك وستصبح كردستان مبعث أمل لنا.

- أفهم من كلامك أن صراعاتهم وصلت إلى تلك الدرجة؟
- وأسوأ أيضاً. إن بقي الوضع على ما هو عليه فإنهم سيبيدون بعضهم البعض.
- لا أعتقد أن الأمور ستصل إلى تلك الدرجة من التأزم.
- ألا تراهم يجابهون بعضهم كديكة متصارعة؟
- ذلك فقط لعرض عضلاتهم وقوتهم العسكرية.
- ستجعل من هذه المسألة أيضاً كمسألة بقاء صدام في الحكم.
- ألم تنس ذلك الموضوع.
- حتى وإن تحاربوا فالوضع هناك أحسن من هنا، فأنت بين أهلك وأقاربك.

كما رأيت العالم تغير... تغير.

قلت لهم:

- الظاهر ان لديكم نية... أم لا؟
- آثرت والدتي الصمت والتفتت بوجهها إلى الطرف الآخر، ووالدي أيضاً لم يجبني، أي أنه ينتظر الجواب من والدتي.

- ما بكم، لم لا تتكلمون؟

- قلنا بأن الأمور ستطول هنا، ولاسمح الله إن مات أحدنا هنا، فلن يأت أحد لنجدتنا، إن اتفقت معنا على هذا الرأي سنعود الى الوطن بين أهلنا وأقربائنا.. أليس كذلك؟

قلت في نفسي: (أشكرك يا دغدو...)

- لا داعي للشكر، كنت أعرف أن والديك سيقمران العودة، ومنذ زمن هما يناقشان هذا الأمر بينهما .

- أي أنكم قررتم وإلى الآن لا تعرفون رأيي. أليس كذلك؟

- إن لم توافق فلا معنى للكلام في هذا الموضوع، فنحن لا نستطيع الابتعاد عنك.

نظرت والدي بتشنج إلى والدي:

- لم أنت صامت لا تتكلم؟

- لست صامتاً، أنا أنتظر رأي سنكر.

- أي انكم وصلتم لقناعة بأن بقاءنا في الموصل غير مجدٍ لنا؟

- نحن نرى ذلك، ونريد رأيك في ذلك.

توقفت برهة عن الحديث ثم قلت:

- وكيف أتخلى عنكم، سأذهب معكم إلى أي مكان ترونه مناسباً وأنا أيضاً

متفق معكم.

- إذأ، هذا قرارنا نحن الثلاثة، بقي البيت، أنا لن أسكن في بيتٍ للإيجار، وأود

أن أكون في بيت ملكنا، وكل ما نملكه هو هذا البيت فقط، وقد لا يوافقون على

تقاعد والدك لأنه بعيد عن الحكومة.

- أمك مُحقة، فلا نملك شيئاً غير هذا البيت؟

- كلا يا والدي، أترك البيت. الله كريم.

- بُني، الله كريمٌ للجميع، نحن نتحدث عن اثنين زائد اثنين، فالجمع بينها ليس

بثلاثة ولا بخمسة أيضاً.

- كلا يا أبي، أحياناً يكون مجموع العملية بينها عشرون أيضاً إن أراد الله ذلك،

لا تحملوا هم النقود فأنا لدي نقود.

نظرت والدي باستغراب إلى والدي ثم إلي وهي تقول :

- لديك نقود، من أين؟!

- من عند الله...عندما سافرتم إلى كردستان، كنت أتمشى أحياناً بجانب حائط

نينوى، لفت انتباهي كلبٌ كان يحفر التراب تحت الحائط، اقتربت منه. اخرج ذلك

الكلب جمجمة إنسان من تحت التراب، الجمجمة كانت قاسية جداً والقدم بادٍ

عليها، عندما حركت الجمجمة، سقطت منه قلادة، جلبت القلادة وعدت بها إلى

البيت وبعدها قمت ببيعها لقس في كنيسة (مار متي) بمبلغ كبير. لذلك قلت لكم لا

تهتموا للنقود.

قمت وذهبت إلى غرفتي وعدتُ وفي يدي مائة ألف دولار، وضعتها أمامهم.
استغرب والداي أيما استغراب وكأن سحراً قد أصابهم عند رؤيتهم لكل تلك النقود.
كانوا مندهشين وصامتين، أردتُ اقناعهم بقولي :

- الأمر لا يدعو لكل هذا الاستغراب، إنه عطاء من الله، وهذه النقود لكم
وتستطيعون شراء ثلاثة بيوت بها. تصببت عرقاً من الخجل وقلت في نفسي:
(سامحني يا الله لأنني لم أستطع قول الحقيقة لهم).

لاحت لي (دغدو) وقالت:

- كذبك هذا لا ضرر منه، وقد حان الوقت لتقول لهم كل ما جرى معك.

أمسك والدي بحزمة الدولارات ورفعها قائلاً:

- فقط في الأفلام السينمائية رأيت مثل كل هذه الدولارات.

كان القلق بادياً على وجه والدتي:

- ما بك يا أمّاه؟.. أراك قلقةً؟!

- بُني، أخاف أن تتحول هذه النقود إلى أفاعٍ وتلتف حول رقابنا، فنحن تعودنا
على هذه الحياة وأخاف من المستقبل.

- الأمر لا يدعو للخوف أبداً. فالقساوسة أذكىء وطمّاعون، وقد يكونوا قد
اوصلوا تلك القلادة إلى أوريا الآن. لا تقلقي أبداً، فنحن لم نسرق من أحد وهي بداية
فرح لنا للعودة إلى الوطن وبداية حياة جديدة هناك.

- أنا خائفة من النقود الكثيرة، لطالما كانت النقود سبباً في المشاكل. لذلك أنا
خائفة.

- أمّاه، لا تعكري صفو فرحتنا، فكل هؤلاء الأغنياء الذين تزينهم يفتخرون
بأنفسهم وأموالهم، هل هم ملائكة، بالطبع ليسوا ملائكة. فمنهم اللص ومنهم
الكذاب، والمنافق، وبعضهم فاسد وقاتل أيضاً. وقد يكون القليل منهم من كسب
ثروته من عرق جبينهم. لماذا تزين ان هذا الرزق ليس من صالحنا وسيجلب لنا
المشاكل.

- بُني، لا يستطيع أيّ من كان مضغ اللقمة الكبيرة.

- إن سرقناه، سيعصى في حلوقنا. لا تفسروا الأمور بهذا الشكل، هي مساعدة إلهية وقد وهبنا أياها الله ليساعدنا، علينا شكر الله ولا داعي لهذا القلق. انتم غريبون بالفعل. أبي، لم لا تقول شيئاً؟

- بُني، والدتك محقّة، فالأموال الكثيرة دائماً ما كانت سبباً في المشاكل والمصائب، هذا الكلام مبني على تجربة حياتية.

- الظاهر أن تلك المشاكل كانت تواجه الفقراء فقط، والأموال كانت من نصيب الأغنياء دائماً، أليس كذلك؟

- علينا أن نخطو خطواتنا بذكاء.

رفعت والدتي يديها إلى السماء وقالت: (يا الله استرنا من البلاء)

- أي اننا إن لم نبع البيت هنا، فسنؤجره؟

- كلا يا أبي، لن نبيعه ولن نؤجره أيضاً الآن. لنترك بيتنا هنا على ما هو عليه الآن، وعودوا أنتم إلى الوطن حيث هناك الكثير من العمل تقومون به. برأيي ان اشترتكم بيتاً في (هولير) سيكون أفضل.

- ولماذا ليس في السليمانية؟

- (هولير) هي عاصمة العراق الصيفية ومستقبل بيتنا مضمون هناك، اسمعوا كلامي، ف شراء البيت في (هولير) أفضل لنا.

واضح أن والدتي لم تعد تحتمل الغربة والابتعاد عن أهلها في السليمانية.

- قوموا بما ترونه مناسباً لكم، هذه النقود هي حلالكم.

- بُني، ليحكم غوث بغداد، فنحن لن نأخذ معنا لا البيوت ولا الأموال إلى القبر، ستظل كلها لك من بعدنا.

أنا (موفي موغان) حاضن النور، عدتُ من أعماق السماء، أنا شعاع الآلهة الرّصين، أضع النجوم في كفي حيثُ منحتني الآلهة القوة والقدرة، الإثمُ بعيدٌ عني. أنا الوحيد أمام أشعة النور الأولى المنبعثة من الأفق حيثُ تزرع فيّ بذور الفضيلة، أتقلد قلادة ربّانية، في كل حبةٍ من حباتها وصيةٌ من الوصايا الحسنة. يُحاول أهريمان إبعادي عن النور ويلفني بالظلام، أن يزرع الخوف والطمع في روحي ويضع المصاعب أمامي، أن يغمرنني في أنهر الشهوة... أنا (موفي موغان) تلميذ مراتع الآلهة وسليل آهورا. كجرحٍ أقرب من الحقيقة، أحمل القناديل بأشعتها الحادّة، من مضيق إلى مضيق، من حُجرةٍ إلى حُجرة، أدقُّ أبواب الظلام. بأمر من الآلهة تنثر قوافل الملائكة النور، وأنا أحفر في الحقيقة. إسمعوني، كل ما أقوله يتحقق، إن صدّقته أم لا، اترك الماضي الآن. أنا (موفي موغان) مرآة المستقبل والنور أمامك في المنعطفات. إسمعوني أرجوكم، مستقبلكم أمام عيني الآن. الإله (ميتر) ذو الألف عين وألف أذن هو مُنير دربي. كل ما أقوله تأكّد بأنه سيتحقق. لن أذكر الماضي، فكل ما حدث قد مضى، إن كان خيراً أم شراً. اللولويون، الميتانيون، الإيلاميون، الكاسيون، الأورارتيون... اتركوهم الآن، فهم لم يكونوا سنداً لبعضهم البعض. تأكّدوا بأن ما أقوله سوف يتحقق بدقة.

١. سوف يولد نبيُّ، وتبدأ دورة الزمن من يوم مولده، وبعد ثمانمئة سنة سيولد ذلك النبي واسمه (عيسى).

٢. ٧٠٠ ق.م - قبل ميلاد ذلك النبي-، أي مئة سنة أخرى، ستحكم سلالة باسم (ماد) وأول ملوكها سيكون اسمه (دياكو) وسيحكم لمدة خمس وأربعين سنة. ٦٤٠ ق.م سيولد نبيُّ واسمه (زردشت).

٣. ٦٠٥ ق.م سيظهر حاكم من سلالة (ماد) هو ابن أخ الملك (دياكو) واسمه (هوخشتره) سيُنهي الحكم الآشوري إلى الأبد وفي عام ٦١٢ ق.م سيتم تدمير (نينوى) عاصمة الآشوريين من قبل ذلك الملك.

٤. ٥٩٠ ق.م، ستندلع حرب طويلة ودموية بين (ماد) و (ليديا).

- ٥٠٥٠ ق.م. يحدث انقلاب على آخر ملوك ماد (أزدهاك) من قبل ابن أخته (كورش) ويقتله.
- ٥٣٩ ق.م، يحتل (كورش) مدينة بابل.
- ٥٢٥ ق.م، تحتل كمبوديا مصر.
- ٤٩٠ ق.م، تندلع حرب المارتون بين إيران واليونان.
- ٤٦٦ ق.م، يصبح (بريكليس) ملكاً على اليونان.
- ٤٦٥ ق.م، يُقتل ملك كبير من حكام الهخامنيين واسمه (خشابار).
- ٣٣٤ ق.م، يُهجم الجيش اليوناني على إيران.
- ٣٣١ ق.م، تندلع حرب (أرتيلا).
- ٣٣٠ ق.م، يُقتل آخر ملوك الهخامنيين.
- ٣٣٣ ق.م، يموت الإسكندر المقدوني.
- ١٤٩ ق.م، ينتهي حكم (كارتاج).
- ٧١ ق.م، يقوم عبد واسمه (سبارتاكوس) بإشعال الثورة.
- ٤٤ ق.م، يُقتل (يوليوس قيصر).
- ١٨ ميلاد النبي عيسى.
- ٣٣ م، يصلب النبي عيسى.
- ٥٤ م، يصبح نيرون ملك الرومان.
- ٢٢٧ م، ينهار حكم سلالة (الأشكانيين) وتأتي السلالة الساسانية على الحكم.

- ٢٤٣ م، يُعلن (ماني) نبوته.
- ٣١٢ م، يصبح قسطنطين ملكاً على الرومان.
- ٢٤ م، تموت (أتيلا).
- ٥٧١ م، ميلاد نبي باسم (محمد).
- ٦٢٢ م، يموت (محمد) نبي الإسلام.
- ٦٢٢ م، يصبح معاوية خليفة على العرب.
- ٧٤٩ م، ينهار حكم الدولة الأموية.
- ٧٨٤ م، يصبح شخص اسمه (هارون) خليفة على بغداد.

٣٠. تظهر سلالة باسم (سلجوق).
٣١. ١١٨١ م، (صلاح الدين الأيوبي) يحكم مصر.
٣٢. ١٢١٤ م، يظهر شخص باسم جنكيزخان ويحتل مدناً وبلدان في المنطقة.
٣٣. ١٢٢٧ م، يموت جنكيزخان.
٣٤. ١٢٥١ م، منكوقآن يُخلف جنكيزخان.
٣٥. ١٢٥٨ م، يحتل هولوكو مدينة بغداد.
٣٦. ١٣٦٧ م، يحتل تيمورلنك البلاد.
٣٧. ١٥٢٩ م، يهاجم السلطان (سليمان عثمان) أوروبا.
٣٨. ١٦٨٩ م، يصبح شخص باسم (بطرس) ملكاً.
٣٩. ١٧٣٦ م، يُهاجم (نادرشاه) بلاد الهند.
٤٠. ١٧٦١ م، تصبح امرأة باسم (أليزابيت) ملكة على روسيا.
٤١. ١٧٦٢ م، تصبح (كاترين) ملكة.
٤٢. ١٧٤٩ م، يولد (نابليون).
٤٣. ١٧٨٧ م، تصبح (فيكتوريا) ملكة على بريطانيا.
٤٤. ١٩١٤ م، تقوم حرب دموية في العالم ويموت خلق كثير على إثرها.
٤٥. ١٩٤٤ م. تقوم حرب عالمية وتسبب بقتل الملايين من البشر..

- إن (موفي موغان) هذا، داهية، كتب هذه التنبؤات قبل مئات السنين وجميعها تحققت.

- كان والدي الملك يرى هذا الكتاب مقدساً ويؤمن به. اتذكر أن أمراء (ماد) وهم يأتون إلى والدي ويشتكون من ظلم وجور الجنود الآشوريين. ووالدي يقول لهم بكل ثقة: (اصبروا وتحملوا، فلم يبق الكثير، سوف تنهار امبراطوريتهم على أيدينا نحن الماديين. أنا واثق بأننا سنأخذ بثأر خمسمائة سنة خلت وسنحتل أراضيهم وسنبيع نساءهم وزوجات وبنات أمراءهم في أسواق الجواري.

ما قاله الملك (دياكو) تحقق بحذافيره، وما قرأته الآن كان من أحداث الماضي. أقرأ الآن عما كتبه عن المستقبل وعصركم الحالي.

٤٦. في سنة ٢٠٤٠ يظهر وباء نتيجة فيروس من السماء ويؤدي إلى أزمة اقتصادية عالمية وتغييرات في بعض الأنظمة.
٤٧. في سنة ٢٠٦٠ م، تنتشر ظاهرة تغيير الجنس (من ذكر إلى أنثى ومن أنثى إلى ذكر) وتنتشر هذه الظاهرة في كل بلاد العالم.
٤٨. ٢٠٨٠ م، ينفجر بركان هائج من جبل في كردستان، واسم الجبل (بيرمكرون) ويتسبب بإبادة الكثير من البشر.
٤٩. ٢١٠٠ م، تجف آبار النفط في غالبية دول الشرق الأوسط وتسجل كردستان أعلى نسبة في إنتاج النفط.
٥٠. ٢١١٠ م، تُكتشف ينابيع من الذهب وتؤدي إلى خفض قيمة الذهب في الأسواق العالمية.
٥١. ٢١٢٠ م، تنقسم أمريكا إلى ولايات وفي ذات السنة تنقسم تركيا وإيران بين الشعوب القاطنة فيها.
٥٢. ٢١٥٠ م، تحدث اتصالات بين البشر على الأرض والكائنات الفضائية.
٥٣. ٢١٦٠ م، يحدث زلزال قوي ويتسبب في تغيير خارطة العديد من الدول، ومضيقا البوسفور والدرديل بين البحر الأسود والبحر الأبيض يتجمدان، وترتبط قارتا آسيا وأوروبا ببعضهما.
٥٤. ٢٢٠٠ م، يتأثر البشر كثيراً بالآلة والأدوات الألكترونية، حيث تخف أحاسيس البشر، العاطفة والحب يهبطان لأدنى مستويتهما في النفس البشرية.
٥٥. ٢٢١٠ م، ينفجر نبع ماء في كردستان باسم (بيخال) ويتشكل منه أكبر نهر في الشرق الأوسط.
٥٦. ٢٢٢٠ م، كل فرد سيستطيع استنساخ عدة نسخ من شخصيته.
٥٧. ٢٢٥٠ م، يبني الإنسان مدناً كبيرة في المحيطات وفي أعماق السماء.
٥٨. ٢٢٦٠ م، تعود مرحلة الأمم مرة أخرى إلى المجتمع البشري، وكل إمراة يحق لها الإقتران بأكثر من أربعة أزواج.
٥٩. ٢٢٨٠ م، يتم جمع الذرات السائبة في الفضاء، فضلاً عن جمع أصوات الأنبياء والقادة السابقين، حينها تظهر حقائق التاريخ بشكلها الجلي.
٦٠. ٢٣٣٠ م، أحاسيس الإنسان تصبح أقوى، ويشعر بالأحداث قبل وقوعها.

٦١. ٢٣١٠ م، يرتفع متوسط عمر الإنسان إلى أكثر من مائة وخمسين عاماً.
٦٢. ٢٣٥٠ م، وعي الإنسان يتحول ويصل لدرجة بحيث يكون كالفاكس ينقل
المعلومة من مكان لآخر بثانية واحدة.
٦٣. ٢٣٥٠ م، تحدث حرب كونية بين الأرض وكوكب آخر، ستكون حرب
فضائية ولن تصل نيرانها إلى الأرض.

- أنا متأكد أن هذه التنبؤات التي قرأتها هي لعصرنا الحالي، هي والتي حدثت في
الماضي أحدثت تغييرات جذرية في بنية المجتمع البشري. إن كشفها وتحديث عنها
أمام الناس، فإنهم سيتهمونني بالجنون، مع أنني متأكد بأنها كلها ستتحقق وبدقة.
- أتوقع أن الوقت لم يحن لنشر هذه المعلومات، سيأتي اليوم الذي ستنتشر
بين الناس. أما أنت، فمن الآن تخطو خطوات باتجاه حياة أخرى، وبدون شك،
الانسان المعروف سيكون له أعداء أكثر من الأصدقاء ولتحافظ على نفسك من
الأعداء المعروفين والمخفيين، ما عليك إلا أن تحافظ على نفسك وفكرك قبل كل
شيء.

- ماذا تقترحين عليّ فعله؟ وماذا أستطيع فعله؟

- أتذكر أن والدي يحتفظ بتميمة تحت خاصرته. هي دائماً معه وحتى في أيامه
الاخيرة عندما تم أسره. حينها، سلم تلك التميمة لمعتمده (أوراس). كانت هناك
خرزة عجيبة ملتصقة بتلك التميمة. اعتقدوا بأن تلك الخرزة قد سقطت من
السماء. أتذكر أن حرفاً بالخط المسماري كان مكتوباً على تلك الخرزة، أخرجها
وضعها تحت خاصرتك، فهي ستحميك من الكثير من المصاعب والمشاكل، واعدائك
لن يقدرُوا عليك.

بهدوء ذهبت إلى غرفتي، بين النوم واليقظة، وككل مساءً، تأتي تلك المرأة شبيهة
(دَغدو) ونقضي ليلتنا سوية. (دَغدو) الثانية أصبحت كحالة ميكانيكية لدي، بدون
روح، بدون صوت، باردة وجافة. إن استعملت يدي في الوصول للشهوة كان أفضل
من رؤيتها، فإحساس اليد يبعثر الخيال، ويستنطق الروح. مع تلك المرأة، أحسُّ
بنفسي وكأنني بقرة حلوب، كل مساء تقوم بحلبي. لقد ضقت ذرعاً بأحلامي، كبطل
فيلم كارتوني يحركني العامل حسب أهوائه، نفس البرود ونفس الأحساس بالفراغ،
كفرس تصدأت حداته ولا يجيد الجموح ولا الصهيل.

بعد كل إشباع للرجبة معها، كنت أحرّك يدي يميناً ويساراً، لكن الفراغ من نصيبيها . الذاكرة تعود بي إلى (خيمة) وتأوهاتنا وحرارة أنفاسها، فمها الشهواني وملايسها المثيرة... منذ فترة وأنا أعاني بين عالمين، عالم النور والظلام، بين الوجود والفاء. والدتي ككل الأمهات، تود أن تزوج ابنها، تختار ابنة أختها أو إحدى قريباتها حتى تصبح عروسة لإبنها... نعم، كنت بين عالمين، عالم (دغدو) المليء بالبراءة وعالم شبيبتها الذي تحول إلى مجرد حالة ميكانيكية... إجترار يومي... أحياناً ، أقوم بتصرفات صبيانية، لكني لم أكن أجيد التحليق أبداً.

- أنا سعيدة لأنك وصلت لهذه القناعة. لو إنك تستطيع أن تحول حبك الشهواني لي إلى حب نظيف بدون ذنوب، كحب أخٍ لأخته، أو أم لإبنها... لا أدري. بين خالة وابن أختها... حينها نستطيع اجتياز مرحلة أخرى، ولا تنسى أن عمري ألفان وسبعمائة سنة. أنت حرٌّ الآن في اختيارك.

- افهم من كلامك، إن تلك المرأة شبيبتك لن تأتي إليّ في المنام منذ الآن ومستقبلاً، أليس كذلك؟

- أنت أدري والقرار قرارك.

- جيد، لتجعلها ألا تأتي، حينها سأفكر إن كنت مقتنعاً بذلك أم لا؟

- ألسنت متردداتاً؟

- كلا، أنا مصرٌّ على كلامي. ومنذ اليوم.

- حسناً ، اليوم لن تأتيتك...

- والدك ووالدتك قد استقرّا وهما قلقان عليك فقط.
- وهل أعود أنا أيضاً إلى هولير؟
- حياتك الحقيقية تبدأ من هناك.
- سبب بقائي في هذه المدينة هو التاج والصولجان العائدان لوالدك، فقد خبأتهما في هذا البيت وأخاف ان يقعا بيد الناس.
- لا تخف، ذلك التاج بقي مخفياً لمدة ألفين وسبعمائة عام، بضعة شهور أخرى لن تغير من الوضع شيئاً.
- لن تغير من الوضع شيئاً؟! يعني أذهب وأنا مطمئن البال؟
- ثق بكلامي وعدّ غداً إلى كردستان.
- لا استطيع العبور من نقاط التفتيش خارج المدينة، فالأجهزة الامنية للدولة العراقية تحيط بأطراف المدينة الأربعة. تذكرتُ (رشيد جتو) الذي أعطاني عنوانه صديقي (تحسين). أتتني (دغدو) مرة أخرى وقالت: "جتو ذاك محل ثقة ولا تخف منه".
- بدأت أعد نفسي للعودة إلى كردستان. في الصباح رأيت (جتو) وقال: "أنا لا أعلم بما تحمله معك، لكن حتى وإن كنت تحمل دبابات سأخلصها لك، لقد قمتُ بالكثير من هذه الأعمال". اجبته قائلاً: "لا أحمل معي أية ممنوعات، عداي أنا، أخاف من نقاط التفتيش تلك أن يقبضوا علي، وأنت تعلم بأنهم إذا قبضوا عليّ في هذا الزمن، فلا أحد يستطيع إخراحي من بين أيديهم".
- مساءً خرجت برفقة (جتو) وشخص آخر من المدينة، مشينا ساعتين بين الشوارع الخاوية والأزقة وأحياناً نضطر للركض. وأخيراً، جلس (جتو) على صخرة قائلاً: "إنتهينا من الخطر، من هنا تبدأ سلطة البيشمركة وكي لا نلفت انتباههم سنقضي الليلة هنا حتى حلول الفجر، بعدها سنكمل مسيرنا". كان (جتو) معتمداً لدى جهاز (الباراستن) وهو يعرف غالبية عناصر البيشمركة في تلك المنطقة، و معروفاً بالرجل الناري من نشاطه غير المسبوق، حتى يُقال أنه كان يتحرك أحياناً وهو يقود جراراً زراعياً.

- أخ سنكر، إذا سألوك إلى أين أنت ذاهب فقل لهم إن بيتنا في هولير وأنا عائداً إلى بيتي.

- (تحسين) يذكر اسمك كثيراً وأنا متأكد بأن الأخوة هنا يعرفونك أيضاً.
احب أن اعلم إلى اين وصل (تحسين) في سفره، لكني تصنعت بأني أعرف كل شيء عنه وعن أخباره. لذلك قلت:

- تحسين رجل المستقبل، وكان بمثابة أخ بالنسبة لي.
- (تحسين) ابن خالتي وصديق طفولتي، هو استمر في الدراسة وأنا توقفت عنها. ومؤخراً غير (شورش) رأيه بالعدول عن السفر وهو الآن مستمر في نشاطه ضمن الحزب. إن كان لديك رقم هاتف ثريا فسأعطيك رقمه.
لم ينتظر جوابي وقال: "أكتب الرقم عندك".

أشعة الشمس تنبعث من الأفق، فقط بضعة نجوم تُشاهد في السماء. قال (جتو): "لقد حان الوقت، لنذهب". بعد مسير نصف ساعة تقريباً رأينا حاجزاً للبيشمركة، لجأنا إلى الحاجز. وأزاحوا عنا فوهات البنادق والرشاشات بعد أن عرفوا (جتو) من بعيد. بعد التحية والسلام، مشينا إلى الطريق العام وهناك قال (جتو): "سنفترق هنا عن بعضنا".

ودّعنا بعضنا بالقبلات الحارة وأخرجت مائة دولار من جيبى لأعطيها له. تدمر من تصرفي هذا قائلاً:

- أترك هذه الأمور يا أخي، أنا قمت بواجب قومي، وأرى نفسي أنا أيضاً بأني إنسان وطني وأخدم شعبي.

إعتذرت منه وابتعدت عنه قليلاً. من بعيد ناداني: "كاكا سنكر، أنا إسبي (رشيد) وليس (جتو)". قلت له: "اعلم ذلك، ولكني أفضل إسم (جتو) وسيبقى إسمك (جتو) لدي... إلى اللقاء".

هُم ذهبوا باتجاه، وأنا ذهبت باتجاه آخر. مرّت سيارة مسرعة، أشرت لها بيدي، لكنها لم تتوقف. سيارة أخرى، ثم أخرى. كنت أحمل حقيبة سفر واحدة، وقد وضعت المجوهرات في كيسين قديمين باليين وللتمويه وضعتُ بعض المجوهرات التقليدية، كما وضعت ربطتين من فئة المائة دولار تحت الكيسين ووضعت فوقها

بعض دفاتري الصغيرة وتقويم شهري من الكارتون المقوى. تملكني الخوف،
تحسست تلك القلادة التي في رقبتى، قلادة الحظ لدى الملك (دياكو).

انتني (دغدو) وقالت:

- الأمر لا يستدعي الخوف، ستصل إلى البيت بدون مصاعب أو مشاكل.

إزدادت ثقتي بنفسى. من بعيد رأيت سيارة قادمة، لوّحت لها بيدي، عندما
اقتربت منى، رأيت بأنها سيارة شحن كبيرة. توقف السائق قائلاً: إلى أين أنت ذاهب؟
قلت: إلى هولير.

قال: إن أعطيتني خمسة دنانير سويسرية سأوصلك.

عندما جلست بجانبه قال: ناولني الدنانير الخمسة.

قلت له: دعني أرتاح قليلاً فأنا لن أهرب، هذه خمسين ديناراً مطبوعة أي ما
تعادل ثمانية دنانير سويسرية.
أخذ النقود وقال: عوّضك الله.

بعد فترة من مسيرنا، توقف لربع ساعة في استراحة وتناول (سيخين) من اللحم
المشوي وبعدها أصبح يصدح بالغناء: ليلى عيونها جميلة... ليلى جذابة وحلوة... هي
هي هي. كان يترك مقود السيارة أحياناً ويحرك بيديه ويعود يمسكهما مرة أخرى.
- انتبه يا أخي، ستنقلب بنا السيارة.

نظر إليّ بتدمر:

- ماذا تعرف عن السياقة أنت؟ أنا لست أعى.. الحمد لله لست بأعى،
عشرون عاماً وأنا أسوق السيارات، عملت سبعة حوادث فقط ومرة واحدة
انكسرت رجلى.

عندما تمعّنت في وجهه، كانت إحدى عينيه تكسوها بقع بيضاء. عندما رأني
أمعن النظر فيه، قال لي:

- عيني هذه دخل بها فرع شجرة عندما كنتُ صغيراً، أنظر إليها... هل رأيتها؟

- رأيتها... نعم رأيتها.

- ما هو عملك؟

- أنا طالب في جامعة الموصل.

- ولماذا في الموصل وليس هنا؟

- أبي أستاذ مدرسة ومستبعد من قبل السلطات إلى هناك، لذلك أنا مع والدي؟

- رأيت ماذا فعل بنا العرب؟

- ولماذا تقول العرب؟ قُل صدام حسين وحزبه، هناك الكثير من العرب الجيدين والمخلصين ويحبون الكُرد. وهل نحن الكرد جميعنا جيّدون؟
- أنتم الأفندية هذا تفكيركم. إن بقي الحال على ما هو عليه فسندفع الضريبة مرة أخرى وسيقومون بأنفلتتنا ثانيةً، أنا ابن شهيد، أبي من بيشمركة أيلول، عشت يتيماً، أنا ووالدي وإخوتي عانينا الفقر المدقع والويلات. أنت تلقي الكلام على علّاته. لا تتكلم بهذه الطريقة فأنت تذنب بحق نفسك، إن رأيت ما عانيناه، كنت ستفقد عينيك الإنتين وليست فقط واحدة مثلي.

فكرت بأن هذا الرجل قد تحوّل إلى قنبلة موقوتة، والأفضل ألا أكمل الحوار معه كي لا ينفجر بوجهي. وصلنا إلى (بردزّش) ولحسن الحظ لم توقفنا أية نقطة تفتيش... (شكري الأعشى)- كما يسمّيه عناصر نقاط التفتيش من البيشمركة - ليمر (شكري الأعشى).

كنت اتضور جوعاً وكان (شكري الأعشى) عنيداً ولم أرد أن اوقفه لأتناول شيئاً من الطعام برفقته. وصلنا إلى هولير في فترة العصر ووالداي لم يكونا على علم بقدومي. كنت قد كتبت إسم العي ورقم البيت على ورقة وضعتها في جيبتي وسألت سيارات الأجرة عن العنوان، أخذت سيارة أجرة ووصلت أمام باب البيت.
طرقت الباب، فتحه والدي، ومن بعيد أحست والدي بقدومي وأتت مسرعة لاحتضاني.

- لو لم تأت اليوم، كنت سأتي إلى الموصل لأخذك، أنت لا تعلم ما فعلته والدتك بي، كانت تلومني كل دقيقة وساعة، لأننا تركناك لوحدها هناك.

جهّزوا لي غرفة بسرير يتسع لشخصين، فضلاً عن خزانة ملابس وكراسي وموبيليا جديدة وقامت والدي بتزيين الغرفة، عندما تمعننت حولي، رأيت على الطاولة بيضة حجرية، كان مُعتقداً عند النساء بأنه فأل حسن وإن وضعوا تلك البيضة الحجرية في غرفة الشاب فإنه سيُقبل على الزواج، تيمناً بالدجاجة حينما توضع تحتها تلك البيضة فإنها تبيض.

إتصلت بصديقي (تحسين)، استغرب حين حادثته عن طريق هاتف ثريا، كان في مدينة هولير وقريب من الحي الذي نطقنه.

قال لي: أين انت؟

- في هولير.

- أنا قادم إليك.

- ليس الآن، فأنا متعب جداً ولم أنم البارحة أبداً. تعال في المساء.

- أنا لم أرَ عشرين ألف دولار في حياتي ولا حتى عند الناس، وتقول لي هذه النقود لك؟!

- أنت ضعتها في جيبك الآن قبل أن يراها الناس معنا، فلن نسلم من القيل والقال حينذاك.

- ها قد وضعتها في جيبك، لا أظن بأني سأعيدها لك بعد ألف عام.

- يا معتوه، ومتى سأطلبها منك؟ هذه النقود حلالٌ عليك، وإن لزمك أكثر فسأعطيك.

- يا سنكر، كأنك عثرت على خزائن السلطان؟ إنها نقود كثيرة جداً ولن تنتهي إن صهرتها، وفضلاً عن ذلك ستعطيني إن أردت أكثر!؟

- تصرف بها بما يلزمك وفكر في إشباع الحيتان الصغيرة في بيتك.

- البارحة كنتُ أبحث مسألة قرض أو دين أمام زوجتي (شيرين)، لم تقتنع باقتراحي، بقولها كيفما كان سنتحمل، أفضل من ألا نفي بوعدنا ونخجل أمام الأهل والأصدقاء، وحتى إن اقترضنا، فمن أين سنعيد ذلك الدين؟ إن وضعتُ الآن عشرين ألف دولار أمامها، فقد تصاب بالجنون، وقد تهمني بأني سرقتها، ففي هذه الأيام العصبية من يعطي مثل هذا المبلغ الكبير؟

- تحسبن يا صديقي، لا تجعلني أخاصمك. إنها نقود حصلت عليها بطريق شرعي ، ولم أسرقها.

قاطعي تحسبن قائلاً:

- كلا، أنا لا أشك في ذلك، لكن افهمني، أنا ما زلت مستغرباً من هذا المبلغ الكبير في جيبك، لا أعلم كيف سأقنع زوجتي (شيرين) وهي تعلم تمام العلم بأن مدرستنا لا يوجد فيها عشرون فلساً حتى أسرقها، هناك أستاذ يجلب لنا بعض النقود كل شهرين أو ثلاثة، فهل تريد مني ألا اتضايق، وتريد لزوجتي أن تقتنع بأن صديق لي أعطاني إياها؟

- هل تحدثت لشيرين عني مسبقاً؟

- نعم، حكيت لها كل تفاصيل حياتك.

- جيد، أنا سأحل هذا الإشكال، أتركنا من هذا الحديث الآن، ماذا تريد أن تفعل بهذه النقود؟
- قبل كل شيء سأشتري سيارة.
- هل تعلمت سياقة السيارة؟
- أعرف قليلاً، على كل حال شوارعنا ليست بشوارع باريس ولندن، واغلب السائقين هنا لا يعرفون السياقة جيداً، تراهم يصرخون من نوافذ سياراتهم ويقولون: إبتعد عني فالمكابح لا تعمل...
- هل تعلمني السياقة؟
- وضع تحسين يده على عينه: السياقة فقط؟
- رفع سنكر كأس البيرة.
- _ عافية على قلبك، أنا لست بمدمن بيرة، إن احتسيت كأسين أو ثلاثة أخرى فإني سأقلب هذه الحانة رأساً على عقب.
- كلا يا صديقي، سنقضي ليلتنا بهدوء بعيداً عن المشاكل.
- حسناً ، انت الآن في كردستان، لم تَقُل لي ماذا ستعمل هنا؟ هل تود أن تتوظف؟ أم تريد الدخول في معترك السياسة؟ وطبعاً، لا تفكر بالسفر إلى الخارج؟
- أنا لا أفكر بهذه الأمور كلها، ولا أود التوظيف الآن، أعني لا أستطيع أن أصبح موظفاً لدى الحكومة الآن.
- وهل ستبقى هكذا بدون عمل؟ عليك أن تنشغل بشيء تُمضي وقتك به.
- سأفعل هذا، أود أن أكمل دراستي، بدايةً الماجستير وبعدها الدكتوراه.
- ولمَ لا؟ تفكيرٌ صائب، على حد علمي هناك قسم لدراسة الماجستير في الآثار بجامعة صلاح الدين، لكن الدكتوراه ليس لها قسم إلى الآن.
- لأحصل على الماجستير الآن وبعدها نقرر ماذا نفعل ، حينذاك إن لم يُفتح قسم لتقديم رسالة الدكتوراه فسأفكر في إتمامها في الخارج.
- خرجا من الحانة، وقف تحسين ونظر إلى سنكر قائلاً:
- أقسمُ لك بالقرآن، كأن وحشاً الآن قابِغ في جيبي، لا أعلم إلى الآن كيف سأقنع زوجتي بشأنها.

- يا رجل، إنسى هذا الأمر، هناك رجال متزوجون من اثنتين والزوجة الأولى لا تعرف بحقيقة زواج زوجها، عشرون ألف دولار وأتتك، فلا تجعلها معضلة كبيرة، إن ألحّت عليك كثيراً أخبرني حينها ولا عليك.

تركت تحسين متوجهاً إلى البيت، واتتني (دغدو) إلى مخيلتي وقالت:

- هل تعلم بأن القسّين في هولير الآن، وهم في كنيسة (عنكاوا) الكبيرة، وغداً سيتصلون بك.

- هل هما لوحدهما؟

- كلا، سيلتحق بهم شخصان آخران قادمان من تركيا.

- كل هؤلاء، لماذا هذه الاجتماع بينهم، هل يقومون بمخطط ما؟

- كلا، فقط يريدون ألا يحصل على ما عندك من آثار غيرهم، وفي كردستان

لديهم أعمال أخرى مشغولون بها.

- أعمال كنسية ودينية؟

- كلا، هناك أعمال سرية يقومون بها، سأخبرك عنها لاحقاً، قائدتهم هي امرأة

وهي قادمة معهم.

- الظاهر أن عجبتنا بحاجة إلى كثيرٍ من الماء.

- ذلك متوقف عليك، إن لم يعجبك فلا تعجنه.

- أخاف أن يعجنوني هم؟

- بوجودي لا يستطيعون.

- إن لم تكوني معي، فإني سأخسر من أول لحظة لقائي بهم.

- مازلت إلى الآن في خدمتك، إن لم أبقَ فتلك ملحمة أخرى بحد ذاتها، الآن، إذا

عدت إلى البيت ستجد ضيوفاً في بيتكم قادمين من السليمانية، خالتك وأولادها.

- الأمر متعلق بالزواج، أليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل.

لم تُحدثني والدتي قط عن زيارتهم لنا، عندما عدتُ، كان المجلس منعقداً

وحامياً بين الأقرباء، لم يجعلوني ألاحظ أنهم في إنتظاري، وأنا بدوري تصنّعت عدم

معرفتي بمجيئهم أو بما يخططون له، ابنة خالتي الكبيرة، كان يظهر عليها علامات

السمنة قليلاً، جسمها المليء البيض وحركاتها، تعبران عن نضوجها كأنثى، هي محبوبة

لدى الجميع، قد أنهت المرحلة الثانوية، ومن كلامها فإنها لا تطيق الذهاب إلى الجامعة وهي الآن جالسة دون عمل في البيت، بتعبير أدق، تنتظر الزواج. والدتي في المطبخ، وبين الفينة والأخرى تسترق النظر إلي كي تقرأ انطباعي عن ابنة خالتي، صراحة، إن اردت التفكير بالزواج فبكل تأكيد ساتزوج ابنة خالتي تلك، وأقولها بكل ثقة أن ابنة خالتي ناضجة ومفعمة بالحوية والنشاط، فقد حدثتني والدتي عنها كثيراً عند رجوعها من آخر سفرة لها من السليمانية. صباحاً، جهزت نفسي للخروج من البيت، ابنة خالتي جالسة بمفردها على كرسي في فناء الدار، نظرت إلي وقالت:

- هل أستطيع التحدث معك لدقائق؟

- ولم لا... تفضلي.

- ألن تجلس؟

- جلست بمحاذاتها وبدون تردد بدأت بالحديث:

- سنكر، إن قلت لك بأني عشقتك، فهذا غير صحيح، فأنا لم أعشق اي شخص على الإطلاق إلى الآن، كثيراً ما تحدثت والدتان في موضوع زواجي بك، وأنا لم أرفض طلبهم، لأنني إن تزوجت فلن أجد أفضل من ابنة خالتي بكل تأكيد، لكن، هذا لا يعني أن أرفض نفسي عليك، ولم أفكر في هذا الأمر بتاتاً، لكن ما ألاحظه إنك لا تميل إلي أبداً، لذلك اردت ان اناقش الموضوع معك ، حتى تتوقف والدتان عن الحديث في أمرنا، ويوقفن نشاطاتهن ومخططاتهم بهذا الشأن، سأكون سعيدة لو أفصحت عن مشاعرك تجاهي بشكل مباشر، لتتوقف الأمور عند هذا الحد.

- (كواره) ابنة خالتي، دخلت في الموضوع بذكاء، تكلمت بكل ثقة وأعلنت موقفها بثبات وقوة وتوضحت شخصيتها أكثر من خلال كلامها، أمسكت يدها وقلت لها بهدوء:

- إن اراد شخص الزواج فلن يجد أفضل منك، والدتي فاتحتني بهذا الموضوع لأكثر من مرة، لكن الأمر بالنسبة لي لاعلاقة له بك أبداً، أو بشخصيتك، بالعكس، انت فتاة رائعة وجميلة جداً ولبقة، وإن أصبحت زوجة أي كان فسيكون أسعد إنسان، مشكلتي أنني لا أفكر في الزواج حالياً.

قاطعتني (كواره) قائلة:

- ما قصدك بحالياً؟ إن أردت فسأنتظرك..

- المسألة ليست بسنة أو سنتين، أنتِ مقبلة على نصيبك في الزواج، وأنا مقبل على الدراسة مرة أخرى، أنوي اكمال دراستي من الماجستير وحتى الدكتوراه والله أعلم متى أنني هذه الأمور، ولا يجوز تعليق مصيرك بدراستي، حتى إن قبلتِ فأنا لن أقبل هذا الظلم بحقك، طبعاً هذا لا يقلل من مكانتك لدي.

- إذا، سندعهن ينهين هذه المسألة، ونحن سنبقى أقباء وأبناء حالات لبعضنا.
- وأقرب من ذلك أيضاً، جربيني إن أردتِ، فأنا أحترمك كثيراً، طبعاً إن لم يكن كلامي قد أزعجك؟

- على العكس، صراحتك تعجبني كثيراً، على الأقل لست مثل شباب هذا الجيل، اغلهم يكذبون في وعودهم.

أتت والدتي إلى الحوش وقالت ضاحكة:

- انظروا إلى هؤلاء، إنهم كباقي ورد، كم يناسبان بعضهم البعض .

لم أبق في البيت وخرجت، فعليّ الاجتماع بالقساوسة، نزلت بالقرب من كنيسة (عينكاوا) ودخلت إلى باحة الكنيسة، كان القس (ستيفان) بانتظاري هناك، استقبلني وأخذني إلى غرفة ورفع يديه قائلاً:
- عذراً، سأعود حالاً.

على عكس كنيسة (دير مار متى) هذه الكنيسة نظيفة جداً والزوار يسرون في ممراتها بشكل هادئ، من نافذة الغرفة رأيت قُبْرَتَيْن تلهوان في طيرانهما وأنا شارداً أفكر في المستقبل، أيقظتني ساعة الحائط من شرودي بدقاتها، إثنتا عشرة مرة دق جرس الساعة، دخل القسّان برفقة امرأة بيضاء البشرة ممشوقة القوام، تُحرك أصبعها وتزيح ضفيرتها عن طرف وجهها، عندما جلست، وضعت رجلاً فوق أخرى، كانتا ناعمتين جداً، وكأن ذلك اللحم البشري البض وتلك البشرة البيضاء، بدون عظام من شدة طراوتها.

لعوبة في حركاتها بأنوثة طافحة، في كل برهة تُغير من وضعية رجليها، تضع اليمين على اليسار وبالعكس، كانت تنثر من بين تلك الساقين أمواجاً من الشهوة حولها، حتى تلك اللحظة، ومنذ ان كنت مع (خيمة) لم أرَ نهوداً ولا أفخاذاً أو أردافاً لأي من النساء عدا في الأحلام، ومع اني أخفي رغباتي تحت عباءة العادات والتقاليد،

لكن النساء المثيرات تعلمن بما أخبئه من جوع شهواني في داخلي، تكلمت بلغة لم أفهم منها أية كلمة، قال لي القس (ستيفان):

- تقول بأنها سعيدة لرؤيتك، قطعت كل تلك المسافة لرؤيتك.

- أتت لرؤيتي، أم لرؤية ما معي؟

- عندما ترجم لها القس كلامي، قهقهت ضاحكة وقالت:

- صحيح، فنحن أتينا لرؤية ما معه، هل أستطيع الاستفسار من أين عثرت على

هذا الكنز الثمين؟

- كلا، لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال، على الأقل حالياً، وأرجوكم لا

تسألوني مثل هذه الأسئلة، فالمثل يقول: هل تريدون أكل العنب أم...؟

أنتني (دغدو) تخيلاً وقالت: (أحييك على هذا الجواب).

مرّت لحظة صمت، بعدها قالت المرأة:

- بكل تأكيد، هذا حقك الطبيعي، ونحن متأكدون بأن هذه المجوهرات ليست

مسروقة بل تم العثور عليها، وسبب سؤالي هو من أجل الحفاظ على هذا الكنز

أكثر، فهو سيعود علينا وعلى شعبك أيضاً بفائدة جمّة، وسؤالي كان لأجل هذا

الغرض تحديداً فقط.. لنترك هذا، ماذا سترينا من ذلك الكنز الآن؟

- أخرجت الصور من جيبي ووضعتها على المنضدة وقلت لها:

- هذه هي الصور.

- لم تنتظر المرأة القس (ستيفان) ليجلب لها الصور، قامت من مكانها وأخذت

الصور وأصبحت تتمعن فيها بدقة، لاحظتُ رجفة يديها وهي تنظر إليها، وكي أجعلها

تطمع في شرائها أكثر قلت لها:

- هناك مجموعة أخرى نادرة لدي، لم أصورها بعد، وتركتها لوقت آخر.

- ألا تريد أن نراها؟

- لئري، إن إتفقنا على هذه حينها سنتكلم عن البقية.

قالت (دغدو): (معها الكثير من النقود، لا تقلل من السعر).

- حسناً، الآن ما الذي تنوون عمله بشأني؟

نظروا إلى بعضهم بريبة، ثم قال (ستيفان):

- ما قصدك بهذا السؤال؟

- أقول بأن ما هو موجود معي غالٍ، فهل تحملون معكم كل تلك الكمية من النقود؟

تلعثمت المرأة ببضع كلمات، لكن (ستيفان) لم يترجم كلامها لي.
أتتني (دغدو) وقالت: (هي تقول بأن هذا الرجل أذكى مما كنت أتصور).
أبتسمت من كلام (دغدو) وانتهيت تلك الإمراة لابتسامتي وقالت:
- هل أستطيع ان أعرف لم تضحك؟
- نحن نتعامل مع بعضنا منذ زمن، وأنا وأنتم نعلم سوية قيمة هذه المجوهرات، والأمر لا يستدعي الكثير من الكلام والأخذ والرد، صحيحٌ أني كردي من هذا الوطن المنكوب، ولم أخرج من حدود مدينتي، وإن كنت جاهلاً بأمور كثيرة فهذا لا يعني بأنني أجهل قيمة ما أحمله، إن أردتم سأكتب لكم السعر و إن أردتم الشراء حينها سأبيع لكم، ما رأيكم؟
قال القس (ستيفان):

- لا تستغلنا بهذا الشكل، فنحن سنشتري، وكما تعلم فإن هذه السيدة أتت من أوروبا خصيصاً لأجل هذا الغرض، فأنت تهتمك النقود أكثر من المجوهرات.
- ما تقوله صحيح. لكن لكل شيء ثمن، أنتم فكروا لأبعد من ذلك ولا تنظروا إلى ما تحت أرجلكم، كما قلت، هناك أشياء كثيرة لم أعرضها على أحد من قبل، لأنني أعلم بأن الوقت لم يحن بعد لعرضها.
- أخ سنكر، أريدك أن تعلم بأن لدينا سلطة ونستطيع فعل الكثير من الأمور ولا تتوقع أننا نعمل بفضل بعض القساوسة الأتقياء فقط.
- لا يخيفني كلامك هذا يا قس (ستيفان)، فكيفما كانت سلطتكم وأموالكم، فهي لكم لوحدكم، ما تريدونه موجود لدي، أنتم لديكم النقود وأنا لا أملك النقود، ونحن الطرفان سنكمّل بعضنا.

- نعم، لكن بعيداً عن المراوغة.
- وأنا لا أحب أن ينعنني أحد بأنني كردي وقروي ومعتوه ولا يعرف شيئاً، دعنا نتعامل بحسب برنامج واضح وعصري مناسب لكلا الطرفين، وإلا فإنني لن أتعامل معكم وسأذهب في طريقي.

- لنترك هذا الكلام الآن، فنحن متفقون على كل ذلك، غداً الساعة الثانية عشرة ظهراً سننتظر في هذا المكان، هل تستطيع أن تترك لنا الصور إلى يوم غد؟
- ولم لا.

عندما هممت بالخروج، سبقني القس (ستيفان) وقال وهو يتقدمني:
- من الأفضل أن تخرج من الباب الخلفي.

فحركة المرور غير طبيعية في المدينة، وكأن ثمة خطب ما قد جرى، سألت ثلاثة أشخاص يسرون في الطريق:
- ماذا حصل؟

لم يجبني أحد منهم، لكن ثالثهم قال:

- قتل شخص ما...

- من قتله... ومن المقتول؟

لم يكونوا يعلمون بأي شيء؟

أتتني (دغدو) في تلك اللحظة وقالت: (قُتل مصوّر أوروبي إسمه (طادبروز)، كان صديقاً ومؤيداً للكرد، صُدر أمر قتله من قبل الاستخبارات العراقية بأمر من شخص إسمه (حاجي عبد) ونُفذ على يد أحمد زينل و صابر رمضان، هذان الشخصان من أهالي السليمانية وهم من رجالات الشيخ وقيمان بين بغداد وهولير. إتصلت بـ (تحسين) من خلال هاتف الثريا وقلت له: أنا ذاهب إلى مقهى مجكو، إن استطعت تعال إلى هناك.

فور دخولي المقهى، جلّ الحديث يدور عن مقتل ذلك المصور، أحدهم يقول: قُتل في بيت امرأة، آخر يقول: تم خنقه في فندق، وآخر يقول: لقد قتلوه بمسدس كاتم للصوت في الشارع... أتى تحسين وجلس بجانبني، هو أيضاً مشغولٌ بحادثة القتل، سردت له أقوال مرتادي المقهى، فقال تحسين:

- ذلك الرجل قتل في الشارع وتمت تصفيته على يد أزالام ومأجوري نظام بغداد، من هم وكم عددهم؟ لا أحد يعرف إلى الآن.

لم أستطع قول حقيقة الحادثة لـ (تحسين). لكن، رأيتُ من واجبي أن أكشف القتلة، فقررت أن أكتب تلك المعلومات برسالة خطية بدون إمضاء أو ذكر إسمي،

وأرسلها إلى صحيفة (خبات) وأكتب في الرسالة إن قبضتم على هؤلاء الأشخاص فإنهم سيعترفون بكل شيء.

- خبر جيد أنك قُبلت في قسم الماجستير، واضح أن لديك برنامج مليء بالضد من الزواج، ولم تتحامق وتتسرع مثلي.

- ألا تعلم بأنهم يقولون بأن الحُمق نعمة إلهية ولا يمنحها الله لأبي كان.

- فهمت هذه النظرية مؤخراً... بعد ان وقع الفأس بالرأس.

- في المحصلة أنت تزوجت، والزواج لم يُفرض عليك، وزوجتك أيضاً لم تكن عبثاً على أهلها، لَمْ أنت نادم هكذا؟

- يا رجل، أنا أكذب، ولست نادماً. لكن الأوضاع ليست على ما يرام ولا تسمح

بالزواج في هذه الأوقات العصبية.

- بالفعل. ألا ترى بأني أتصدى لكل مخططات والدتي ولا أتزوج.

- حسناً فعلت، لكن إن تزوجت أم لا فالأمر سيّان، أليس كذلك؟

- كل الطرقات مغلقة في وجهي، أتيت لك بمسدس، ففي هذه البلاد الكل

يحملون السلاح، أحتفظ به في البيت ولا تحمله معك.

- حسناً... أشكرك. أود أن أسألك، هل تود العمل؟

اشاح (تحسين) بوجهه إلى الجهة الأخرى وتمتم: (ما هذا الكلام الذي لا معنى

له، وكأن هذا الرجل يعيش على كوكب آخر)

- أيّ عمل، وهل هناك عمل كي أقوم به؟

- لا تحمل همّ ذلك، إن كان هناك عمل ما، هل ستقوم به أم لا؟

- أتمزح؟

- ألا تعرفني يا صديقي؟ ألا تعلم متى أكون جدياً ومتى أتمزح؟

ارتشف تحسين كأس الشاي المليئة للنصف برشفة واحدة وقال:

- نعم، أنا جاهز وفي استعداد تام، حتى وان كان العمل القيام بحرب ما.

- الحمد لله، المحاربون كُثُر في هذه الأيام، وكما تعلم فأنا مسالم ولا أقوم بمثل

هذه الأعمال.

- أي أن العمل المقصود يخلصك انت، أليس كذلك؟

- إن كان معي أو مع غيري، فهو عمل وسنسترزق كلانا منه، لكنه عمل سري وأود أن تُقسم لي بأنك ستحافظ على سرّيته ولن تبوح به لأحد.

- أقسم بالأخوة التي بيننا، حتى وإن كان العمل هو دعوة إلى مائدة رستم زال فسأذهب إليه، بشرط أن أكون معك ولن يسمع أحد مني أي شيء.

- الأمر ليس كذلك، هناك شخصان في هذه الأنحاء، تجار آثار ويشترون الأشياء القديمة، لي فترة وأنا أتعامل معهم واستفدت كثيراً من العمل معهم، ورأيت من الأفضل أن تكون معي.

- أتتني (دغدو) قائلة: (أصببت في ذلك، فلا خطر فيما بحت به، لكن ما قلته له يكفي الآن).

- هل تود أن أقسم لك بالمصحف الأسود؟ ألا تكفي صداقتنا كل هذه السنوات؟

- لا أود أن تُقسم لي، لكن موافقتك تكفي.

بحسب إرشادات (دغدو) لي، كتبت قيمة خمسة قطع على ورقة، وفي التوقيت المتفق عليه اجتمعنا في نفس المكان وفي نفس الكنيسة، فور جلوسي على الكرسي، دخلت المرأة وكان بادياً عليها أنها تطمح في معرفة أسعار القطع، اعطيت الورقة للقس (ستيفان)، وعندما قرأها قال:

- هذه فقط خمسة قطع، والبقية أين هي؟

- البقية خبأتهم في مكان بعيد عن هنا.

- إن كانت في الموصل سنذهب إلى هناك؟

- لنتفق على هذه القطع الخمس وبعدها نتكلم عن البقية، ألا يجوز ذلك؟

ترجم القس (ستيفان) كلامي لأصدقائه الذين كانوا منهمكين في مسألة السعر.

أتتني (دغدو) قائلة: (هم قد جلبوا معهم سعر القطع الخمس فقط، أطلب سبعمائة وخمسين ألف دولار ولا تتنازل إلا عن عشرين ألف دولار، فهذه هي قيمتها الفعلية هنا، هم أبناء هذه المهنة وسيشترون، أما أنت فما عليك إلا أن تبيعها وتستلم المبلغ وتذهب).

قال (ستيفان):

- زملائي يقولون بأن المبلغ المطلوب كبير جداً.

- أيها الأب (ستيفان)، أنا لم أضع السعر عن عماء، فأنا أعرف قيمتها وإن وصلت هذه القطع إلى أوروبا فأنها لن تباع بأقل من سبعة ملايين دولار، أنا لم أطلب ربع هذا المبلغ حتى، إذاً لماذا المبلغ كبير؟ هل المبالغ الكبيرة حكر عليكم فقط، أمّا لكُردي مثلي، فهو كبير، فماذا سيفعل بمثل هذا المبلغ؟ أنتم تفكرون بهذه الطريقة للأسف.

تُشاور القساوسة فيما بينهم مرّة أخرى، وأنا تصنّعت دور اللامبالي ووضعت رجلاً على أخرى، لأنني كنت أعرف تمام المعرفة بأنهم سيشترون في النهاية.

توجّه إليّ (ستيفان) قائلاً:

- وكم تخصص لنا من السعر الذي طلبته؟

- يا أب (ستيفان) نحن سنتعامل مع بعض لمدة طويلة وسيكون ذلك التعامل لمصلحتنا أنا وأنتم، وإن كنتم تطمحون إلى تخفيض السعر فلن أبيع، وسأسلك طرقاً أخرى لبيعها.

ترجم (ستيفان) كلامي بسرعة لأصدقائه، قامت المرأة من مكانها وجلست بجانبني، رائحة العطر النسائي تعبق منها، إلى تلك اللحظة لم أكن قد رأيت الصليب الذهبي المتدلي في الشق ما بين نهديهما المكورين، مدّت يدها الي وكأنها تود مصافحتي، مددتُ يدي إليها، حرارة يدها الملساء والناعمة حركت مكانم الرغبة في داخلي، قلت لنفسي: أيها المعتوه، توقف عن شقاوتك.

نظرت المرأة إلى (ستيفان) وهي ما تزال ممسكة بيدي، وبهدوء قالت:

- قُلْ له بأننا سعداء في التعامل معه، فكل عملية بيع وشراء لا بد من الأخذ والرد فيها حتى تتم، المهم ألا يبقى في نفسك شيءٌ تجاهنا، فنحن موافقون على ذلك المبلغ بشرط أن تبيعنا بقية القطع ولا تأخذها لمكان آخر.

- أنا موافق، بشرط أن أكون راضياً عن السعر الذي ستدفعونه لي.

وقفت المرأة على قدميها وهي تشد على يدي وقالت: (لقد اشترينا).

وأنا قلت: (وأنا أبيعها لكم).

جلب (ستيفان) حقيبة من إحدى زوايا الغرفة ووضعها على الطاولة، أخرجت المرأة سبعة زُرم من فئة المائة ألف دولار وخمسة زُرم من فئة العشرة ألف دولار من الحقيبة، وأنا أخرجتُ القطع الخمس من جيبي ووضعتها على الطاولة، أخرجت المرأة مكبرة من حقيبتها وبدأت تتفحص القطع، جلست بجانبني مرة أخرى وقالت:

- سأتي بعد شهر آخر كي أرى القطع الأخرى وهذه بطاقتي عليها عنواني وأرقام.

- إن أتيت هذه المرة إجلي معك مبلغاً ضخماً.

- سأفعل ذلك.

أخرجتُ عشرة آلاف دولار من الحقيبة وأعطيتها لـ (ستيفان) وقلت له:

- أتبرع بهذا المبلغ لهذه الكنيسة.

حملتُ حقيبة النقود وخرجتُ من الكنيسة، كنتُ متزعجاً من تصرفي هذا، لبرهة أحسست نفسي وكأنني تاجر مخدرات، وكما كنت أرى في الأفلام السينمائية عندما يبدلون الحقائق وبعد ثوانٍ من عملية التبديل يصبحون أصحاب ملايين

الدولارات. وهكذا أنا أيضاً، في مدة نصف ساعة أصبحت أملك مبلغاً كبيراً من المال وهناك الكثيرون لا يملكون شروى نقيير... إن لم أصادف (دغدو) كنتُ سأكون كأبي شاب كُردي أنهى دراسته الجامعية، ولا سند أو معين له، أعيش بفقر مدقع وأعيش حياتي راكضاً وراء لقمة الخبز. فهذا صديقي (تحسين) كنتُ سأكون مثله يبحث عن يدينه بعض النقود.

أُتني (دغدو) تقول لي: (لا تدقق في هذا الأمر، ذلك سرُّ إلهي، البعض يسمّونه مفتاح السعادة، والبعض سيقولون بأنها صدفة والبعض سيعود بها إلى الحكمة الإلهية، هناك شاعر معاصر من زمنكم كتب قصيدة جميلة يقول:

زمنٌ للضحك وآخرٌ للبكاء
زمنٌ لترانيم آلام الوجد
وآخرٌ لتراقص الشفاه
وزمنٌ آخرٌ للسجود للإله
من يُغالي فهو ذكي
ومن يتكبر سيستقط
هناك من لا حيلة له
وآخرٌ بين الأمرين كالأمير
أحدهم يعمل والآخر كسول
أحدهم متعبٌ
وآخرٌ وقور، وآخرٌ مخمور
أحدهم يحمل النعش
وآخرٌ خالي الوفاض...
زمنٌ للظلام وزمنٌ للنور
زمنٌ شجيٌّ وآخرٌ جميل
أحدهم غافلٌ وآخرٌ مهووس
أحدهم صامتٌ والآخر راقدٌ وهامد
زمنٌ حلّوٌ وآخرٌ مُرٌ
أحدهم جائعٌ والآخر متخم

أحدهم أعمى والآخر بصير
وأخرُ بعشق الناي وله
زمنٌ هكذا وآخرٌ هكذا
أحدهم للأخذ والآخر للعطاء
أحدهم يرتاد الحانة
وأخرٌ يتبع مولانا...)

إذاً، هذه هي الحياة، صراعٌ من أجل طموحات يبتغيها المرء، البعض أتتهم
الفرص واستغلوها، والبعض أنعم الله عليهم حتى أصبحوا يملكون الكثير من المال
والجاه والسلطة، ومتاعات الحياة الأخرى.

- أنا في أية خانة من هؤلاء؟

- كما قلت لك، هي حكمة من الله ولا يحق لي الحديث فيها، وهو ما مكتوب لك.

- ولماذا لم يكتب لشخص آخر، أليس هو أيضاً من عباد الله؟ أنا لا أرى العدالة

في هذا الموضوع.

- والحكمة...

- وما هي الحكمة في ذلك؟

- كيفما تكن، فأنا لا يحق لي الخوض فيها.

- أي أن أسئلتني لا أجوبة لها؟

- في الوقت الحالي لا أجوبة على أسئلتك.

أمشي وحيداً في الشارع وحقيبتني في يدي، تعبت من حمل سبعمئة وأربعين
ألف دولار، حتى الدولارات لها ثقل!! رأيت شاباً يُمسك بيد رجل عجوز، يحاولون
إيقاف سيارة أجرة، لكن السيارات لم تتوقف لهم، أخرجت مائتي دولار من جيبي،
واقتربت من الشاب، كان التعب بادياً عليه، فقلت له:

- أنا سأوقف لكم سيارة...

الشاب في داخله يتمنى ذلك، وقفت في طرف الشارع وبدون أن أنظر إليه

سألته:

- هذا العجوز والدك؟

- كلا إنه عبي.

- ما به؟

- منذ عشرين يوماً وهو مريض، سأخذه إلى الطبيب.

عمه المريض منهك القوى، والفقر والفاقة باديان على محياه، ويمسك بيد

الشباب بشدة، قلت للشباب:

- صراحةً، لقد نذرت نذراً منذ زمن، وأود أن يكون لكم.

وضعت المائتي دولار في جيبه وأوقفت لهم سيارة أجرة وركبا فيها، أكملت

طريقي مشياً إلى المدينة، وأنا اردد بيني وبين نفسي (هذه حكمة، أليس كذلك؟).

لم تكن (دغدو) تخطر على بالي، لكنها أتت وقالت: (نعم، هي حكمة من تلك

الحكم. صحيح أن بعض الحكم الإلهية غريبة ولا تعرفون فحواها أنتم بنو البشر،

إلا أنني لا أستطيع الحديث بشأنها معك، لكنني متأكدة بأنك مؤمن بوحداية الرب

وحكمته، كلٌّ يخضع لميزان، وعدا ميزان الرب، هناك الملايين من الموازين تكيل

بمكاييل أخرى لا عدالة فيها، فكما ترى، كل شعب، وكل دين، وكل بيئة لها

معتقدات خاصة بها واستمرارية البشرية نابعة من ذلك الإختلاف الفكري بين تلك

الملل والأقوام والديانات... أترك هذا الأمر الآن وفكر في الوضع المأساوي لذلك

الشباب وعمه المريض، فذلك الرجل العجوز كان يحب زوجة أخيه وقتل أخاه حتى

يظفر بزوجته، وذلك الشاب الذي كان يُمسك يده هو ابن المقتول...

توقفت لبرهة مصدوماً وأكملت مسيري حاملاً حقيبة ثقيلة من الدولارات،

كمريض (مازوخي) أتلذذ بتعبي ذاك، وصلت إلى محيط المدينة حيث اقتربت من

البيوت، من كثرة ثقتي بـ (دغدو) لم أفكر في كيفية إخفاء أو حفظ تلك النقود.

- أحسنت... لم أكن أحب أن أتحدث معك في ذلك، لكن من المفيد أنك فطنت

لذلك، فلا يجوز أن يبقى ذلك المبلغ الضخم في حقيبة، وفي بلادكم لا توجد بنوك أو

صناديق إئتمان بعد، من الأفضل في هذه السنوات الأربعة القادمة أن تشتري بيتاً

مزوداً بقبو سفلي وتُحكم إغلاق جدرانه وأبوابه، وان استطعت الذهاب إلى الخارج

هناك تفتح لنفسك رصيماً بنكياً، حينها ستتراح من مسألة إخفاء النقود في

الحقائب وما إلى ذلك.

- أي إن بقي الحال على ما هو عليه فإن عليّ السفر إلى الخارج قريباً؟

- لنرى الى أين ستصل في عملك، حينها ستخذ القرار في الوقت المناسب.
وصلت إلى البيت منهكاً، رأيت والدتي وفي يدي الحقيبة، فقالت لي:
- هل اشترت حقيبة جديدة؟
- كلا، إنها لصديق لي، سيأتي ليأخذها من عندي.
رَنَّ هاتفي، صديقي (تحسين) أراد أن نسهر سوية، والدتي عند باب الغرفة
تمعن النظر فيّ، وقالت:
- هل أعجبك ذلك، لقد فوتت على نفسك فرصة الزواج من فتاة جميلة
ومناسبة لك؟
كنت قد نسيت موضوع ابنة خالتي (كّوارة)، لذلك لم أفهم المغزى من كلام
والدتي .
- لا تتصنع عدم الفهم، ألم تفهم قصدي؟ قصدي على (كّوارة) ابنة خالتك،
لقد تزوجت وانتهى الأمر.
- مبارك... تمنياتي لها بالسعادة، لأنها بالفعل تستحق حياة سعيدة، تزوجت
بمن؟ من أين هو زوجها؟
- ما أعرفه أنه من قامشلو ويعيش في أوربا ويقولون بأنه ثري ويملك عدة
مطاعم في باريس.
- ألف مبارك.
- زمّت والدتي شفّتها وخرجت من الغرفة.
بقيتُ تشاطرني وحدتي مع تلك النقود، لا أعلم لمّ يتكالب الناس للحصول على
النقود، يا ترى هل أنا أيضاً مثلهم؟ أنا أيضاً أحب المال، لكنني لست مستعداً أن أقوم
بعمل غير مقبول من أجلها، قد يقول أحدهم بأن لا أحد يقول عن لبنه حامضاً، ألا
ترى بأنك عثرت على كنز وتبيع فيه قطعة قطعة؟ ذلك صحيح، لكن أحجار الياقوت
والدرر والألماس ليس لها أية قيمة أثرية، والألماس يبقى ألماساً، منذ القدم وإلى الآن،
ويبحثون عنه هنا وهناك وبعد العثور عليه يبيعونه، وما عثرت عليه ليس إلا ذات
الشيء. هي أحجار ثمينة وليس لها أية قيمة تاريخية ولا يوجد عليها أي كتابة أو
نقوش حتى تصبح لها قيمة قومية وتاريخية. فتاج وصولجان الملك المادي (دياكو) قد
خبأتهما وأخاف أن يضيعا مني، فلن أبيعهما مهما دفعوا لي، هل سأقدم على بيعهما؟

- لا تقلق على ذلك، فأنت لم تُفم بأي خطأ، ما تقوم به هو ليس بعمل مناف للقانون وعمل عادي وطبيعي جداً.

أتت والدتي مرة أخرى إلى غرفتي وقالت:

- ألا تأكل؟

كلا يا أماه، لست جائعاً، فقط أود أن أنام قليلاً.

لا أعلم في أية ساعة نمت، لكن عندما صحوت كان الظلام مخيماً، نظرت من النافذة إلى الخارج، ضوء الشارع بدا ضبابياً، خرجت من البيت كي أذهب إلى صديقي (تحسين)، في نفس المكان، كان (تحسين) وشخص آخر جالسين، ذلك الشخص يعرفني.

- إنه (هَلو). كنت أتحدث له عنك، إنه صديق قديم للبكوات عندنا ومنذ زمن

ونحن نعرف بعضنا.

- قصدك عند الأخوة الإيزديين؟

ردّ (هَلو) بدوره وقال:

- بين والدي وأمير الأيزدية الأمير (تحسين) صداقة قديمة، ولنا علاقات متينة

مع الأخوة الإيزديين والى حد ما هناك تعامل تجاري بيننا.

حتى تلك اللحظة، لم أكن أفكر بالتجارة، وكنت أقول بأن أموال كثيرة، فماذا أفعل بالتجارة وغيرها من الأعمال الأخرى... أتتني (دغدو) وقالت: (تستطيع ان تقوم بأعمال تجارية مع ذلك الشخص، فهو محل ثقة)

لبرهة كنتُ أفكر بكلامها... أيقظتني ضحكة (هَلو) من غفوتي تلك، حيث كان

بادياً على هذا الشخص إنه يحب المرح ولديه روح النكتة ويضحك لأقل سبب.

- لم تُقل لي يا (هَلو)، ما هي طبيعة عملك؟

- تلك أسرار المهنة ومن المفضل ألا أقول لك.

- أعتذر، أنت محق. كان عليّ ألا أسأل هذا السؤال.

- يا رجل، أنا أمزح، أعمالي كثيرة، منها ما هو قانوني ومنها غير قانوني، لكني

أقوم بها على المكشوف ولا اعتدي على أحد، أنقل بضاعتي في وضح النهار ورخصتي في جيبتي. هذه هي أعمال القانونية كما قلت، لأن تلك الرخصة لا تُمنح لأي كان وحتى

الآن لم يمنحوها لأحدٍ غيري، أتنتقل بكامل حريتي، هذا التنقل يُعد غير قانوني لدى البعض، لكنني لا اهتم لأحد، وكما يقال: كلُّ ينالُ رزقه... أليس كذلك؟

- تنقلات..! قصدك من أين إلى أين؟

- تنقلاتي كثيرة، من البحار إلى الجبال، من المدن إلى الصحارى، ولا أعرف الحدود ولا نقاط التفتيش.

- أي انك كالريح والعواصف؟

- سمّها ما شئت.

- أترك المزاح جانباً الآن، هل تستطيع أن توضح لي أكثر؟

- سأدخل في صلب الموضوع، هذه المشروبات التي أمامنا، تلك السيجارة التي بيد (سنكر)، نحن نأتي بها إلى هنا.

- الظاهر أنكم كثيرون، ومتواجدون في كل مكان؟

- كلا، الأمور ليست بهذا الشكل. نحن نتعامل مع الشركات العالمية عبر البحار ومع جنسيات مختلفة.

- البحار..؟!

- نعم، البحار. هناك الكثير من معامل التبغ والمشروبات داخل السفن، وينتجون العديد من المواد ويبيعونها.

- ولماذا في البحر؟

- تلك السفن لا تدفع الضرائب الجمركية لأي بلد كان، وهم يعملون بحرية ويصدرون بضائعهم إلى سبع دول، والأهم أن بضاعتهم أرخص وتُباع بشكل كبير.

- وكيف هي جودة تلك البضاعة؟

- أنا لا أعرف، لكن هذا الأمر بحاجة إلى خبراء في مجال تصنيع هذه المواد.

- صحيح انها لا تصل إلى جودة المعامل الأصلية، لكن أنظر، أنه نفس الويسكي ونفس طعم وشكل (بلاك ليبل)، كذلك التبغ، له نفس الرائحة والدخان، هذه الطريقة في العمل أصبحت رائجة في الكثير من الأماكن في العالم، نقوم بدورنا بجلب هذه البضائع ونصدرها إلى العديد من الدول المجاورة وخاصة دول آسيا الوسطى والشرق الأوسط.

- وهل لك أعمال في بغداد والجنوب؟

- نعم، اعمالى ضخمة ولا أحد ينافسنى هناك، وإلا كنتُ قد انتهيت منذ زمن، لمَ تسألنى كل هذه الأسئلة؟ هل تود أن تساعدنى أم فقط حب استطلاع ومعرفة أعمالى؟

- صراحة، إلى الآن لم أفكر بالقيام بهذه الأعمال، لكن سؤالى هو، لمَ لا تجد عملاً لـ (تحسين) معك من مجمل أعمالك هذه، أليس كذلك؟
- هذا هو (تحسين) بشحمه ولحمه، قلت له كثيراً أن يأتى ويعمل معى، لكنه لم يقبل.

- أنا لا اصلى لهذه الأعمال الصغيرة، فأعمالى يجب أن تكون ضخمة يا صديقى...صحيح، لأكثر من مرة عرض علىّ (هَلُو) العمل معه، لكن ظروفى العائلية لا تسمح لى القيام بهذه الأعمال فلدى زوجة وأولاد... لكن (سنكر) وضعه مختلف. ما رأيك يا (سنكر)؟

- صراحةً، إلى الآن لا أعلم. سأفكر فى الموضوع.
- لا حاجة للتفكير فى ذلك، هذه الأعمال بحاجة إلى رأسمال، ورأسمال ضخم، وإن كان لديك رأسمال فطبيعة عملك معنا ستختلف.

- تريد الصراحة، أنا لا أملك رأسمال، لكن لدى صديق غنى ويثق بى كثيراً، أستطيع أن اطلب منه ما أريد.

- أخ (سنكر)، أنا لا أختلط ولا أتعامل مع أى كان، لأنك صديق لـ (تحسين) انا أعرض عليك العمل.

- يا أخى الأمر لا يدعو إلى كل هذا الأخذ والرد، أى أنى إذا أتيت ومعى رأسمال، حينها فقط تعرفنى...

أتنى (دغدو) فى تلك اللحظة وقالت: (أترك هذا كله الآن، هذا الحائط الذى أنتم جالسون بقربه آيل للسقوط لأن المياه تمر من خلفه، قوموا وغيروا مكانكم لأنه سينهار عليكم). حتى تلك اللحظة لم أكن قد نظرت إلى ما حولى ولا إلى الحائط، فتلفتت إليه، كان بارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً وهناك ثلاثة طاولات أخرى قريبة منه. لكن طاولتنا فقط كانت ملاصقة له. الليل فى هزيعه الأخير ونحن على وشك الإنتهاء من الأكل والشرب. كنت مضطرباً، كيف سنبتعد وكيف أقنعهم بالإبتعاد والخروج، لم أتمالك نفسى وقلت:

- قوموا الآن، لنذهب...

- إلى أين؟

- أنتم قوموا الآن، سأخذكم إلى مكان أفضل من هذا بكثير، ولن تندموا.

أشرت لعامل الحانة كي يأتي بالحساب، لكن (تحسين) عارضني قائلاً:

- أنسيت أي صاحب الدعوة؟

- لا فرق بيننا، حاسبه ولنذهب بسرعة وإلا فإننا سنخسر أنفسنا.

- ماذا؟ ولم العجلة؟ هل ستحلّ كارثة؟

- نعم، سترى الآن.

نظرتُ إلى الساعة، بقي من الوقت أربع ثوانٍ وبنهار الحائط.

كان تحسين بانتظار إرجاع الحساب المتبقي، قلت لعامل الحانة: الباقي لك.

قمتُ من مكاني، استغرب (هَلُو) من عجالي تلك، قام هو أيضاً وقال:

- ستأخذنا إلى مكان أفضل؟

قام (تحسين) وهو غير راضٍ، لكنني سحبتُه من يديه صوب الباب الخارجي

و(هَلُو) يتقدمنا، لم نكن قد خرجنا من الباب بعد إلا وسمعنا وكأنه إنفجار خلفنا،

إنفجار قوي خلف الكثير من الأتربة والغبار في المكان، حتى تلك اللحظة كان كل من

(هَلُو) و (تحسين) يعتقدان أن قذيفة هاون قد سقطت على الحانة، عندما نظروا

خلفهم، رأوا الطاولة التي كنا جالسين عليها تحت الإسمنت والأتربة، جُرح خمسة

أشخاص من الطاولات القريبة على الحائط وأخرجوهم من تحت الحطام وهم

ينزفون. صديقايا كانا مندهشين من هول الحادثة فاغرين أفواههم ويحركون أيديهم

بحركات لا إرادية، وينظرون إلي مستغربين. وأنا أيضاً، بلا مبالاة كنت أنظر إليهم وإلى

المكان المنهار وقلت: كيف ذلك؟

- كيف ذلك؟ أنا أرى معجزة أمام عيني، وأنت من قمت بها.

- أي معجزة يا رجل، وهل تعتقدون أنتم أيضاً بالمعجزات؟

- هذه المرة الثانية التي ينقذني فيها هذا الرجل من الموت المحقق، مرّة في

الموصل والآن هنا.. فكيف تكون المعجزات إذاً؟

- يا رجل لا تفضحني أمام الناس، أي معجزة وأية ترهات، كان لدي موعد مع إمرأتين وكنت قد نسيت مواعيدي، لذلك كنت أستعجل في الذهاب، أردت ان أذهب وأقضي وقتاً ممتعاً قليلاً وتقول لي معجزة؟
- أكون قرباناً لك وللمرأتين ايضاً..

- سمّها معجزة، سمّها صدفة أو علم الغيب، المهم أننا لولا ذلك لكننا الآن تحت حطام ذلك الحائط.

الناس تجمعوا بكثرة حول المكان، البعض يُسعف الجرحى والبعض يتفرج ويقول: إشربوا ذلك السم، لعنة الله عليكم، رأيتم ما يفعل الله بشاربي العرق، إن شاء الله ستستسممون جميعاً.

حسناً، حتى البارحة كان القمل يُغني ويصدق بالمواويل بين شعرك، وها قد منّ الله عليك بكل هذه الأموال، ألم تشيع؟ ولماذا تُجبر نفسك على القيام بأعمال التهريب ومع من، مع أعوان مؤسسات بغداد؟ ألا تخاف على سمعتك؟ ولماذا التهريب؟ كما ترى امام عينيك. الرجل يأتي ويذهب بحرية، ويقوم بأعمال أكبر من أعمالك وبكل تقدير واحترام يمر من معبر إبراهيم الخليل إلى بغداد بدون أن يوقفه أحد، ماذا سأفعل بكل هذه النقود، اكومها فوق بعض في الحقائق فقط؟.

أتنتي (دغدو) لتتقذني من خيالاتي تلك: (ذلك الشخص طمّاع، لكنه لن يسرقك، تعامل معه ولن تخسر).

مساءً، إجتمعنا مرة أخرى، لكن هذه المرة في نادي المعلمين، جلسنا بعيداً عن الحيطان، لم نكن قد عاقرنا كأسنا الثالثة، حتى صرخ شخص بقرب الجدار قائلاً: (أيعقل أن يقع هذا الحائط أيضاً علينا؟ الظاهر أن مدمني الكحول قد حلّت عليهم اللعنة).

سألت (تحسين): هل تعرف هذا الشخص؟

- نعم، اعرفه. إنه محمود زامدار من أدباء المنطقة وهو معروف عند غالبية أهل المدينة.

- أخ (هلو)... لقد فكرت في موضوع العمل، وإن كنت راضياً في أن نعمل مع بعضنا، فأنا أيضاً اود ذلك.

- برأسمال أم بدونه؟

- نصف مليون دولار.

صمت (هلو) لبرهة، ونظر (تحسين) إلي مستغرباً وقال: كم؟!

- كما قلت، نصف مليون دولار.

- جيد، اخ سنكر، وهذا تحسين أيضا موجود معنا، أنا أعرفك أنت فقط ولا أعرف أحداً غيرك، فلا تأتيني غداً وتقول لي بأن معك شريك وما إلى ذلك، وها أنا ذا أنهبك، كي لا تقول لي غداً أنني لم اعلمك .

مددت يدي إليه وقلت له: فهو كذلك، وإذا أردت فسأعينك في سفراتك.

- هل لديك جواز سفر؟ إن لم تحصل عليه بعد، إجلب لي صورتين شخصيتين

مع نسخة من جنسيتك حتى احصل لك على جواز جديد، فلا تستطيع السفر بدونه، وماذا عن اللغة؟

- ما قصدك؟

- قصدي كم لغة تُجيد؟

- الكردية والعربية، والقليل من الإنكليزية.

- لدينا الكثير من العملاء الأجانب، أتراك، يونانيون، إيطاليون وإنكليز، ومؤخراً

روس وجورجيون. إن تعلمت الإنكليزية جيداً فستفيدك في أعمالك كثيراً.

- هذا يعني أنكم وكالة من وكالات الأمم المتحدة...

- لنتحدث عن نوعية العمل الذي تقوم به.

- في عرض البحر الأبيض المتوسط وبعيداً عن الحدود البحرية لدول المتوسط،

هناك أعداد من البواخر الضخمة، في كل هذه البواخر قاموا بإنشاء معامل لتصنيع

السجائر والمشروبات الروحية، وما ينتجونه من هذه المواد يبيعونها بأسعار

مناسبة، ونحن بدورنا نقوم بتوزيعها على الدول المجاورة.

- حسناً، ولماذا في البحر وعلى البواخر؟

- لأن تلك المعامل لا تدفع الضرائب لأية دولة من الدول، وهي تقوم بعملها بكل

حرية بدون أية التزامات إقتصادية او جمركية.

- أقترح أن يكون (تحسين) معنا أيضاً، حينها سيصبح عملنا أكثر ازدهاراً، ما

رأيك؟

- الآن لم يعد للتردد مجال، أنا مصرٌّ على السفر معكم أكثر من السفر إلى (لالش) والاحتفال بعيد الأربعاء الأحمر.

- أي أنك موافق؟

- منذ هذا المساء، سأتي معكم إلى أي مكان تأخذونني إليه ... عدا بغداد.

- إذاً ، فعليك تجهيز جواز سفر لـ(تحسين) أيضاً، هل نستطيع بدورنا السفر

إلى بغداد؟

- الألمان يقولون: كل شيء لا يُحلّ بالنقود، لكن لا يوجد شيء كبير ولا يُحلّ

بالنقود الاكثر.

- بالنسبة لي، لست كـ (تحسين) لا أخاف السفر إلى بغداد، ومتى ما تطلب الأمر

سأتي معك، غداً سأجلب لك نصف مليون دولار.

- هل تريد أن أوقع لك على شيء؟

- كما تحب...!!

- كلا، غداً سأوقع لك على وثيقة قانونية بيننا، إحفظها عندك، الحياة فيها

موت ولا نعرف ما الذي تخبئه الأقدار لكل واحد منا. أليس كذلك يا تحسين؟

فجأة، سمعنا صوتاً قوياً بالقرب منا ، عامل الحانة وبيده الصحن سقط على

وجهه ما أحدث ارتطاماً قوياً للصحن في

التي يحملها ، قام محمود زامدار من جانب الحائط وقال : " ألم أقل لكم... لكن

هذه المرة لم يكن الحائط."

- قسماً بالله، لقد نسيت ما قاله لي (هلو)!!!

- بشأن التوقيع على الوثيقة.

- أها... تذكرت.. كلام (هلو) صحيح، إن كان كل شيء مبني على الثقة المتبادلة

حينها لا حاجة للتردد..

- إن كان كذلك، لنذهب الآن ونلتقي غداً.

كان (تحسين) قد اشترى سيارة من نوع (نيسان باترول) وأوصلني إلى البيت أولاً.

بدت والدتي قلقة من سهري خارج المنزل إلى وقت متأخر، وكنت أسمع منها الكثير

عن هذا الموضوع، ووالدي كان يُطمئنها ويقول لها: يا امرأة، هو لم يعد صغيراً، فليديه

أصدقاء ويقضي وقته معهم.

- أنا أخاف من شربه للكحول ، فهو مضر لصحته، أخاف من هذا الامر فقط.
عندما عدتُ إلى البيت، كان والداي يتناقشان في ذات الموضوع، إقتربت من
والدتي وقلت لها بهدوء:

- أمّاه، أعرف أنك قلقة علي... مضت ثلاثة أيام وأنا أتأخر وأشرب الكحول في
هذه الأيام، فقد أتاني ضيف عزيز علي ومضطر للسهر معه، وإلا فأنا لست بمدمن
كحول .

- بُني، والدتك لا يحق لها التدخل في حياتك الخاصة، هي حياتك وأنت حرٌّ بها.
- وهل فقدتُ عقلي حتى لا أعرف حدودي وحدود غيري، أنا أخاف على صحته.
- أمّاه، ضعي الخوف جانباً، فأنا مدرك تماماً لما تقولينه وأنتبه لصحتي
وتصرفاتي جيداً.

ذهبت إلى غرفتي، (دغدو) تقهقه ضاحكة.

- ماذا جرى؟

- قالت ضاحكة:

- هذه روح تائهة ومشردة على الكرسي في غرفتك، تنتظرك.

- وماذا تنتظر؟

نظرتُ إلى الكرسي، لم أجد شيئاً...

قالت (دغدو):

- بالتأكيد لن تراها، هي تُعدّ نفسها وتفكر، هل تستطيع الدخول إلى جسدك؟

- ولماذا؟ هل أصبح جسدي فندقاً أم حافلة لمن يريد الدخول والخروج منها؟

- هي روحٌ تائهة، تطمح للدخول في أي جسد تراه وحيداً وضعيفاً وخاصة الذين

لا يثقون بأنفسهم، فتتعرض لهم هذه الأرواح.

- حسناً ، من أين هي هذه الروح؟

- من الهند، لرجل بوذي..

- ألم يجد شقياً أكثر مني حتى يدخل في جسده؟

- هو الآن يسعى لذلك، أصبح له أربعمئة عام وهو مقتول، ويحاول الإنفكاك

والدخول إلى جسد أحدهم، إلى الآن محاولاته فاشلة ومازال يحاول.

- وهل ما زال في غرفتي؟

- إنساه الآن. إن ذهب هو، سيأتي آخر، وهكذا... فكل وحيدٍ تحوم حوله الأرواح كالفراشات كما تحوم حول المصباح، يبحثون عن فرصة حتى يتحرروا من تيههم ويدخلوا في جسد آخر.

- هذا يعني أننا نحن البشر دائماً في خطر، فالبشر رغم كل خيبتهم يأتهم هذا الأمر أيضاً ليزيد في الطين بلة، أتساءل مع نفسي، كيف لإنسان بدون عقل وتفكير، بدون دين وإيمان، ولا يعرف طريقة العيش بشكل لائق، والله قد أنعم عليه المال والجاه، وأن سألت لم يحدث ذلك؟ يقولون لك بأنها حكمة إلهية. ما هي الحكمة أن تأتي روح تائهة وتدخل في جسدك دون استئذان ، وندخل بذلك في عالم مليء بالعذابات، أنا لا أجد حكمة في ذلك، وأرى أن إحدى طرفي الميزان قد أصابه العطب وإن لم يكن معطوباً فإن ذلك الميزان باطل.

- حياة الإنسان في خطر دائماً، ودخول الروح فيها من إحدى تلك المخاطر، ففي يومٍ واحد ترى الملايين من الأرواح التائهة تتحرك على الأرض بطرق مختلفة، هذا إسمه تقمص للأرواح أو إحتلال للأجساد. الأرواح الخيرة تتحرك بطرق مختلفة، أنا بدوري لا يحق لي الكلام عنها أو التحدث بشأنها، مثلاً: إن أمعنت النظر حول قلعة هولير، ستجد رجلاً يعتمر قبعة سوداء وأمامه عربة، في الصيف يبيع المشروبات الباردة وفي الشتاء يبيع اللفت المطبوخ الساخن، ويعرف باسم (مَغشيلم) هذا الرجل، دخلت روح صلاح الدين الأيوبي إلى جسده وأهالي هولير يعرفونه جيداً، (مَغديد) بائع اللفت هذا، معروف بنزعتة للشر وحبه لافتعال المعارك والخصومات.

- وهل يعلم (مغديد) هذا أي روح دخلت في جسده؟

- كلا، هو لا يعلم.

- أنا مستغرب من هذا الامر ، لم إختار صلاح الدين جسد بائع لفت كي يدخل

إليها؟

- الإختيار ليس بيد الأرواح، إنتظر صلاح الدين ألف سنة حتى سُمح له بالعودة ليصبح بائع لفت في عاصمة كردستان، دعني أقول لك الآن، بعد نصف ساعة سيأتي لصٌ من يتسور جدار بيتكم، ذلك الرجل ليس لصاً، لكنه مجبرٌ على السرقة.

تذكرت أن (تحسين) أهداني مُسدساً، لكن أين وضعته؟ لم يمض وقت طويل حتى وجدته، دون أن أخبر والديّ بذلك، خرجت إلى باحة الدار خفية وأختبأت في احدى زواياه منتظراً اللص.

بعد برهة، سمعت صوتاً من فوق عند الحائط، التصقتُ بالحائط أكثر، وما هي لحظة إلا وقفز اللص ووقع أمامي، لم يكد يقف على رجليه حتى وضعت المسدس على رقبته وقلت له: (إن تحركت سأقتلك) تجمد في مكانه دون حركة.

- معك مسدس؟

- لو كان معي مسدس كنت سأبيعه ولم أسرق.

- فتشته جيداً، لم يكن يحمل أي نوع من الأسلحة.

- لماذا تسرق؟

- منذ مئات السنين يقولون (الشبعان لا يحس بالجوعان) أنا مضطر للسرق.

- أي أن الإنسان الجائع لا بد أن يسرق البيوت؟

- أنت محق، وكل ما تفعله بي هو حقك.

- ماذا سأفعل بك؟ سأحيلك للقانون وهم يتصرفون معك.

- لا تفعل بي هذا أرجوك، فأولادي سيشحذون في الشوارع.

- إذاً، ماذا أفعل بك؟ لن أتركك هكذا.

- نعم، اتركني، هذه الفضيحة التي أنا فيها تكفييني، قد يفرجها الله علي بعد هذه الفضيحة.

- قُل لي، ماذا كنت ستسرق من بيتنا؟

- كنت سأسرق ما تقع عليه يداي، ثم أبيعه، ففي بلادنا هذه لن تجد المال

والمجوهرات إلا في بيوت المسؤولين.

- إن تركتك وأعطيتك بعض النقود، هل ستترك السرقة؟

- يعني ستتركني في حال سبيلي، وتعطيني نقوداً أيضاً؟ هل تمزح معي؟

- أنا اتحدث معك صراحة وباللغة الكردية، أتود ان أجدُ لك عملاً تسترزق

منه، أم تود العيش هكذا على السرقات؟

- وأين أجد عملاً في هذه الأيام، فهذه الحرب الاخوية التي أشعلها الأغاوات قد
أحرقت الأخضر واليابس، فأين العمل لكردى (كرميانى) ولاجئ مثلى فى هذه المدينة،
ومن سيشغلنى معه؟

- هذا كله لن يشفع لك السرقة التى تقوم بها، تعال ساعينك لتصبح رجلاً
صالحاً ومفيداً ولا تعد للسرقة. خذ. هذه أربعمائة دولار لك وتعال بعد غد إلى، قد
أدبر لك عملاً، بشرط أن تعدنى أنك لن تعود للسرقة مرة أخرى.. أتعدنى أم لا؟
- سأصبح خادماً لديك... وإلى الأبد... أنا مدين لك.
- إذاً، لقد أتيت من فوق السياج ، أخرج من الباب الآن، وسأنتظرك بعد غد...

كما تعلمون، هناك مسؤولية كبيرة تقع على عاتقنا، وكلُّ بحسب إمكاناته المتاحة يجب أن يكافح من أجل تحقيقها، هناك أشكال عديدة للظلم والقمع، المسألة ليست في الإبادة البيولوجية ولا قمع الحريات وتكميم الأفواه فقط، بل تتعدى ذلك. إنها مسؤولية قومية على عاتقنا، كيف لشعب عريق كشعبنا الكردي لم يُظهر تاريخه وثقافته أسوة ببيعة الشعوب إلى الآن. أقول لكم يا طلاب الماجستير في قسم الآثار، أنكم أمل شعبنا للقيام بهذه المهمة، ففي بلادنا الآلاف من مواقع الآثار المندثرة، بعضها تم العثور عليها وبعضها الآخر تم الاستيلاء عليها بالقوة ونُسبت إلى الغير. ثقوا تماماً بأن بلادنا هي مهد البشرية الأول، وهناك الكثير من الوثائق بين أيدينا تؤكد هذه الحقيقة، وأغلب الأنظمة في الدول المجاورة يُدركون هذا، لذلك نرى أن التلال الأثرية في بلادنا بقيت على حالها ولا يقوم أحد بالتنقيب والحفر فيها، إن نظرنا إلى كهوف (شاندَر، هَزارميرد، هاوديان، خَروانان، كاوانيان) نظرة دقيقة وأكاديمية وعلمية، سنخرج بنتيجة مفادها أن بداية البشرية كانت هنا، منذ سلطة الإمارات وحتى سلطة الملوك والإمبراطوريات، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا الحالي. وأقرب مثال أمامنا هنا في هذه المدينة، عدا قلعة هولير التي تمثل بمفردها تاريخ حي مائل امام أعيننا، ففيها ألف وخمسمائة موقع أثري، تلك الآثار ليست ملكنا فقط، لكنها تُعدّ ميراثاً للبشرية جمعاء. وفي المستقبل القريب سنجد الخبراء والمنقبين من العالم الحر وبعيداً عن سلطة الأنظمة الحاكمة يتقاطرون للبحث والتنقيب في هذه الآثار ويضعون الكثير من هذه الحقائق أمام أعين العالم، أنا على ثقة من ذلك.

- حسناً يا أستاذ، وماذا نستطيع أن نفعل نحن؟ لا سلطة ولا رأسمال في أيدينا، وكما تعلم مثل هذه الأعمال يجب أن تكون ميدانية، وفي ظل هذه الحرب الأخوية التي لأمعنى لها، من يهتم بالآثار في هذه الظروف؟

- (شوخوا خان) محقة في كلامها، قد لانستطيع القيام بأي عمل في الوضع الحالي، لكن علينا ألا نصمت إزاء ذلك، يجب أن نوصل صوتنا للمسؤولين في الداخل والخارج، انستطيع فعل ذلك؟

- اليوم، في بلادنا لا صوت يعلو على صوت الرصاص والقتل، من يهتم بالآثار أو يعرف عنها؟ هل يعرف علماء الآثار الأجانب الأهمية الأثرية لهذه الأماكن في بلادنا؟

- كثير من الأماكن تم تحديدها، والغالبية العظمى لم تُكتشف بعد.

- كما قالت (شوخا خان) قد لانستطيع فعل الكثير، كما إننا لانستطيع القيام بمظاهرة أو انتفاضة لأجل هذا الأمر، لكني أقول لو أننا بدأنا بالكتابة في الصحف والمجلات عن هذا الموضوع، قد نكسب الكثير من الناس ونحرّك الشارع في هذا الإتجاه، وبهذا نكون قد حققنا الكثير.

- أعلم أننا نعيش في أيام عصيبة، لكني كأستاذ جامعي، لا أطيق الصمت إزاء هذا الموضوع بالذات، وسأقوم بما يمليه عليّ ضميري وواجبي القومي تجاه إرث بلادي، سأتي لكم بمثال من العصر البعيد عن أهمية بلادنا منذ فجر التاريخ: للمرة الأولى في تاريخ هذه البلاد تتلاقح ثقافات الشرق بالغرب، حيث بدأت غزوات الإسكندر المقدوني لآسيا بدءاً من هنا، وقامت معركة (أربائيلو) الكبيرة هنا، وعلى قمة قلعة هولير تصادم آلاف المحاربين اليونانيين والإيرانيين، حيث أحدثت تلك الحرب تغييرات أساسية في بنية وأساليب الحياة، ولأول مرة ينتصر الغرب على الشرق ويبسط سلطته لمئات السنين.

- أستاذ أود أن استفسر منك عن هذه المعركة، معركة كبيرة إلى هذا الحد، شارك فيها الآلاف من المحاربين، السؤال هو: كيف أمّنوا الماء لآلاف المقاتلين وأحصنهم، وكما هو معروف، لم تكن هناك ينابيع أو آبار مياه كافية لكل هذا الكم الهائل من المقاتلين بالقرب من قلعة هولير؟

- أنا معك، وأعتقد أن تلك المعركة قد جرت على ضفاف نهر (الزاب)، لكن إسم قلعة هولير طغى على المكان الأساسي، وحتى الآن لم يتم التعرف على مكان تلك المعركة بدقة، مابقي من آثار تلك المعركة جثث المقاتلين وأحصنهم المقتولة والأسلحة المستعملة حينها من سيوف ورماح وأتراس وغيرها، قد تم الاستيلاء عليها من قبل المنتصر أو قاموا بدفنها ولم تكتشف بعد.

- تلك الأسلحة تم دفنها، وضعوها على جثث المقاتلين كي لا تأكلها الحيوانات البرية المتوحشة، وعلى حد علمي كان اليونانيون يقومون بدفن موتاهم، أليس كذلك.

- نعم صحيح.

- هذا هو السؤال الرئيس إلى الآن، من قام بالبحث والتنقيب عن تلك المقابر؟ ولماذا وقعت تلك المعركة الكبيرة في هذه الأرجاء؟ كما قلت: بلادنا هي إرث تاريخي للبشرية، لكن إلى الآن لا صاحب لهذا الإرث، فنحن الكرد مشاكلنا كثيرة، بالآلاف، أستطيع أن أعدةا لكم واحدة تلو الأخرى، لكنني واثق تمام الثقة بأن العالم الحر لن يترك هذه الآثار هكذا وسيأتي اليوم الذي سيتم فيه الكشف عن الكثير من الحقائق... إلى هنا تنتهي محاضرتنا لليوم.

أثناء قيامنا من المحاضرة، وقع كتاب (شوخا خان) من يدها، كانت تنورتها قصيرة وتخجل من الانحناء لحمل الكتاب، كنتُ قريباً منها، فحملت الكتاب وناولته لها، قالت بصوت أنثوي ناعم: (شكراً، أنا ممتنة لك).

كنا نرى بعضنا البعض في المحاضرات واسترق النظر إليها أحياناً، لكن لم يحدث قط ان تحادثنا مع بعضنا، لكن تلك الكلمات أصبحت مفتاحاً للتعارف بيننا، لم أكن أعرف أي شيء عنها سابقاً، لكن هيأتها وملامحها تظهران أنها امرأة مكتملة وليست طالبة جامعية، نظرت إلى يديها وأصابعها، لم أر أي أثر لخاتم في أصبعها، أحست بنظراتي وقالت:

- ليس إلى ذلك الحد، أنا متزوجة.

مشينا بصمت لعدة خطوات، وهمست قائلة: ولكن...

- لكن ماذا؟

- منذ زمن انفصلت عن زوجي وعدتُ إلى كردستان، والآن أنا هنا في هولير وزميلة لك في القسم.

- الظاهر أنك من الطرف الآخر.

- أي طرف؟ قصدك السلিমانية؟

- نعم.

- كلا، أنا من حلبجة.

- كيفما كان، أنتِ محسوبة على الطرف الآخر، ووالدتي أيضاً من طرفكم.

- أنا لا أعرف هذا الطرف أو ذلك، يهمني أكثر الإنسان، الإنسان الصالح والمواطن العادي، أولئك الذين يتقاتلون فيما بينهم قد قسموا الإتجاهات أيضاً فيما بينهم.

- أين تسكنين؟

- كما ترى، هنا في هولير.

- قصدي بيتكم في أي حي؟

- في (عينكاوا).

- حسناً، إن كان لديك وقت لم لا نذهب إلى الكافيتريا ونشرب فنجان قهوة؟

نظرت إلى ساعة يدها وقالت بغنج ودلال:

- نعم، لدي الوقت لشرب فنجان قهوة.

كنت أريد منها أن تتكلم، فحديثها كان يضيي جمالاً أخذاً على أنوثتها، لذلك

قلت:

- لماذا إخترتِ (عينكاوا) من بين أحياء المدينة؟

- أنا أعيش لوحدي ويأتيني ضيوف كثر من أوروبا وأماكن أخرى، إن سكنت في

الأحياء الشعبية، كنت سأكون لقمة سائغة لحديث الناس.

- لم تقولي لي، من أين عدتِ؟

في الكافيتريا حملت (شوخا خان) فنجانها وقربتته من شفيتها الممتلئين، إرتسمت

حُمره شفيتها على حافة الفنجان البيضاء وقالت:

- كنتُ طفلة صغيرة، بعد كارثة إتفاقية الجزائر، هاجر والدي كالكثيرين إلى

الخارج وقضيتُ طفولتي في لندن، وهناك أنهيت البكالوريوس في علم الأثار، والآن أنا

هنا، ألن تتكلم لي عن نفسك؟

- صراحةً، ليس لدي الكثير لأقوله، أنا ابن مدرس مُستبعد من قبل النظام

ولحق به من الظلم والجور ماالحق به، كأني كردي أُجبر والدي على التدريس لمدة

سنتين أو ثلاث في الجنوب (البصرة) وفي مدينة (الزبير)، أنهيتُ دراستي الثانوية

هناك والبكالوريوس في جامعة الموصل.

- فقط كذلك؟

- نعم. لقد تذكرت، حتى الآن لم أتزوج ولا خطيبة لي أيضاً، أي أنني اعزب، لكنني لستُ مراهقاً.

قالت ضاحكة:

- قُل لي، ما الفرق بين المراهق والأعزب؟

- المراهق لا يلتزم بأي أسلوب أو قاعدة، أما الأعزب أحياناً فقط يُكسر ذلك الإلتزام ويقع فريسة لرغباته.

- أي أنك الآن تُقتاد وراء رغباتك؟

- قليلٌ جداً ما أفعل ذلك، لكنني لا أنكث بوعدي، دعينا من هذا الآن، هل

تعلمين أنك حين تضحكين تزدادين جمالاً؟

- لا أعلم ما أقول لك، أنت تُدقق كثيراً، أو أنت عالم ببواطن الامور.

- هاتان الخصلتان موجودتان لدي.

ضحكت مرة ثانية، لم أدعها تُكمل ضحكتها وقلت لها:

- هل أستطيع أخذ رقم هاتفك؟

- بهذه السرعة؟

- ثقي بأن نيتي صافية.

كتبت لي رقمها على ورقة وأنا أعطيتها رقمي، قامت من على الكرسي وقالت:

- عليّ الذهاب الآن.

ودّعني وذهبت، وأنا بقيت جالساً لوحدي، أتتني (دغدو) وقالت:

- تحدثتم كثيراً عن تلك المعركة ولم تصلوا لنتيجة.

- أية معركة؟

- المعركة التي دارت بين الإسكندر المقدوني وداريوش، لماذا تلك المعركة مهمة

لكم؟

- أهميتها أنها حدثت بالقرب من هولير، وهولير اليوم عاصمة كردستان، وإلى

الآن لا نعلم أين جرت تلك المعركة.

- أولاً: معركة (أربائيلو) قامت على ضفاف نهر (الزاب)، ثانياً: لماذا تخمنون أن

تلك المعركة الكبيرة جرت في سهل هولير فقط؟ هناك عدة معارك كبيرة جرت في

(أربائيلو)، المعركة الرئيسية حدثت بين (ماد) والأشوريين وجرت بالقرب من هولير،

وبعد تلك المعركة سقطت نينوى بكل سهولة، لكن معركة (أربائيلو) هي إنتصار الإسكندر المقدوني بعدد قليل من المقاتلين على داريوش، فالحرب بين (ماد) والأشوريين كانت أكثر دموية، وسأحدد لك مكان تلك المعركة بدقة فيما بعد. أترك تلك المعركة الآن، في قمة جبل (سفين) هناك رجلٌ يُدعى (سعيد آغا)، يملك خمسين دونماً من الأرض وقد عرضها للبيع، لا تتوقف واذهب لشرائها، بباطن تلك الأرض توجد كمية كبيرة من النقود الذهبية العائدة لـ(داريوش) عندما أتى لمحاربة الإسكندر، خبأ تلك النقود هناك، كما سيأتي (هَلُو) غداً إلى هولير وسيطلب منك أن تسافر معه إلى بغداد، لا تتردد وسافر معه.

عدتُ إلى البيت، رأيت والدتي تبكي ووالدي يطيب خاطرهما، لم أكن أعلم ما جرى، حتى قالت والدتي:

- رأيت ما حلّ بأختي المسكينة؟ مرّ شهر وهي لا تعرف أخبار إبنتها، فلا هي ولا زوجها يردون على اتصالاتها بهم، لا تعلم ما حلّ بهم، وهي لا تعرف ماذا تفعل الآن.

بدأت دموع والدتي تهمر كأمطار الربيع، ذهبت إليها وقلت لها:

- أمّاه، لا داعي للبكاء، لماذا تتوقعين أن يكون حدث مكروه ما؟ إنها أوربا، فإن

حدث أي شيء أو أمرٌ طارئ هناك فسيذيعونه على الملأ.

- انت لا تعلم بأي وضع هي أختي الآن، إنها حزينة جداً ولا تعلم لمن تلجأ.

- لا تقلقي يا أمّاه أنا سأعثر عليها، أؤكد لك بأني سأمسك بيد (كواره) وأجلبها

لخالتي، لكن عديني أن تكفّي عن البكاء.

قام والدي من على كرسيه ووطأ سنواته الأربعين بادية على مشيته، خطأ عدة

خطوات في الغرفة وضرب يديه ببعضهما البعض قائلاً:

- يا امرأة، كل إنسان له ظروفه الخاصة، من لم يرد على الهاتف، لا يعني أنه

تعرض لحادث أو أصابه مكروه، ما يحدث في أوربا ترينه في اليوم التالي موجوداً في

الصحف والقنوات التلفزيونية، أنا متأكد أنه لم يحدث لها شيء، وهي واعية

وليست بطفلة.

- أيّ وعي؟ تلك الفتاة تتحدث كل أسبوع ثلاث أو أربع مرات مع والدتها، وها قد

مرّ شهر ولا أحد يعرف ما مصيرها، أهذا لا يدعو للقلق.

- صمتنا ثلاثتنا لبرهة، استوعبت قلق والدتي وخالتي، لابد أن هناك خطب ما،
وإلا لم لا يردون على الهاتف. قلت لوالدتي:
- أمّاه، أحلف لك بالقرآن إني سأعثر لكم على (كّوارة) مهما كلفني الأمر.
بقلق بالغ لجأت إلى غرفتي وأتتني (دغدو) وقالت:
- أمك محقة، فابنة خالتك (كّوارة) تعيش في ظروف صعبة، عليك أن تصل
إلها وإلا فإنها لن تتحمل تلك الحياة التي تعيشها...
- هل هي على قيد الحياة؟
- نعم على قيد الحياة، لكن الموت أرحم لها من الاستمرار على تلك الحالة.
- ماذا تودين أن تقولي؟
- (كّوارة) تم بيعها، زوجها قام ببيعها وهي تعيش الآن في بيت للدعارة في باريس،
وكل يوم يضاجمها ستة أو سبعة أشخاص ويأخذونها من مكان إلى آخر، وزوجها منذ
مدة يقوم بمثل هذه الأعمال، ككل النساء الأفيونيات، وحتى الآن قام ببيع عشرة
فتيات كرديات لبيوت الدعارة في أوروبا.
- لم أفهم، ما قصدك بالنساء الأفيونيات؟
- في الكثير من الدول الأوروبية، هناك منظمات تقوم بالمταجرة بالجنس، يقمن
بجمع الفتيات اليتيمات من مختلف الجنسيات، فهن عديمات الحيلة وليس لهن
أهل أو أقرباء، فيُجبرون على التعايش مع حياتهم داخل تلك الدور، وهنّ فرائس
سهلة للتجار في مسعاهم ذاك، و(كّوارة) ابنة خالتك إحدى أولئك النسوة اللاتي
وقعن بين أيديهم، وزوجها بالأساس طلب يدها وتزوجها من أجل هذا الغرض.
- وماذا أستطيع أن أفعل الآن؟ كما تعلمين، لقد وعدت والدتي، ولو لم تكوني
بجانبي لما وعدتها بمثل هذا الوعد؟
- تستطيع فعل شيء لها، قصدي مجموعة القساوسة الذين تعرفهم
يستطيعون فعل شيء لها، وخاصة المرأة، إذ ستأتي تلك المجموعة بعد عدة أيام إلى
هولير.
- هل أتحدث معهم في هذا الموضوع؟
- لا تتردد في ذلك.

كان وجه (كوارَة) أمام عيني، في يوم واحد يضاجعها سبعة رجال، ولا يسمع صوتها أحد، تمضي أيامها في ذلك الخوف المرعب.
الحقيقة أن الأهل أحياناً ما يتسببون بهذا المصير لأبنائهم، كيفما كان فـ (كوارَة) لا تستحق ما يجري لها، سأفعل كل ما بوسعي لأجلها.
كما كنت متحمساً لإنقاذ (كوارَة) بنفس الحماسة كنت متحمساً إلى رؤية زوجها (هل سيقع بين يدي ذلك الرجل؟)

- هذا جواز سفرك، وهذا جواز سفر (تحسين)، اخذ تحسين جواز السفر وأصبح يتمعن في صورته على الجواز:
- هل تعلمون بأني أشبه (آل كابون) كثيراً؟
- في الرابع من الشهر القادم سنسافر ثلاثتنا إلى قبرص، وبعد غد سأعود إلى بغداد، وأفضل أن يأتي معي (سنگر)...
- وهل مجيئي معك ضروري؟
- كلا، ليس هناك شيء ضروري، لكنني أود أن تتعرف على ذلك العمل ومنذ زمن لم تزر بغداد، تعال وشاهدها هذه المرة.
- وكيف ستكون، يقولون بأنها تحولت إلى أنقاض؟
- هي تحولت إلى أنقاض... نعم، لكنك ما زلت تستطيع رؤية الحياة في بعض أحيائها، صحيح أن الناس يُعانون من الفاقة والعوز لكنهم ما زالوا يزاولون أعمالهم، بالنسبة لنا هي زيارة فقط، نحن لن نشترى بغداد، يومان أو ثلاثة ثم نعود.
- لو لم تكن (دغدو) قالت لي إذهب معه لما ذهبت، لذلك قلت:
- حسناً، سأتي.
- غداً سنذهب ثلاثتنا إلى معبر ابراهيم الخليل، أتننا بضاعة كثيرة إلى هناك علينا استلامها، صحيح، لم لا تشتري سيارة؟
- اشتريت وغداً ستصل إلى هولير.
- هل تود أن أحصل لك على اجازة سياقة من بغداد؟
- أخرج (هلو) وصلاً من جيبه وقراه: (إلى جميع نقاط التفتيش... السيارة ذات الرقم ١٢٧٢١٢ بغداد، لا يحق لأي كان تفتيشها وقدموا لصاحبها كل التسهيلات الممكنة... التوقيع: وزير الداخلية...)
- هل رَقمت سيارتك؟ سأحصل لك على رخصة كهذه.
- يا صديقي (هلو) لم تقل لنا بأن واسطتك هي صدام حسين... هل هو..؟
- كلا، ليس صدام حسين، واسطتي في مثل هذه الأعمال أكبر من والد صدام حسين أيضاً.

- قصدك الأفندي...؟

- كلا، كي تعرفه من الآن وقابل عليك أن تقوله له : أستاذ... هناك هكذا يلقبونه... كن يقظاً..ها.

- كل من يرى هذه الرسالة وهذه الرخصة سيخمن بأنك مستشار.

- كلا يا سنكر، أنت لا تعلم أنهم هناك ينظرون إلى المستشار كتابع من الدرجة السابعة، ولا يعطونه رخصة كهذه أبداً، قد يعطونه ورقة لرؤية أحد ما، وتكون خاصة لنقاط التفتيش فقط.

- صديقي (هلو) أنا لا أحيذ السفر إلى بغداد.

- تحسين لا يريد المجيء، ماذا بشأنك يا سنكر؟

- أنا سآتي وسأكون لك من الشاكرين أيضاً.

رن هاتف (سنكر) الثريا، كان صوت (شوخوا) الناعم ينبعث من سماعة الهاتف، وللتلذذ بسماع صوتها، قام (سنكر) وخرج إلى مكان مجاور يتحدث معها:

- سأكون سعيدة لو إلتقينا اليوم بعيداً عن أعين زملائنا في الجامعة، ألم تر كيف كانوا ينظرون إلينا في كافيتريا الجامعة؟

- نعم، رأيت، لكني لا أخاف نظراتهم تلك.

- أنا أخاف قليلاً، على المرأة أن تخاف في مجتمع كهذا.

- من ماذا؟

- يعني من ماذا، من الطبل والمزمار؟

- في هذه البلاد، كما هم منهمكون بالحرب الأخوية، كذلك تجدينهم منهمكين في الأقاويل عن الناس أيضاً، استغرب من هؤلاء الناس، أنت تربيّت في اوربا، هل

يفكرون بهذه الطريقة أيضاً؟

- كلا، في أوربا لا توجد أبداً مثل هذه الأشياء، كلّ منهمك في حياته فقط.

- متى نلتقي؟

- مساءً الساعة السابعة عندي في البيت.

- لا أعرف عنوان منزلك، كل ما أعرفه أنه في (عينكاوا).

- انتظر... أكتب، الشارع المحاذي للكنيسة الكبيرة، رقم المنزل ٧٧/١١.

عدت إلى أصدقائي... قال (تحسين):

- أنذهب؟

- مازال معنا وقت، ألسنت جائعاً يا (سنگر)؟

- كلا، لست جائعاً، في هذه الأوقات لا يوجد مكان في هولير نذهب إليه عدا

مقهى مجكو.

- لنذهب كي لا تنتظرنا زوجة (تحسين) كثيراً.

مكاملة (شوفا) هزت كياني وتفكيري، وأبعدني عمّا يدور من حولي، أفكاري

تحلّق بي بعيداً، بعيداً جداً، لا أدري كيف أعبّر عن هذا الإحساس، أهي رغبة أم

عشق، أم أن هذا الشعور يملكني حين الإقتراب من أية امرأة...؟

كيفما كان، كنتُ بجسدي فقط مع أصدقائي، لم أكن أحس بالجوع أو أي

شيء آخر، قال لي (تحسين): لم لا تأكل يا رجل؟. أحبته (هلو):

- تلك المكاملة جعلته يحلق بعيداً عنا، قل لي ما بك، ما أقوله صحيح أليس

كذلك؟ هل حدث شيء يعكر مزاجك؟

- كلا، لا شيء، وماذا سيكون قد جرى؟

- لا أعرف، أنت تعرف.

- أي أن هناك شيء ما قد حدث ولا تريد أن تفصح عنه.

- قد يكون شيئاً إيجابياً... أترك هذا الآن، في أي ساعة سنذهب غداً إلى إبراهيم

الخليل؟

- رأيت يا (هلو) كيف يُغير الموضوع؟

- يا صديقي، تغيير الموضوع أيضاً بحاجة إلى معرفة وليس كل أحد بمقدوره

فعل ذلك.

كان (هلو) مُحققاً في كلامه، فكل تفكيري كان عند (شوفا)، لماذا تريد أن تراني؟

ولماذا أنا؟... هل لديها عمل معي؟ فهناك شباب أجمل مني في صفنا بالجامعة... ماذا

وجدت فيّ ولم تجده في غيري؟ أرى من الأفضل أن أعثر على بيتها وأعرف مكانه قبل

الذهاب، كي لا أتأخر عليها. فعلت ذلك وعثرت على البيت بسهولة، بقي أكثر من

ثلاث ساعات على موعدنا، رنّ هاتفي، يريدون مني رؤية سيارتي التي أصبحت في

هولير، (تحسين) يعرف أكثر مني بهذا الامر، لذا ذهبنا سوية لجلب السيارة، وهي

من نوع مارسيدس وعدادها لم يتجاوز مؤشره مسير ألف كيلومتر، استلمنا السيارة

وعدنا. طوال حياتي لم أركب سيارة مرسيدس كبيرة، وفي طريق العودة غلبتني
الهموم وبقيت صامتاً لا أنطق بكلمة، لفت هذا الأمر انتباه (تحسين) وقال لي:

- ما بك مهموم هكذا، هل تخاف من قيادة السيارة؟

- المسألة ليست مسألة خوف يا صديقي، أنا فقط تذكرت أوضاع الناس
والفقر الذي هم فيه، وأنا بدوري سأركب سيارة آخر موديل... هل هذا منصفٌ
برأيك؟

- يا رجل، ابتعد عن هذا الكلام الرومانسي، فماذا نستطيع أن نفعله للناس أنا
وأنت؟

- نعم، لا نستطيع، لكن هذا لا يعني أن ننسى معاناتهم، وكأنني أشعر بالذنب.
- لا تنساهم أبداً، فكر بهم إلى حد التخمّة، ولا تنسى أن تفكر في حرب الأخوة
أيضاً.

- أنت تسخر؟

- نعم، أسخر منك، هل سرقت هذه الأموال؟ هل أكلت المال الحرام؟ إذاً لماذا
تشعر بالذنب؟

- يجب أن تكون رجل دين، تفكر في هموم الناس من جهة، ومن جهة أخرى
تتاجر بالمشروبات الكحولية والدخان، وهما مضران بالبشر، وها غداً ستسافر إلى
بغداد أيضاً.

- هل رأيت إلى أين أوصلتني الأمور، وقُل أيضاً أن تجارتك غير قانونية وتعتبر
تهريباً، أليس كذلك؟

- هي كذلك، لكنني أريدك من الآن وقابل الايام الإبتعاد عن هذه التهيؤات، ألا
ترى عملاء الأمس يتاجرون بدم الناس، هل تود أن أستمر في الكلام...؟
- كلا، يكفي... يكفي.

في تمام الساعة السابعة قرعت بابها، كانت (شوخا) إسماً على مسعى، بغنجها
ودلالها تزداد أنوثة، وهي تلبس بنطالاً ضيقاً أبيض اللون، من ضيقه ترى تعرجات
سروالها الداخلي تحته، وتلبس قميصاً وردياً مزهراً، ملفوفاً إلى أعلى سرتها، لأول
مرة أرى في حياتي قامئة هيفاء كقامتها، ما بين ردفها وفخذها ترى هضبة لينة تفوح
باللذة والشهوة، تسير بخطوات ناعمة يهتز نهذاها كتفاحتين طليقتين للريح على وقع

خطواتها، وتلقي تلك التفاحات ظلالتها على بطن متناسق، الزرّان العلويان من قميصها مفتوحان، يكشفان عن الشق بين النهدين المكوّرين، يتوسطهما مفتاح ذهبي متدلّ من سلسلة إلى منتصف ذلك الشق، وكأتهما يريدان من السلسلة الملتفة على العنق الانعتاق والحرية من رقبتها، احسّت تأثير جمالها علي، وتقدمتني بهدوء إلى طاولة مزينة، وأشارت لي بالجلوس على الكرسي، لأول مرة أجد سحراً كهذا في حياتي. شمعة تحترق ببطء على شمعدانة في منتصف الطاولة المستديرة، وفوق الطاولة أيضاً صحنان فارغان، وحول كل صحن شوكة وملعقة وكأس شراب، وبجانب كل صحن مناديل معطرة بألوان زاهية، قلت في نفسي: (إن هذا العالم مليء بالعجائب والغرائب... بيت صغير لكنه مرتب بأجمل ترتيب) لوحتان ملونتان متناسقتان مع لون الستارة، معلقتان على الجدار، التلفاز ضمن موبيليا أنيقة فيها ثلاثة مدرجات، وفي كل مدرج مضخمات صوت من ذات اللون، تناسق وجمال أخاذ في كل مكان... صحيح ما يقوله الكرد بأنه: (حتى العنزة تُرئى مكان نومها). كل ما أراه في هذا البيت ليس غالباً، لكن كل شيء قد وُضع في مكانه اللائق بمعرفة وجمالية فائقة، وليس كالديكور الذي يملأ بيوت البعض الذين يرون انفسهم من الطبقة الراقية، ينثرون الخشب والموبيليا الباهظة الثمن في بيوتهم، لكنهم لا يجيدون التنسيق بين الألوان أو وضع الأشياء في مكانها المناسب. وأنا أيضاً مثل هؤلاء، قادمٌ من عالم محروم وفقير... وضعت (شوخا) قنينة سوداء اللون في منتصف الطاولة بين الصحنين وقالت:

- هذا الشراب فرنسي، وعمره ثماني عشرة سنة، اليوم سنشرب هذه القنينة حتى ننهيا.

- سمعت بفتيات أعمارهن ثمانية عشر عاماً، لكن أول مرة أسمع أن قنينة خمر عمرها ثماني عشرة سنة..!

- أين انت من ذلك..؟ هناك شراب عمره مائة عام أيضاً، ستسمع مني أشياء أخرى غريبة.

- مثل ماذا؟

- لا أعلم.. صحيحٌ أني كردية بلغتي وجنسيتي، ولكن لا تنسى أني تربيت في مجتمع اوربي، وحياتي الحقيقية مرتبطة بتلك الثقافة، ولعلمك، فأنا أحافظ على

سمعتي من أقاويل الناس، لكن هذا لا يعني ألا أقوم بما أحب لأجل خاطر الناس، فأنا لا أعيش لأجلهم.

- وأنا أيضاً أفكر مثلك، لكن الفرق بيني وبينك أني رجل وأنتِ امرأة، وأنتِ تربية أوروبا، أما أنا فمن العراق المدمر.

كأسا شراب أحمر ممتلئان، كانا يهتزان على وقع حركات أيدينا على الطاولة، رفعت (شوخا) كأسها وضربته بكأسي وشربت رشفة صغيرة من كأسها، أما أنا فشربت نصف كأس برشفة واحدة، هي تعلم بأنني لا أعرف بأصول وأتيكيت شرب الخمر، لكنها لم ترد أن توجّهني في ذلك، وقالت لي:

- هل أعجبك الشراب؟

لم أكن أعرف نوعيات الشراب، الجيد من السيء، لكني قلت:

- إنه ممتاز.... ممتاز.

أحتسنا كأسين آخرين من النبيذ، احمر وجهي من تأثيره، همست (شوخا) بنعومة ومسحت الشراب من على شفّتها الممتلئتين قائلة.

- تحدث لي قليلاً عنك، طالب ماجستير فقط؟ أليس لديك خطيبة أو حبيبة،

وأعلم مسبقاً بأنك لا نية لك للزواج الآن... وماذا أيضاً؟

- قهقهتُ بصوت عالٍ، وحين توقفت قلت لها:

- هل تستطيعين أن تضحكي مرة أخرى بهذه الطريقة، عندما تضحكين

تزدادين جمالاً على جمالك.

ضحكت مرة أخرى...

- وأنا أعرفك بحسب ما قلته لي في لقاءنا القصير ذاك، لماذا عدتِ إلى

كرديستان؟ لمّ لمّ تكلمي دراسة الماجستير في أوروبا؟ هي أسئلة غير محرّجة، أليس كذلك؟

- لقد تعبت من العيش في أوروبا، وانفصالي عن زوجي كان سبباً آخراً، كما قلت

لك، أنا من مدينة حلبجة ومن عائلة معروفة في تلك المدينة، والد جدتي يهودي، ولا

أعلم ان تزوجت من رشيد آغا رش برضاها أم عنوةً، والذي من تلك المرأة اليهودية،

وبحسب قوانين دولة إسرائيل، فإن الأطفال يُسجلون على جنسية أمهاتهم وليس

آبائهم، وفي رحلة اللجوء حين هاجرنا، وبحسب القانون الإسرائيلي، حصل والذي

على الجنسية الإسرائيلية، أي أنا أصلي كردية، من جدة يهودية، ومؤخراً حصلت على الجنسية الفرنسية.

- كنت أقول في نفسي دائماً أنك تشبهين مجلس الأمم المتحدة.
قالت ضاحكة:

- أتمنى أن يكون ما قلته لك بيننا فقط... موافق؟

رفعتُ يدي اليمنى إشارة لموافقتي على كلامها... قالت:

- قم لتفرج على التلفاز.

ملأنا كأسينا وجلسنا متلاصقين أمام التلفاز، كنت مهتاجاً لكني لم أكن أود المبادرة أولاً، بيديها وأصابعها الناعمتين لفت يدي بين يديها، كنت أقرأ جسارة أسطورية في عينها، لا أدري لم كنت بارداً و جامداً كتمثال لا أتحرك، عندما وضعت شفيتها على شفتي، ما افقتُ من غيبوبتي تلك، إلا وكان لسانها يتلظى في أعماق فهي.

إخلتط الشراب في فمينا، لأكثر من عشر دقائق كنت أمضغ شفيتها الممتلئتين، أبتعدتُ قليلاً وفتحت أزرار قميصها المورّد وخلعته ووضعته جانباً، بان صدرها الأبيض البض وكأنها هيكلمحارب يوناني يستعد لجولة قتال ضارية، مددت يدي إلى ما تحت سرّتها، وأنزلت بنطالها قليلاً، وأنا كبطل فيلم كارتوني خلعت كل ثيابي في دقيقة واحدة، بت عارياً تماماً أمامها، أردت خلع سرولها الداخلي، لكنها قالت:
- كلا، أترك هذا الآن.

استغربت من صدها لي، كيف شجّعتني على كل هذا والآن تقول (كلا). أمسكت يدي وأخذتني إلى غرفة النوم، كنت واقفاً على حافة السرير، فقامت بدفعي وسقطت على ظهري، ارتمت فوقي وقالت:

- لا تقترب من هناك، فأنا في الدورة الشهرية، أتركه لوقتٍ آخر، ألا ترى

الفوطة القطنية تحت السروال؟

- استغربت وقلت:

- دعيني أرى.

- لا تستعجل، غداً أو بعد غد... هولك.

- إن كان لي، يجب أن أراه.

- قلت لك أني في الدورة... مليء بالدم.
- وقلبي أيضاً مليء بالدم وأحشاؤنا أيضاً مليئة بالدماء.
- بشرط... أن تراه فقط. موافق؟
- موافق.
- أنزلت سروالها الداخلي. قرّبت رأسي منه وقلت:
- ما باليد حيلة، لقد وافقت على أصعب شرط... وإلا...!!

آثار حرب الكويت بادية على بغداد، أربع سنوات لم أر فيها بغداد، كنت طالب مدرسة ألتزم بتوجهات والدي في ظل نظام تعليمي فاشل، بعدها عدنا إلى الموصل لعدة سنوات ومن ثم إلى الجنوب... وهذه المرة أعود إلى بغداد في سيارة آخر موديل، سيارة (هلو). بحيث لم توقفنا أية نقطة تفتيش وفي وطوال طريق لم يوقفنا أحد، توجهنا مباشرة إلى فندق (ميرديان)، كان مركز الهواتف الأرضية قد تم قصفه، وهواتف الثريا في دولة صدام كانت ممنوعة، وإن صدف ورأوها مع أحد فمصيره الإعدام بدون سؤال أو جواب. كان الأستاذ (لؤي) قد أعطى هاتفاً لـ (هلو) يستطيع به الإتصال مع أي كان في العراق. فور وصولنا إتصل (هلو) بالاستاذ واتفقا على اللقاء غداً في الساعة الخامسة مساءً.

- ولماذا الساعة الخامسة، ففي ذلك الوقت تُغلق جميع المحلات والمؤسسات الحكومية.

- دولة الاستاذ تبدأ من الساعة الخامسة وحتى الصباح، هو دولة لوحده.

- أي أنه لا يهتم.

- في هذه المدينة عليك أن تنظر فقط ولا تتكلم، لا تنطق بأية كلمة، هو له عالمه الخاص به، قد نزل للصباح معه فسيهراته دائماً تستمر للفجر. بشرط ألا تتكلم وانظر فقط، عليك أن تعدني بذلك؟

- هل أستطيع أن لا أذهب إلى تلك السهرة؟

- هذا لا يجوز كيف يدعوك ولا تأتي، لن يسمح بذلك، ولماذا لا تحب المجيء،

ماذا سيغير من الموضوع لديك؟

- لا شيء، قصدي أننا سنسهر حتى الصباح معه؟

- لا تقل شيئاً، فقط استمع، لا أدري كيف أنني كل هذه الأمور، لذلك أردت أن

تأتي معي حتى تتعلم وترى عن قرب أي عمل صعب نقوم به، إلى ذلك الوقت عليّ أن أجهز إثني عشر بالمائة من الأرباح وأضعها على طاولة الأستاذ، وقد أرى العديد من الوكلاء والتجار الآخرين، حينها سنبقى يومين أو ثلاثة إضافيين. هذا عمل صعب وجدي، ثمانمائة ألف دولار هي للأستاذ، هذا المبلغ يُطلق عليه (لايجوز) أي لا

تستطيع أن تؤخره أو تنقص منه فليلاً أولاً، ونفس المبلغ يجب أن يُدفع في ابراهيم الخليل أيضاً.

بعض شركات الهواتف المحلية قد بدأت بالعمل في بغداد، كان الناس يستطيعون من خلالها الإتصال ببعضهم ضمن نطاق المدينة ، (هَلُو) اجري مكالمات هاتفية وأنا أنصت إليه صامتاً، بعض الوكلاء يطلبون تأجيل مواعيدهم و(هَلُو) بدوره يلح عليهم كي يستلم امواله، انه محقٌ، فهذه الأعمال كشبكة العنكبوت فيها الكثير من المآخذ والافخاخ، أغلب الوكلاء جلبوا مستحقاتهم إلا واحداً فقط، والسبب أن شاحنة البضاعة التي تحمل صناديق الزجاجات انقلبت على الطريق وأغلب تلك البضاعة تكسرت، والرجل يطلب من (هَلُو) أن يُمهله بعض الوقت... الساعة تجاوزت الحادية عشرة مساءً. نظر (هَلُو) إلى الساعة وقال:

- لم يعد لدينا شيء اليوم سوى شرب كأسين من الويسكي وننام، فغداً لدينا الكثير من العمل لنقوم به.

عدتُ إلى غرفتي، كنت أفكر مع نفسي، شابٌ لا سند له من عشيرة أو أهل يقفون معه في الشدائد، إلى البارحة لم يكن يملك ديناراً، ويعمل في التنظيمات الحزبية ومستعد للإعدام والقتل في أية لحظة، وفجأة أصبح يملك المال والخزائن، قوة (دغدو) الروحية كانت إلى جانبي ولا تدع لي مجالاً للخطأ أبداً... ما الذي أجبرني على العمل في التجارة... عمل مخيف، وها أنا تحت رحمة ابن أكبر دكتاتور في العالم وغداً سأذهب وأجلس على مائدته دون أن أنبس بكلمة؟ ماذا سأستفيد من كل ذلك؟

المال صديقٌ للطماعين والذين لا يعرفون الشبع، كما أنه يجعلك تخالط الكبار والمتنفذين، قد أكون في المكان الخطأ... حتى الصباح تتواتر هذه الأفكار في ذهني، إلى ان سمعت صوت أذان الفجر من الجامع القريب للفندق... حي على الصلاة... جلست على حافة السرير وبدأت بالأدعية، اتتني (دغدو) تخیلاً وقالت:

- الأمر لا يدعو لكل هذا القلق، فكل عمل فيه متاعب، ما تقوم به هو مصدر رزق لك ولغيرك، استمر في عملك ولا تتردد.

كجثة هامة تمددت على السرير وذهبتُ في نوم عميق، لم أفق إلا على صوت قرع الباب، كان (هَلُو) على الباب يقول لي: بانتظارك في المطعم...

ذهبنا سوية إلى مكان البضاعة، (هَلُو) قد استأجر بيتاً كبيراً وجعله كمخزن ومستودع، العمال منهمكون بإنزال الحمولة من الشاحنات، القسم الكبير من تلك البضاعة لرجل مسيحي من البصرة، وهذا الرجل مصرُّ على دعوتنا إلى البصرة، تذكرت حين عملت عتالاً مع صديقي (خميس) نحمل كراتين مليئة كهذه من الشاحنات ونضعها في الجرارات الزراعية، وكسبت بضعة نقود من ذلك العمل... الآن، أتيت هنا كصاحب لهذه البضاعة... إنها دنيا غريبة وعجيبة، تُغيّر البشر والأوضاع، كنتُ حتى البارحة أعمل من أجل حفنة من الدنانير واليوم املك الملايين منها، وغداً سأجلس على مائدة (الأستاذ) الذي جعل نفسه وصياً على كل شاردة وواردة في العراق... لا أدري ماذا أسمي كل هذا الأمور، أهي نصيب، أم لعبة قدر، أم حكمة؟ أياً كانت من هذه الأمور فأنا لا أرى أي حكمة فيها... أهي من إحدى زوايا أو حافات الحكمة؟ ضربت بيدي على وجهي (أيها المعتوه... أترك هذا الكلام المنمق، عدا ما تنطق به من كُفر، تحاول أن تقطع رزقك بيدك، فالله عليم بكل شيء وحكيم في كل ما يجري لعباده).

تذكرت جسد (شوخا) الأملس النقي، وخاصة تلك البقعة الحمراء بين فخذيهما مع بعض الشعيرات السوداء القاتمة، خلقت هذه الذكرى عالماً بأكمله من الرغبة واللذة في داخلي، عندما رأيت ذلك السواد الفاقع بين فخذيهما، أدركت حينها أنها القهوة بحد ذاتها، وأنا بحاجة لارتشافه لأشبع منه.

حواجبها ورموشها يشبهان إلى حد كبير شعر ورموش (خيمة)، الظاهر أن نصيبي دائماً هو النسوة ذوات الشعر الأسود وحتى الآن لم أصادف امرأة شقراء في حياتي، عدا المصافحة التي جرت بيني وبين السيدة (لوسي).

عُدنا إلى الفندق، الحقيبة مليئة بثمانية رُزْمٍ من فئة المائة ألف دولار للخليفة و(الأستاذ) وعلينا أن نضعها في تمام الساعة الخامسة على طاولته.

في تمام الساعة الخامسة مساءً، كنتُ أنا و(هَلُو) وحقيبة النقود جالسين في غرفة السكرتير، قال (هَلُو): أنا سأذهب أولاً وبعدها سيأذنون لك.

كنت أتوق لرؤية ذلك الرجل، فقد كان يتردد إسمه على كل لسان، بعد عشر دقائق طلبوني كي أدخل أنا أيضاً إلى غرفته، كانت قاعة واسعة، فيها كل شيء وينقصها سرير فقط، قام الأستاذ من مكانه لاستقبالي، ومد يده إلي قائلاً:

- أهلاً وسهلاً بالشريك الجديد، كيف ترى بغداد الآن؟ رأيتَ ما فعله أعداء العراق ببغداد؟

توقعت أن يسألني مثل هذا السؤال، لذلك كنت مهياً للإجابة عنه وقلت:
- الأسد الجريح أخطر من الأسد الطليق، قد يبقى أثر الجرح، لكن لا بد أن يندمل... اليوم أو غداً.

لم يدعني أكمل حديثي أكثر، نظر إلى (هَلُو) وقال:
- شريكنا الجديد ليس بشريك جيد فقط، بل أنه قارئ ومثقف أيضاً، لذلك اليوم عندي سهرة وأدعوكم للحضور إليها، وإياكم ألا تأتوا؟
وضع (هَلُو) يده على صدره وقال:
- بكل سرور، سنكون حاضرين.
- هل يلزمكم شيء، لديك رقم هاتفي، أليس كذلك؟
- نعم، مساءً سلنتقي.

خرجنا بلطف ووداعة من شبكة (الأستاذ) العنكبوتية، في الطريق سألت (هَلُو):

- رأيتَ غرفته؟ مليئة بالفوضى، فكيف سيكون بيته إذاً؟
- لا تستعجل، سترى مساءً ما هو أكثر من هذه الفوضى، فقد لبيت دعوته مرة في فصل الصيف، كنا بجانب مسبح، كل النساء كنّ عاريات، فقط خيط رفيع يستر ما بين أفخاذهن وبعضهن بدون حمالات الصدر حتى، يسبحن ويمرحن في ذلك المسبح، أما عن الدعوة الشتوية الثانية فلن أسرد لك ما جرى فيها، سترى مثلها بأم عينيك الليلة.

- في أي ساعة علينا أن نكون هناك؟
- سهرته تبدأ بعد العاشرة وحتى الصباح.
- أي معنا وقت كاف، هل أستطيع أن أفارقك لساعتين؟
- ولمَ لا، إلى أين ستذهب؟
- صراحة، سأذهب إلى مزار غوث ببغداد...

- إذا أردت الذهاب فإذهب، لكنك يا رجل مكّون من خليط غريب وعجيب،
وكأنك آيس كريم مجبولّ من عدة ألوان، تشرب الكحول، تمارس أعمال التهريب،
تقيم علاقات مع النساء، وقد تقوم بأفعال أخرى لا ندري بها؟
- أيها المنكوب، سيتجاوز عمري الثالثة والثلاثين وإلى الآن لم أر فرج امرأة،
لكنك محق في أنني لا أتوانى عن القيام بكل هذه الأمور، لكن الموضوع مختلف معي،
أنا لا أسيء لأحد، كما أنني أحب أن أنفع الناس، وأؤمن بكرم وسخاء الله ورحمته.
- يا رجل أترك هذا الكلام الآن، ألا ترى أنك تبيع الكحول والمشروبات، وهذا
ذنب ومن الكبائر وله ضرر على الناس، أليس كذلك؟
- الحقيقة هي كذلك، لكني لا أنظر إلى نتائجها وآثارها كما ترى أنت، فبرنامجي
الاصلاحي سيأتي بعد كل هذا وإن بقينا على قيد الحياة سترى بأمر عينيك ما أقوم به.
- الكُرد يقولون: خبز اليوم لليوم... ما تقوله مجرد كلام فقط.
- يعني... أنت ترى ألا أذهب إلى مزار الغوث؟
- لو لم يكن لدي عمل لكنت أتيت معك... إستقل سيارة واذهب، ولا تذهب
بمفردك.

وصلنا إلى باب الفندق، أتت مكاملة (هَلُو) على هاتفه، لم أنتظره لإكمال
مكالمته أوقفت سيارة وذهبت... سائق السيارة عربيّ من أهالي بغداد، ويعرف بدقة
كل شوارع وأحياء المدينة، قال لي:
- لم لا تزر جامع (أبو حنيفة) أيضاً يا أستاذ؟
قبل أن أجيبه سألته: ما اسمك؟
- عبد الزهرة.
- لو أتيت لي المجال سأزور الكاظمية أيضاً.

ظهر المزار من بعيد، أوقفت السيارة وأردت اكمال الطريق إليه مشياً، قبل
عدة سنوات، أتيت برفقة والديّ إلى مزار الغوث، توجهت إلى باب المزار الذي يعلو
عن الطريق عدة درجات... تملكني الخوف والرهبة فور وصولي إلى الداخل، فالأبواب
الثلاثة في الداخل مفتوحة والحد الفضي يظهر في المنتصف، رؤية القبر أثارت فيّ
الرهبة من المكان كله، أردت أن أقرأ الأدعية والصلوات لكنني لم استطع، وضعت
يدي ورأسي على حافة القبر، رجلاي ترتجفان، لذلك فضلت الجلوس في إحدى

الزوايا، الناس يأتون ويغادرون بحركة دائمة في المزار، أخذ رجلٌ يظهر من ملامحه وزيه أنه كردي، اخذ خرقة من رقبة طفله وربطها بالحديد حول القبر، كان الطفل الصغير واقفاً بجانب والده ويسترق النظر إلي، نظرة الطفل ورهبة المكان خلقا لدي نوعاً من الألفة للمكان، لم أستطع البقاء وأردت الخروج، وبخطوات مثقلة خرجت وأنا أتضرع (يا الله ساعدني).

عدتُ إلى الفندق، (هَلُو) مازال يتناقش مع بائعي الكحول، والرجل المسيحي مازال مصرّاً على دعوتنا إلى البصرة، وافق (هَلُو) على دعوته وقال:
- إن لم أستطع المجيء فسيأتي شريكي (سنكر) بدلاً عني.
وتلك الطريقة معروفة في التعاملات بين التجار، يكذبون مئات الأكاذيب على بعضهم، يتواعدون ويحلفون مئات المرات وكلها كذب في كذب.

بقي ساعتان على موعدنا مع (الأستاذ)، الليلة الماضية قلقتُ فلم أنم جيداً حي ، واليوم أيضاً لا أستطيع النوم أو الراحة فأنا موجسٌ من الذهاب إلى سهرة (الأستاذ)، فهذه الليلة سأضع نفسي بين أنياب الضبع، لا أدري لم أحب الاختبارات، وكأني اعيش على اختبار الأمور من حولي.

على رأس الساعة كنا عند حديقة (الأستاذ)، القريبة من جامعة بغداد، وتحيط بها جدران عالية من أطرافها الثلاثة، وعلى الطرف الآخر العديد من الزوارق الكبيرة والصغيرة مركونة على شاطئ النهر ويحيط بها رجالٌ مدججون بالأسلحة يحرسونها، ولأن الحديقة كبيرة جداً، تقدمتنا سيارة إلى مكان الضيوف، ومن هناك أيضاً تقدمنا شخص إلى القاعة.

المكان مكتظٌ بحوالي أربعين شخصاً ومعظمهم نساء وفتيات يافعات، وكأنهن قد جهزن أنفسهن منذ الظهر في صالونات التجميل والماكياج. المساحيق وتسريحات الشعر مختلفة، يلبسن أزياء براقة ولامعة ونصف عاريات. مكان الفرقة الموسيقية على طرف محاذ وهم يقفون كتماثيل، لا حركة تراها لهم، الخدم والحشم ينظمون مكان الجلوس للضيوف.

كرسي من الستانلس كان فارغاً في صدر المكان، إنه لـ(الأستاذ) حصراً، وكان ذلك الكرسي من عصر (لؤي) السابع، لم يأت (الأستاذ) إلى الصالة بعد، فمن المعروف أنه قبل مجيئه يدخل عدة لفافات من الحشيش وبعد زوال أثر ذلك

الحشيش كبحر قبل الطوفان يمشي الهوينى وينزل إلى القاعة. عندما أتى، وقف جميع الحضور ، أتى إلى طاولتنا ورحب بنا، ثم ذهب وسلم على آخرين، كانت ثلاث نساء أوكرانيات شقراوات يحملن أطباقاً مليئة يقدمنها له وللضيوف، مفتاح الحفلة كان بيد شخص اسمه (علي)، وبدأت بعدها الفرقة الموسيقية بعزف موسيقى هادئة.

المطربون في غرفة جانبية مخصصة لهم، كلٌ ينتظر دوره في الغناء، وتعييس الحظ من كان دوره في آخر السهرة، أي في عز سكر وعريدة (الأستاذ)، كان في هيجانه يشبه عاصفة (تورنادو). بدوري، أسترق إليه النظر بين الفينة والأخرى، شرب الكأس الخامسة من الويسكي ورويداً ورويداً بدأت بعض النساء بالذهاب إلى منتصف القاعة وبدأن بهز أردافهن.

حتى تلك اللحظة، كان (الأستاذ) جالساً على عرشه لا يتحرك، فقط يشرب الويسكي، وكلما كانت تظهر ابتسامة طفيفة على محياه، كان الجميع يبدؤون بالضحك تماشياً مع ابتسامته، كنت اتمعن في طريقة شربه، فحتى تلك اللحظة شرب أكثر من عشر كؤوس، ثم نهض فجأة ونزل صوب النساء الراقصات، إقترب من إحدهن التي كانت قامتها تضاهي قامته، شعرها الأسود ينحدر على صدرها الممتلئ، وقف قبالتها ووضع يديه تحت شعرها الطويل وبدأ بفك أزرار قميصها كله من الخلف، بان جسمها كله، فخذاها العاريتان، ومع ذلك تضرب الأرض برجلها وتكمل الرقص، لم يتوقف (الأستاذ) عند ذلك الحد، بل بدأ بفتح حمالة صدرها أيضاً، لم أر نهوداً كبيرة وصلبة مثل تلك في حياتي من قبل، بكل حركة من حركاتها تلك النهود تهتز على وقع رقصها وحركاتها، وضع أصابعه الأربعة بين فخذيها وكأنه يحس برغبة لمضاجعتها، فبان أسنانه الصدفية من بين شفثيه، ذهب (الأستاذ) إلى راقصة أخرى، وعلى الراقصة السابقة أن تبقى على عُرُيها حتى نهاية السهرة، فالنساء العاريات يعرفن قوانين السهرة مسبقاً.

كنت مندهشاً، لأول مرة أرى مناظر وتصرفات غريبة من حولي، وأفكر مع نفسي: هل يجب أن تكون حياة الأغنياء والحُكَّام على هذه الطريقة ؟ أم أن ما أراه هي تصرفات لشخص مريض نفسياً مصاب بـ (السادية)؟

قال لي (هلو): إنتبه... لا تشرب كثيراً، فنحن في عنق الأسد. توقعت أنه علم بما أفكر، لذلك قلت له: (لماذا، وهل قلتُ شيئاً؟)
- كلا، فقط أنظر ولا تشرب الكثير... ولا تتكلم.

الساعة تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، حمل (الأستاذ) بندقيّة الية كلاشينكوف ذات مخزن اسطواني بخمس وسبعين إطلاقاً، استغربت... ماذا سيفعل بها؟.

فتح نافذة القاعة ووضع يده على الزناد ومع كل إطلاقاً من الرشاش كان يشتم... يشتم من؟ هو فقط يعلم من يشتم، الدخان ينبعث من حول النافذة جراء إطلاق الرصاص، وفوارغ الرصاصات تتناثر في المكان وعلى رؤوس النسوة وأحياناً تقع بين صدورهن، رائحة البارود اختلطت بروائح العطور النسائية الأخاذة، عندما عاد (الأستاذ) إلى مكانه كان يقول: (سأنكح أمك... هكذا سأثقبها ثقباً ثقباً) ومن يتجرأ أن يسأله سينكح من ولمن يوجه شتائمته تلك؟

قلت في نفسي: يا إلهي أهذه حفلة وعزيمة أم سهرة في الجحيم!!
بعد شربه لكأس من الويسكي الصافي، مسح فمه بكم قميصه ونزل إلى منتصف القاعة، وهو يضحك ويقهقه بشكل هستيري، فجأة، توقف وبصوت عال قال:

- أبشركم بأنكم سترون برنامج حياتكم هذه الليلة، الرجال والنساء لن يروا مثل هذه الليلة مرة أخرى في كل حياتهم، البرنامج اليوم هو رهان كبير، ومن يريد ان يُشارك عليه أن يضع ألفي دولار أمريكي... صفق ونظر إلى سرير مخصص للولادة في طرف القاعة، كنت قد رأيت في التلفزيون والسينما أفلام أكروباتية لحيوانات وكلاب تتقافز بحركات بهلوانية فوق الطاولة، توقعت أن يكون برنامجهم بذلك الشكل، لم يمض وقت، حتى ظهرت إمرأتان تتأبطان إمرأة حاملاً بالكاد تستطيع المشي، كانت آهاتها من آلام المخاض تُسمع في كل القاعة، بجانب السرير نزعوا عنها ثيابها، بان بطنها المدور، فيما يبدو أنها منذ زمن لم تحلق عانتها، فقط وصل شعر عانتها إلى السرة تقريباً، نقطة دمٍ قد أخذت طريقها من بين فخذيها حتى ما بين أصابع رجليها، حتى أن حذاءها كان أحمرًا من الدم، قامت النسوة بوضع المرأة على السرير ورفعن رجليها إلى المكان المخصص لرفع القدمين، كان فرجها مفتوحٌ ورأس الجنين بالكاد

يظهر من تلك الفتحة، المرأة تصرخ والنسوة الأخريات يشجعنها على الولادة. كان (الأستاذ) واقفاً قرب فخذها كولاّدة وأحياناً يضع أصابعه على حافة فرجها وبعدها يرفع رأسه ويقول للحضور:

- إحزروا الآن... ولد أم صبي؟

صرخ المرأة يشق عنان السماء و (الأستاذ) يقهقه ضاحكاً.

الدم ينبعث من فرج المرأة، ومن فوق السرير قطرات الدم تتساقط على أرضية

القاعة... قال أحدهم:

- صبي.

- هات ألفي دولار.

بدأت الحركة تدبُّ في أرجاء القاعة... أحدهم، وآخر، وآخر... ثمانية منهم قالوا

بأن المولود صبي وإثنان آخران قالوا أنها بنت.

قلت لـ(هلو):

- إياك أن تقول شيئاً!!

رأس الجنين يكاد أن يخرج، وتتضاعف معها آلام المخاض وتصل ذروتها، صرخ

المرأة وقهقهات (الأستاذ) يختلطان معاً ويشكلان نوعاً جديداً من الألم.

الحضور، بعضهم مستغرب، وبعضهم حزين، وآخرون يبتسمون وينتظرون

حركة أو إشارة من (الأستاذ)، خرج رأس الجنين من فرج المرأة و(الأستاذ) سلفاً

يعرف بجنس الجنين عن طريق الأشعة التي جرت للمرأة قبل أن يجلبوها إلى القاعة،

بدأ الجنين بالبكاء، حينها توقفت المرأة عن الصراخ، والتفت (الأستاذ) بدوره إلى

الحضور وبقهقهاته الهستيرية عاد إلى مكانه، صفق مرة، ومرة أخرى. قامت النسوة

إلى منتصف القاعة وبدأن بالرقص مجدداً، أشار (علي) للنسوة كي تفسح المجال

وتبتعد عن منتصف القاعة، وفجأة بدأ الصراخ والعيول في القاعة، حيث دخل

أسدان من الباب الخارجي إلى داخل القاعة، بعضهن هرب صوب الحائط، والبعض

الأخر فغرن أفواههن من الدهشة، توجه الأسدان صوب مكان (الأستاذ) ووقفوا عند

قدميه، النسوة العاريات بدون خوف من الأسود، ذهبن إلى ذات المكان وجلست

إحداهن على ركبة (الأستاذ) ووضعت فمها في فمه... اعتقدت أن برنامج سيرك

الحيوانات إنتهى، لكن (الأستاذ) قام من مكانه وبدأ بالدبكة العربية... لم أر رجلاً ولا

إمراة في حياتي يتقنون تلك الدبكة العربية مثله، عدا سامية جمال وفيفي عبده، النسوة بدأن بالتصفيق وتوجهن تجاهه، يمددن أيديهن إلى ما بين فخذه ويلعنن فمه، مظهر شهواني وحيواني على إيقاع الموسيقى الصاخبة والقهقهات العالية وطول (الأستاذ) الفارع بين عهر تلك النسوة، إختلط كل ذلك بصوت أذان الفجر من الجوامع، عله ينهي الظلم في تلك البقعة.

مرة أخرى توجه (الأستاذ) إلى النافذة وبدأ برشق الاطلاقات من بندقيته الالية وفاحت رائحة البارود، أمسك بيدي امرأتين، وقال: (الليلة إلى هنا يكفي).

خرج من المكان الذي دخل منه... حتى خروجنا من الباب الرئيسي للحديقة، لا أنا ولا (هلو) لم ننطق ببنت شفة، فور خروجنا من الباب، قال هلو:

- كان كالجحيم، أليس كذلك؟

لم أستطع الكلام، فقط قلت له: ألا ليته كان كالجحيم...

أتت (لوسي) مع القسّين فقط، وحديثنا تجاوز الأتيكيت التجاري هذه المرة. كانت قد ربطت شعرها الأشقر على موديل (ذنب الحصان) إلى الخلف وكحّلت عينها ورموشها بلون بني غامق، ووضعت رجلاً فوق أخرى وهي تحركهما بهدوء، تلبس في قدمها حذاءً ذا كعبٍ عالٍ، مما جعل قامتها تبدو مرتفعة شبراً عن قامتي، أخرجت علبة من حقيبتها اليدوية ونظرت إلى القس (ستيفان) وقالت:

- هذا عطر كريستيان ديور، لقد اشتريته من حي الشانزليزيه في باريس، مدت يدها وناولتني العلبة.

- مع كل مشاغلك هناك، تذكرتيني وجلبت لي هدية، أشكرك من كل قلبي جزيل الشكر، عليك أن تنتظري مني هدية لك...

بانث ضحكة خفيفة على محياها، وعندما فهمت الترجمة الكاملة بدأت تقهقه

كنتُ جالساً جلسة الواثق من نفسه، بعد برهة، خفّت ضحكة (لوسي)، لا أدري لم فهمت من ضحكتها أنها تفتح الأبواب المغلقة في وجهي وكنت أحدث نفسي أيضاً: (أيها المعتوه، وكأنك كالكردى الذي يرى لأول مرة في حياته العيران وتُفسّر لنفسك أن كل امرأة أوروبية تضحك معك معناها أنها مباحة لك وتريد منك أن تضاجعها).

القس (ستيفان) ذهب ليُحضر القهوة، اغتنمتُ غيابه لأتحدث معها بلغتي الانكليزية الركيكة، قلتُ لها بأنني مشغولٌ بدراسة الماجستير في علم الآثار، وكذلك أقوم بالأعمال التجارية... لا أدري لم أدركتُ أنها تعرف مسبقاً كل تلك المعلومات عني وعن اعمالي.

قالت لوسي:

- هل تعلم بأنه معروف أن من يشرب القهوة من يد الأب (ستيفان) سيكون بعيداً عن نار جهنم؟

- ومن يشربها أكثر من مرتين؟

- ذلك سيكون من أهل الجنة.

- إن شربت هذا الفنجان، سيكون فنجاني الثالث من عنده.
قالت ضاحكة:

- إذاً ذهابك إلى الجنة مضمون... ثم اكملت:

- حسناً... من أين نبدأ؟

- من الذهاب إلى الجنة؟

قهقهت مرة أخرى وقالت:

- كلا، قصدي العمل.

كنت أفكر بمصير الصولجان وعقد وتاج الملك (دياكو) ويتملكني الخوف من ذلك، فالوضع الصعب في الموصل والحرب الأخوية هنا جعلت من تأسيس متحف قومي مجرد حلم، وافقت (دغدو) على فتح موضوع التاج والصولجان معهم، قلت للقس (ستيفان):

- هذه المرة سأحدث لكم عن موضوع مختلف عن المواضيع السابقة، لدي قطع عمرها يمتد لألفي وسبعمائة سنة وهي تعد ميراثاً قومياً، لا بل ميراثاً لكل البشرية، ومتأكد بأن الزوار في كل مكان من العالم سيقدمون لرؤيتها في المتاحف، هل أنتم مستعدون للحديث في هذا الموضوع أم نؤجله؟

باستغراب شديد كانت (لوسي) والقسان يستمعون إلي، وكأن ما أقوله لهم هو محض خيال وحلم، لكنهم في نفس الوقت كانوا متأكدين بأني قد عثرت على خزينة وكل ما أقوله حقيقة وليس محض خيال... قالت (لوسي) مباشرة لـ(ستيفان):

- ونحن، لم أتينا إلى هنا؟

- أعلم لم أتيتم، لكن هذه القطع مختلفة عن سابقاتها، ولها علاقة بتاريخ شعبي وبني قومي، ووضع بلادنا كما ترون، لا يسمح أن أبقى هذه القطع لدي كثيراً، لكن لتعلموا أيضاً بأني لست مضطراً لبيعها وأستطيع الإنتظار حتى يحين الوقت لذلك.

نظرت (لوسي) إلى (ستيفان) وقالت:

- قُلْ له بأن رأسي يكاد أن ينفجر... أؤكد له بأننا موافقون على الشروط التي

يضعها هو.

- أخرجت صورة التاج والصولجان والعقد من جيبي ووضعتهم أمام (لوسي).
كلما امعنت النظر في الصور أكثر كلما ازدادت غرابة واندهاشاً وهي تتمم بينها وبين
نفسها: (يا إلهي... ماذا أرى؟!)

أتنتي (دغدو): (أحييك... لقد قمت بما يجب فعله، الأخوة عندكم مشغولون
بالمقاتل بين بعضهم البعض إلى أمدٍ غير معلوم، وإن وقعت هذه القطع في أيديهم
فإنهم سيحولونها إلى قطع صغيرة ويبيعونها قطعة قطعة، هؤلاء الجالسون أمامك
سيشترونها وسيحافظون عليها ويبيعونها للمتاحف المعروفة في العالم وستصبح
ملكاً للبشرية وسيراها العالم بأكمله).

وكأن ثلاثتهم ينظرون إلى حيوان أسطوري، يمعنون النظر في الصور بدهشة
وأنا بكل برودة أعصاب أنظر إلى ملامحهم... قالت (لوسي) وهي مضطربة:

- أي أن ما نراه في هذه الصور... موجود لديك؟

- أنا لم أصنع هذه الصور، ثقي بكلامي.

- ماذا تقترح علينا فعله؟

- نرقص ونغني. أود أن أقول لكم، إن أصبحتم أصحاب هذه القطع، فإن
صوركم ستكون على أغلفة غالبية المجلات الأوروبية... أليس كذلك؟

- أترك هذا الآن... متى سنرى هذه القطع؟

- كلا، أتركوا الحديث عنها الآن، لم يحن وقتها بعد، وعندما يحين الوقت
سأجلبها وأضعها أمامكم.

- أي أن هذه المرة لا يوجد شيء؟

- تأكدوا بأن لدي ما يكفي لثلاث أو أربع مرات أخرى، غداً سأجلب لكم بعضها،
لكن بعيداً عن تجارنا، لدي عمل عليكم أن تقوموا به لي، وما أطلبه ليس هنا، بل في
باريس.

- تأكد إن كان لك أي عمل في باريس وإن كنا قادرين على القيام به، فإننا لن
نتوانى عن ذلك.

- هو من أجل فتاة من أقربائي، تزوجت قبل ستة أو سبعة أشهر من شاب
كردي سوري ومقيم في فرنسا. منذ شهر أو شهرين فقدنا الإتصال بها واختفت
قربتنا هذه، وقبل عدة أيام علمنا أن زوجها قد باعها لمجموعة خاصة بتجارة

النساء والدعارة، وتبين أن زوجها باع حتى الآن عشرة فتيات كورديات لهذه المجموعة.

- هل تعرف عنوان ذلك المكان؟

أخرجتُ وصلاً من جيبي وأعطيته لـ (لوسي)، عندما قرأت العنوان قالت:

- أنا أعرف ذلك المكان، وذهبت في إحدى المرات مع أصدقائي إلى هناك،

تصرفاتهم وأعمالهم هذه تدل على أشياء أخرى.

- ما قلته صحيح مائة في المائة.

- حسناً، سنقوم بشيء آخر، هل لديك جواز سفر؟

- نعم، لدي.

- غداً أجب لي نسخة مصورة عنه كي أحصل لك على فيزا إلى فرنسا، ولحين

وصولك سنتابع هذا الموضوع، وأؤكد لك بأنني سأجلبها لك وأضعها أمامك.

- أنا متأكد بأن تلك المجموعة أو النادي لها شبكة واسعة تقوم بهذه الأعمال

غير القانونية هناك.

- سأتابع الموضوع والإستفسار إلى حين وصولك إلى باريس.

خرجتُ من الكنيسة وقررت أن أشتري لـ (لوسي) هدية، رنّ هاتفي، كانت

(شوخا):

- ألن تأتي إلى الكلية؟

- لم أنتِ هناك؟ اليوم لا محاضرات لدينا.

- ليس هناك مكان آخر أذهب إليه، قلت لنفسني كيفما كان سأراك هناك.

- إذاً، سأتي.

- وجدت أن من الأفضل أن أزور والدتي قبل الذهاب إلى هناك، رأيت والدتي

وهي ما تزال في همّ خالتي وابنتها، فقلت لها:

- بعد عشرة أيام سأسافر إلى باريس.

- إلى أين؟

- كما سمعت، إلى باريس، سأذهب لأجل (كوار) وسأعثر عليها.

- أين هي؟ هل هي بخير؟

- نعم، هي بخير ولن أقول لك شيئاً آخر.

- وزوجها؟.

- ما جرى لها من وراء زوجها المأفون ذاك، قولي لخالتي أن (كوارة) بخير وسيذهب سنكر إلى باريس وسيأتي بها إلى هنا، قولي لها هذا ليس الكلام فقط.

- وإن سألت عن زوجها، ماذا أخبرها؟

- قولي لها أنها انفصلت عن زوجها... ألم أقل لك، لا تسأليني أكثر، إلى ان آتي بها إليكم.

وضعت والدتي يدها على كتف والدي، فقال والدي:

- ألم أقل لك لن تصاب بسوء هناك، إنها أوربا، فحتى حقوق العصافير مُصانة هناك، فما بالك بحقوق الإنسان.

ذهبتُ مُسرِعاً إلى كافيتيريا الجامعة، (شوخا) لوحدها جالسة في ركن هناك وتقرأ في كتاب... لم تنتبه لقدمي، ففاجأتها ووقفت أمامها:

- هل تعلم أنك أخفتني؟

- أحببتها وأنا أعني (قتلتني... أحرققتني وتركتني...) هل سمعتِ هذه الأغنية من قبل؟

- وكأني سمعت منك ماذا ستشربين؟

- وهل أستطيع جلب ما تريدينه لك؟

- نعم.

- قهوة، قهوة ذات الثماني عشرة دقيقة، ونجلس هنا... أم؟

- أم ماذا؟

- لا أعلم، لم لا نذهب إلى شقلاوة، ان كان ذلك يناسبك؟

طرقت (شوخا) بإصبعها على الطاولة وكأنها تفكر في الموضوع، وقالت فجأة:

- قم لنذهب... لكن بشرط أن تُسرِع وأنت تسوق السيارة.

خرجنا من الكافيتيريا وسلكننا طريق (بيرمام)، قلت لها:

- أي أغاني تحبين؟

- أغان كردية.

- وأنا لذي أغان كردية.

- أغان هورامية...؟

- لا توجد لدي.

- حسن زيرك؟

- نعم، لدي.

وضعت يدي على فخذيهما، واشتعلت الرغبة في داخلي، قلت لها بهدوء:

- أود أن تعلني شيئاً عني... هل تعلمين أنني إلى الآن لم أمارس الجنس بشكل

كامل مع أية أنثى، أي أنني إذا كنت فتاة، كنتُ سأكون عذراء إلى الآن.

- لا تقل هذا، والذي منحتك إياه... ماذا تسميه؟

- كما قلت لك، إنها الحقيقة... أما زلتِ في الدورة الشهرية؟

- كلا... توقفت.

- أي أنه جاف الآن؟

- منذ أيام... أترك هذا الآن. سمعت أنك كنت في بغداد؟

- ذهبتُ ببعض أعمالتي التجارية وبقيت ثلاثة أيام هناك، بغداد قد تحولت إلى

أنقاض بكل ما للكلمة من معنى.

- لقد كنتَ هناك في عملٍ إذاً، تعال لنقوم بعمل مفيد لكلينا مع بعضنا

البعض... هل انت مستعدٌ لذلك.

- ولم لا...

- ساكون سعيدة بذلك، إسمعي بدقة... في مدينة البصرة، شارع (عشتار) وفي

حي (مناوي باشا) هناك كنيسة قديمة، منسية ومغلقة تماماً من اطرافها الأربعة،

على سطحها باب حديدي، تستطيع من خلاله النزول إلى الأسفل، في محرابها ثلاث

قناطر، القنطرة الوسطى أمامها باب من القرميد، عند فتح ذلك الباب ستجد غرفة

فيها صندوق، ستجد في ذلك الصندوق أنجيل مكتوب على جلد الغزال، وفيه أيضاً

شمعدان سباعي، يعتبر ذلك الإنجيل من أقدم الأناجيل في العالم، إن إستطعنا

الحصول على هذه الأشياء سنصبح أثرياء ونملك من وراءها الكثير من المال.

- اموال كثيرة... كم يعني؟

- لا اعلم بالدقة، لكن لا يقل عن نصف مليون دولار.

- توقفت لبرهة وقلت لها:

- هل أستطيع معرفة من أين حصلتِ على هذه المعلومات وممن؟

- أعددك أني سأقول لك حين يحين الوقت لذلك، هل تستطيع مساعدتي للحصول على هذه الأشياء؟

- ومن قال لك أني جيمس بوند أو شارلوك هولمز؟

- إسمع، هذا اقتراح عمل، إن وافقت سنقوم به، وإلا فهو إقتراح وعرضته عليك وكفى.

- لا أعلم إن كنت أستطيع القيام بذلك، لكن لدي بعض الأصدقاء هناك، إن ساعدوني حينها سنبدأ بالعمل، وإلا فإني لا أستطيع القيام بذلك بمفردي.

- المهم بالنسبة لي، هل ستساعدني في ذلك أم لا؟

- ضرب سنكر يده بمقود السيارة لعدة مرات، ثم قال:

- كما قلت، سأقوم بهذا العمل، لكن ليس الآن.

- رفعت (شوخا) نفسها من على الكرسي وقبلت سنكر، ثم قالت:

- لنعد الآن...

- إلى أين؟

- إلى بيتي وغرفة نومي... كي لا تبقى عذراء وأحولك إلى امرأة...

- إلتفتت إليها ووضعت (شوخا) على فخذي...

- منذ زمن وأنا أصبحت امرأة، أما أنت، إن بقيت عذرياً فسيدفنونك على انك

شهيد...

أود ان امارس ككل البشر حياتي، لكني كلما كنتُ أفكر بما يجري معي وحوالي، لم أكن أصل لنتيجة ترضيني، تظهر أمامي العقبات تلو الأخرى، أستغرب وأقول: كيف يعيش هؤلاء وينساقون كالخراف في المراعي صوب اللا شيء، لم لا أفتنع مثلهم أنا أيضاً؟ أرى بأن كل الأبواب والنوافذ مفتوحة أمامي، كما أرى أن كل نساء العالم يفتحن ما بين أفخاذهن لي وينتظرن إشارة مني، لا أدري بأي حق أستخف بطريقة تفكير العشاق وأضعهم في خانة الضعفاء، هائمٌ على وجهي وأهمل اموراً كثيرة في حياتي. البارحة كنتُ على مائدة ووليمة (الأستاذ)، أشاهد مسرحية الحرب والخلج... واليوم انا على سرير (شوخا) لعدة ساعات وجسدي ملتصق بجسدها، والآن أفكر بشعر (لوسي) الأشقر، حفنة من ذكريات شوارع الموصل والزيبر تتناثر كالرمال في مخيلتي، ورياح الهجران تأخذني إلى البعيد... إذأ، هذا ما يحصل معي...! لم لا أشبع...؟ لم ضللت طريقي هكذا...؟ ألاحظ أنني تغيرت كثيراً.

إنتشلتني (دغدو) بقمهاتها من تلك الأفكار، خفت أن تطول ضحكاتها كما في السابق ليومين او ثلاثة... وقفتُ صامتاً حتى توقفت عن الضحك، ورويداً رويداً بدأت بالكلام:

- أنت غريب بالفعل...!

أسألها عن السبب، لماذا وكيف؟ كنت أعلم بأنها تعرف كل أسراري وتقرأ ما بداخلي، ومؤكدة انها شاهدت ما جرى بيني وبين (شوخا).

بقيت على صمتي حتى قالت هي:

- أمامك معضلة أخرى!.

كنت قد نسيت اقتراح العمل الذي قدمته لي (شوخا) حتى ذكرتني (دغدو)

بذلك العمل وقالت:

- إن أردت القيام بذلك العمل فإن طريقك سالك، لكنه غير سهل.

امعنت بالتحديق في وجهي وأكملت كلامها:

- قصدي ذاك العمل في البصرة.

- إن ترينه صعباً فلم أقوم به؟

- تلك القرارات بيدك أنت، ما عليّ فعله لك هو أن أمهد لك الطريق كي لا تُخطئ.

- تريدين الحقيقة، وأنا لا أعرف لم أحب إنجاز ذلك العمل!..

- صديقك القديم (خميس) تزوّج، ولا يملك شروى نقيير وهو بأمسّ الحاجة لعملٍ كهذا، لكن (شوخا) لم تقل لك الحقيقة.
- أي أنها كذبت عليّ!؟

- لا يجوز أن تضع ذلك في خانة الكذب، لكن للتمويه أرادت أن تقول لك ذلك، تلك ليست بكنيسة بل معبد، والكتاب ذاك ليس بإنجيل، بل كتاب التوراة، تلك التوراة من أقدم النسخ في العالم، وحتى قبل سنوات لم يكن يعلم أحدٌ من علماء الآثار ورجال الدين اليهود بأهمية وقدم تلك النسخة، ولذلك حتى الآن لم يحاولوا العثور عليه. كذلك أود أن تعلم أن (شوخا) صادقة وهي من أم وأب حلبجيين، وجدتها يهودية وتزوجت عنوة بأغا من تلك المدينة، لكن (شوخا) هي من إحدى الأعضاء الفعّالات في جهاز الموساد الإسرائيلي وتعرف (لوسي) تمام المعرفة، وهنّ تعرفن عليك بناء على برنامج مسبق بينهن، فوكالة الاستخبارات الأمريكية C.I.A والموساد يتعاونان في الكثير من القضايا بين بعضهم البعض. ولمعلوماتك (شوخا) تفكر مثلك في كثير من الاحايين وشبقها ليس وليد اليوم أو البارحة، وبسبب تصرفاتها تلك انفصلت عن زوجها ولم تلتزم مع أي رجل ابداً لا في كردستان ولا غيرها، وعدا عن أنها طالبة لكن لديها الكثير من الأعمال تقوم بها.

- أي أن كل ذلك اللف والدوران كان للتمويه من أجل الحصول على تلك النسخة من التوراة؟

- سأحدثك عن تاريخ تلك النسخة فيما بعد، أما الآن سأسرد لك تاريخها الحديث وكيفية وصولها إلى البصرة، في سنوات الخمسينيات عندما بدأت هجرة اليهود إلى إسرائيل، كانت تلك النسخة محفوظة في صندوق لدى أحد الحاخامات اليهود، بدأ هذا الرجل مع عدة أشخاص يهود بالسفر إلى إيران سالكين طريق (خانقين) و (فُرتو)، في طريقهم ذلك، تم الإستيلاء على ما يملكونه من قبل قطاع الطرق، وذلك الصندوق كان من بين تلك الأشياء التي تم الإستيلاء عليها. ذلك الحاخام الذي وقع في مصيدة قطاع الطرق بعث بخبر الاستيلاء على ممتلكاتهم إلى

أحد الحاخامات المتبقين خلفهم في الطريق، وبدوره بدأ هذا الآخر على الفور بالبحث عن الصندوق، وعن طريق شخص يهودي من مدينة (كفرى) واسمه (إلياهو خُزري) والذي يعد صديقاً لأغاوات وبيكوات (كلار) و (قُرتو)، علم من خلالهم أن تلك النسخة من التوراة عند صاحب مكتبة (سيروان عزيز بشتيوان) الذي اشتراها بعشرة دنانير، وهو بدوره قد باعها لجامع تُحف وأنتيكات بمائتي دينار ذلك الزمان. عثر الحاخام على ذلك الرجل واشترى منه النسخة بمبلغ كبير وأخذها إلى كنيسة البصرة، وبحجة تجديد المحراب الداخلي، قام الحاخام ببناء جدار بين القناطر الثلاث ووضع في أوسطها الصندوق وشمعدانين وأغلق المكان بباب من القرميد، بعد وقت قصير، أغلقت الدولة تلك الكنيسة وبنوا جداراً عالياً حولها وأغلقوا الباب الحديدي على سطحها بقفل محكم الإغلاق... ما قلته لك هي المسيرة الجديدة لتلك النسخة من التوراة.

- حسناً، الآن دولة إسرائيل بكل إمكاناتها العسكرية والتكنولوجية، لم إختارت كردي وقروي مثلي لإنجاز هذه المهمة؟

- مازال أصدقاؤك القساوسة مستغربين من الخزينة التي عثرت عليها والأغرب لديهم أنه كيف لكردي قروي لم يز أوروباً ولا يعلم بسوق التُحفيات القديمة ويعلم بقيمة تلك القطع الأثرية التي لديه؟ تلك المعلومات أعطتها (لوسي) للموساد، وإقامة (شوخا) لعلاقة معك ليس عن عبث، وجهازي الموساد والC.I.A يتعاونان فيما بينهما في كل منطقة من العالم.

- الظاهر أن تلك النسخة قد ضاعت منهم، لذلك فإن العثور عليها بات من أولوياتهم ويستعجلون الحصول عليها.

- بعد عبور قبيلة اليهود وعودتهم إلى أرض النبي يعقوب، أصبحوا أتباعاً للنبي موسى، وبعد موت موسى وتفرق الشعب اليهودي، تنقلت هذه التوراة والوصايا العشر من يدٍ إلى يد بين الأنبياء اليهود، من يشوع وحتى شاؤول وصموئيل وداوود والنبي سليمان وإيليا. عندما استولى (نبوخذ نصر) البابلي على أورشليم، قام بنقل غالبية رجالات اليهود إلى مدينة بابل واسكنهم هناك، لكن بعد وقوع مدينة (بابل) في يد (كورش)، أمر بعودة القبائل اليهودية إلى إسرائيل، في طريق عودتهم، ضاعت منهم هذه النسخة في وادٍ بمنطقة ما بين النهرين، بحثوا عنها كثيراً، لكن دون جدوى،

فأرسلوا صندوقاً قديماً مع الوصايا العشر بدون توراة إلى إسرائيل، وأحالوا ضياع تلك النسخة إلى سرٍ من الأسرار الإلهية وكفّوا عن البحث عنها على أنها أصبحت في عداد اللا موجودات، لم يظهر موضوع هذه النسخة مرة أخرى إلا في سنوات الخمسينيات، حيث تم العثور على بعض الكتب والسجلات المنسية وقد ورد فيها الحديث عنها، ومصيرها كما علمت، أستولى عليها بعض قطاع الطرق من الكُرد وباعوها بعشرة دنانير..!

- الآن عرفنا أن تلك النسخة قد ضاعت، ومكانها معلومٌ الآن، وبتنا نعرف قيمتها القومية والتاريخية، وإن حصلنا بدورنا على هذا الشيء الثمين والنادر، ألا ترين بأنه سيُجلب لنا المشاكل وقد نقع في مطبات لا تُحمد عقبها؟

- على حد علمي، قد وضعوا ميزانية لهذا العمل، وهذه الميزانية ليست بمستوى أهمية تلك النسخة... اياك أن تخطئ وتأخذ (شوخا) معك إلى البصرة، هي أعدت نفسها للسفر معك، ومجيؤها معك سيُجلب لك الضرر، لا تأخذها معك.

رنّ هاتفني، كان صوت (شوخا) الناعم... تواعدنا على اللقاء في بيتها. منذ زمنٍ كنتُ على تواصل مع القس (ستيفان) عن كيفية سفرنا إلى باريس وقد بدأنا بكل الترتيبات لذلك... سلكتُ طريق بيت (شوخا) وفور فتحها للباب، رائحة العطر التي انبعثت من شعرها وصدرها، جعلتني أنسى التوراة وباريس والقس ستيفان وكل تلك الأمور...

سحبتي فوراً إلى غرفة النوم، وكشاة أليفة مشيت وراءها... بدأت تنزع عني ثيابي بكل هدوء حتى بثُّ عارياً تماماً، بعدها نزعَت ثيابها وحتضنتني بكامل عُرقها، فجأة سمعنا طرقةً على الباب، توقفت متوجساً، إلا أن (شوخا) لبست فستانها وفتحت الباب، طفلٌ في السابعة من عمره، قد وقعت كرتة من الشارع إلى حديقة المنزل، عادت إلى حضني مرةً أخرى، وللحظات كنا ممددين وهالكين بجانب بعضنا البعض.

- لم تُقل لي، متى نذهب إلى البصرة؟

- هل تمزحين؟

- ألم نُقرر ذلك، أم كنا نلعب؟

- إسمعيني جيداً، تلك الكنيسة تحولت إلى أنقاض، وليس من السهل الوصول إليها، أما أنتِ فلا توجعي رأسك بهذا الموضوع، فذلك العمل ليس بتلك السهولة كما تتوقعين، فخطأً صغير قد تكون عاقبته الموت... فهذه الحكومة تقتل الناس على اللا شيء، فكيف إذا وقعت وثيقة بيدها.

- أتتوقع أن يُلقى القبض علينا وتكون نهايتنا في سرقة تلك الكنيسة؟
- (شوخاً)... لا أود الحديث الآن في هذا الموضوع، وعند عودتي من باريس سنتحدث عنه بإسهاب.

- باريس؟

- نعم، باريس. لدي قريب هناك وقع في مشكلة وسأذهب لأجله، عساي أحرره مما هو فيه.

- حسناً، أنت لا تُجيد اللغة الفرنسية، وليس لديك معارف هناك، وستذهب ألى باريس... كيف ستقوم بذلك؟

- لستُ وحدي، معي أصدقاء وأُجيد بعض الإنكليزية.

- هل ستطول سفرتك؟

- لا أعلم، لكن كما ترين أنا أيضاً طالب مثلك وعليّ العودة بسرعة.

- متى ستسافر؟

- غداً...

لم أكن قد رأيت الطائرة في حياتي إلا في السماء، وأخاف منها حتى وهي في علوها الشاهق، أنظر إليها خفية حتى أرى من أين تلقي القنابل على الأرض... والآن أنا على متنها مع القس (ستيفان)، من أمد إلى اسطنبول ومن هناك إلى باريس... داخل الطائرة مدينة بأكملها، ففيها مقهى ومطعم والكثير من الأشياء الأخرى... إذا كانت الطائرات هنا بهذا الشكل، فكيف تكون في البلدان الأوروبية المتقدمة. لم يكن القس (ستيفان) ذكياً إلى ذلك الحد الذي يقرأ فيه أفكار الغير، لكنه قال لي:

- الظاهر أنها المرة الأولى التي تركب فيها الطائرة؟

- ولم أرها عن قرب حتى، فقط رأيتها في السماء.

- سنقضي بضعة ساعات في مطار اسطنبول وغداً الساعة السابعة صباحاً سوف نطير إلى باريس.

كنت مندهشاً ومستغرباً، كيف تغير النقود والمال الأنفس، كثيرٌ من الأمور أصبحت كعادات رائجة، فيما أن أكون مثل هؤلاء الناس أو أبتعد عن هذا الوسط كله... لم أكن اعرف مسبقاً عادات وتقاليد هذه المجتمعات الجديدة علي، كنتُ كالأبله وسط تلك الحشود، أنظر إلى حركاتهم وتصرفاتهم. هناك الكثير علي أن أتعلمه، حتى الآن لا أعرف أن أكل بالطريقة الحديثة، كيف أُمسك بالشوكة والسكين على مائدة الطعام، أسلوب احتساء الشراب، طريقة التعامل مع النساء في قيامهن وجلوسهن، طريقة لبس المعطف، ركوب السيارة، وحتى طريقة الجلوس ووضعيات الأرجل، أية ألبسة علي ان ألبسها وفي أي فصل من السنة، وأي لون من الألوان علي أن أختار... عندما صبّت لي (شوخا) الشراب ذي الثمانية عشر عاماً، احتسيت كأسى برشفة واحدة، وهي تعلم أن أمامي الكثير لتعلمه ولا أعرف اتكيت شرب الكحول إلا على طريقي، أمد يدي إلى أي شيء من حولي أجده جديداً علي، لم اختبره من قبل، على متن الطائرة وضعوا علبة أمامي، كنت أخاف لمسها وأحس القس (ستيفان) بترددى ذاك، فقال:

- لا عليك، فقط قلدني فيما أفعل.

عملت بنصيحته... ما أثار انتباهي في مطار اسطنبول، حشود الناس وهم مسرعون في تحركاتهم، يتخبطون يميناً وشمالاً، يحملون حقائبهم في عجلة من أمرهم، اناسٌ من كل الأجناس والألوان... وأنا الكردي، ماذا رأيت في حياتي؟ ليس فقط الكرد، بل العرب أيضاً لم يكونوا بأحسن حالٍ منا، فلم نعرف غير الحروب وحكم الفرد الواحد الأوحده الذي يلعب بأقدارنا جميعاً، كنت اتصور أن الشعوب الأخرى يقضون حياتهم مثلنا أيضاً وأنهم ليسوا بأفضل حالٍ ... ها هي بلادنا تحولت إلى كومة من الخراب، والآلاف، لا بل الملايين يدفعون الضريبة، ليتني اعرف لم قامت كل تلك الحروب، ولأجل ماذا؟

- هل تعلم بأننا يجب أن نبقى هنا حتى الساعة السابعة صباحاً؟ أي عشر ساعات أخرى..!

- كيفما كان سنقضي هذا الوقت، الكرد لهم مقولة وهي: حتى وإن لم يكن هناك ديك فالنهار لا بد أن يطل.

- ألسنت جائعاً؟

- حالياً لا، ولا يوجد شيء نتلّى به، كطاولة دومينو مثلاً... ما رأيك بشرب

القليل من البيرة؟

منظر شيق أن ترى قساً بزيه الرسمي والخاص وأنا وكأني من اتباع الكنيسة والفاتيكان ونحتسي البيرة سويةً ... القس (ستيفان) لا يشرب شيئاً عدا القهوة، وأمامنا الكثير من الوقت حتى نطير إلى باريس، وحتى ان غلبنا النعاس، يتوجب علينا أن ننام على كراسي الانتظار، قلت للقس: سأذهب وأتجول في هذه الأنحاء قليلاً.

قمت ومشيت هناك، ما لفت إنتباهي هو تدافع الناس، والبعض الآخر متعب من السفر، واضعين رؤوسهم على أكتاف بعضهم. مخازنٌ جميلة، وأغلب من يديرها فتيات يافعات في مقتبل العمر، وأنا المحروم الذي لم تعجبه إلى الآن أية واحدة منهن، نزلت إلى الأسفل وعدت إلى القس مرة أخرى، كان التعب بادياً عليه وبسبب البزة الرسمية التي يرتديها خجل من النوم على الكرسي... نظرت حولي وأكملت مسيري في تلك الأنحاء، أود أن أرى النساء فقط لا الرجال، فتاة تمشي بالقرب مني حتى وصلت محاذاتي، تقابلت نظراتنا، لا أدري ربما محض صدفة أننا دخلنا سوية

إلى مخزن واحد، أشغلت نفسي بأبني أنظر إلى بضاعة المخزن... حملت الفتاة قنينة
عطر مكتوب عليها (جيفنجي) وقرّبتها من أنفها، قلت لها بما أجيد من الإنكليزية:

- هل أعجبتك؟

هزّت كتفها وبلا مبالاة قالت:

- كلا، فقط أردت أن أشمها.

- من أين أنت؟

- برأيك سأكون من أين؟

- لا أعلم، من دول الشرق الأدنى... أليس كذلك؟

- أنا كورية، من كوريا الجنوبية.

- ما رأيك بشرب فنجان قهوة؟

نظرت إلى الساعة في معصمها وفكرت قليلاً ثم قالت:

- لم لا.

لم أكن قد رأيت أحداً من العرق الأصفر إلا في الأفلام السينمائية... تذكرت

(بروسلي) فوراً وقلت لنفسي:

- إنتبه أيها المعتوه... فهؤلاء يخرجون من بطون امهاتهم وهم يُتقنون فنون

الكاراتيه...

جلسنا سوية لاحتساء القهوة... قالت لي:

- لم تقل... من أين أنت؟

_ أنا من كردستان، ونحن شعبٌ ذقنا الولايات والأمريين، قتلوا الآلاف من

النساء والأطفال الكرد، لكنها قالت بأنها لم تسمع بدولة إسمها كردستان ولا تعلم

أي شيء عن هذه المجازر التي حصلت، حتى قلت لها بأني عراقي... حينها قالت:

(إيران)؟

- كلا، إيراك، بغداد.

- أها، بغداد... علي بابا... ميزوبوتاميا.

أدركت أن ملحمة ألف ليلة وليلة مشهورة أكثر من التصريحات والشعارات

السياسية وما خلفته من دمار، وحتى من النظريات التي وصلتنا منذ عهد آشور

بانيبال ونبوخذ نصر. فهمت من الفتاة أنها مصممة أزياء وستخضع لدورة لمدة شهرين في شركة كريستيان ديور بباريس.

- وانت، ما هو عملك وإلى أين تسافر؟

- أنا تاجر، وغداً الساعة السابعة صباحاً سأسافر إلى باريس.

- أي أننا سنكون على متن طائرة واحدة... ما اسمك؟

- سنكر.

وضعت يدها على صدرها وقالت:

- أنا إسعي (لي وان) وكتبت لي رقم هاتفها في باريس على ورقة.

كان التعب بادياً على وجه (لي وان)، لذلك قلت لها:

- أنت متعبة؟

- أتيت عن طريق كازاخستان وأصبح لي يومان وأنا في الطريق.

تذكرت جنكيزخان وهولاكو، قطعوا كل تلك الطريق بالأحصنة حتى وصلوا إلى

بغداد وقاموا بتدميرها... ما أشبه اليوم بالأمس.. فالدكتاتوريون الحاليون ليسوا

بأقل من هولاكو ذلك الزمان... نظرت (لي وان) إلى ساعتها مرة أخرى وقالت:

- بقي لنا ساعتان فقط.

- أنا معي صديق، عليّ أن أذهب إليه.

قمت وتوجهت إلى القس، وجدته جالساً على كرسيه السابق، قال لي:

- هل تعلم أنني قلقْتُ عليك، على أي حال، لم يبق أمامنا الكثير، لنذهب إلى

مكان التذاكر كي نعرف أماكننا وأرقام مقاعدنا في الطائرة.

بدا القس مرتبكاً وتعباً جداً، يخطو خطواته بصعوبة وثقل، عندما جلسنا

في الطائرة، كان كرسي (لي وان) خلفنا في الصف الرابع من الكراسي، من مكبر

الصوت أعلنوا أن الطائرة ستكون في تمام الساعة الحادية عشرة في مطار أورلي

بباريس.

قال القس (ستيفان):

- سأحاول النوم قليلاً.

إنه برتُّ بالنظر إلى ما حو لي... للمرة الأولى أرى البحر في حياتي، أنظر من النافذة

مستغرباً كيف تجمعت كل تلك المياه على الأرض؟ أحياناً انظر صوب (لي وان)،

كانت قد أغلقت عينيهما، تعالَى صوت شخير القس بجانبى، وفى تمام الساعة الحادية عشرة هبطت طائرتنا فى مطار اورلى بمدينة باريس.

فور خروجنا من مكان التفتيش وتدقيق جوازات السفر والجمارك، أشار شخص كان بانتظارنا للقس وتبعناه بدورنا.

- إلى أين نحن ذاهبون؟

- لقد حجزوا لنا فندقاً... أأست متعباً؟

- قليلاً.

- الساعة الثامنة مساءً لدينا موعد مع (لوسى)، سنرتاح من تعب السفر إلى ذلك الوقت.

اسم الفندق (بليموند) ويعد من أقدم الفنادق فى المدينة، ويطل على شارع شانزليزيه المعروف، أردت النوم لكى لم أستطع السبيل إليه، فى هولير كنت قد خيطت بدلتين رسميتين عند الخياط خضر، لكى ارتأيت أن أشتري أطقماً جديدة من المحلات الباريسية، لبست إحدى تلك الأطقم وخرجت من الفندق، أنظر إلى اللوحات والشارات المعلقة فى الشوارع وأحفظ ألوانها كي لا أتيه، إشتريت أربع أطقم جديدة وعدت فوراً إلى غرفتى فى الفندق، أردت تشغيل التلفاز لكن دون جدوى، لم أعرف تشغيله، أردت شرب كأس شاي أو طلب فنجان قهوة، لكى لم أعلم أى رقم أطلب فى هاتف الغرفة... نحن خريجو ثقافة هشة، زمن هش، زمن الدكتاتوريات، وإلى ما شاء من المسميات الأخرى... لا أدري كيف باغتني النوم، استيقظت على صوت طرق الباب، رأيت القس (ستيفان) لابساً طقمماً انيقاً وبحلته الجديدة تلك واقفاً على الباب:

- إلبس ثيابك وانزل، سأنتظرك هناك.

لبست ثيابى بسرعة ونزلت، لم يمض وقت طويل حتى ظهرت (لوسى) بمشيئها الناعمة، عندما اقتربت منا، قبلتني من خدى وقالت:

- الآن سنكر فى باريس... كيف رأيتها؟

- إلى الآن لم أر شيئاً.

- سترها بشكل جيد وتعود سعيداً من سفرتك هذه... لنتحدث فى موضوعنا، تلك المعلومات التى قلتها لي عن تلك المجموعة التى تتاجر بالنساء، تبين أنها تتاجر

بالمخدرات وتقوم بأعمال مشبوهة أخرى، وكل تحركاتهم وأفعالهم الآن تحت مراقبة دقيقة من قبل البوليس الخاص وقوات مكافحة الإرهاب والانتربول، ينتظرون لحظة الصفر لاقتحام المكان واعتقالهم... الليلة سنزور ذلك المكان.

ربتت على كتفي بيدها وأضافت:

- لا تقلق، كل شيء تحت السيطرة وقريبتك تلك ستعود معك إلى ديارها، إن كنتم جائعين لنذهب ونأكل شيئاً هناك؟.

أردت الركوب في الكرسي الخلفي للسيارة، لكن القس (ستيفان) أصرّ كي أركب في الكرسي الأمامي، كانت (لوسي) تقود السيارة بحرفية، قطعنا عدة أحياء وظهرت أضواء برج إيفل تشق عنان السماء، اخفيت دهشتي بذلك المنظر البهي. وضعت (لوسي) كاسيتاً في مسجلة السيارة (برزي... برزي... برزي) وقالت ضاحكة:

- إشتريته هذه المرة من هولير.

المكان المحدد كان قريباً من كاباربه (مولن روزدا) الواقع في حي (بيكال) المعروف في المدينة، رجلٌ ضخّم الهيئة يقف على بابٍ هناك، أتتني (دغدو) وقالت:

- أترى ذلك الرجل الضخم، إن روح خالد بن الوليد في جسده...!

كدتُ أضحك من كلامها، لكنني اخفيت ابتسامتي ومشيت خلف (لوسي) حيث جلسنا في ركن من ذلك المطعم. قالت (لوسي):

- ماذا تحب ان تشرب؟

- الجعة.

هم بدورهم طلبوا النبيذ الأحمر... عندما أتى النادل، صبّ قليلاً من النبيذ لـ (لوسي)، بدأت تمزّمز بشفتيها على حرف كأسها وترتشف رشفات صغيرة منه، فهي ليست مثلي حيث أنني الكأس برشفة واحدة... القس (ستيفان) كان أقرب إلى مندوب لإحدى الشركات منه إلى قس... كنا ننظر ثلاثتنا إلى ما حولنا، الرجل الأسود الضخم الجثة عند ذلك الباب اثار انتباهي... قلت لـ(لوسي): (ذلك الباب...)

- كيف تعرف هذه المعلومات؟

- رأيت ذلك في منامي، وأحلامي لا تخطيء.

- إنه كذلك... الطابق الثاني... بداية يعرضون فيديو للنساء العاريات للزبائن، ثم يختار الزبون إحداهن، يعطونه رقم الغرفة، وكل الغرف البقية تكون تحت مراقبة الكاميرات في قسم المراقبة، لا تقم بما تريده الليلة واتركه للغد...
الناس يرقصون في قاعة المطعم... امسكتني (لوسي) من يدي وقالت:
- تعال لنرقص قليلاً.

- لكنني لا أجد الرقص، فأنا لم أرقص من قبل...!
- لا يهم، حرك جسمك فقط، فهذا هو الرقص، ولا أحد هنا ينتبه للآخر.
كل من في القاعة منهمك بالرقص، وجهه (لوسي) بدا محمراً من تأثير النبيذ، كنت أشعر بحرقه أنفاسها وحرارة يدها على ظهري، من كثرة نعومة ذلك الجسد خفت أن تذوب بين يدي ككرة ثلج، هي تُدرك خفايا نظراتي إليها وما يعتريني تجاهها، حدقت في عيني و امعنت في النظر. ثم قالت:

- منذ أن كنا في هولير، وأنا أعلم أنك تريد أن تشاركني السرير... أليس كذلك؟
انذهلت من جرأتها... كلا... أحلف لك... لكن بدون فائدة، لذلك قلت لها
الحقيقة:

- الظاهر أنك تعرفين لغة العيون... نعم، أنت محقة، وهي ليست جريمة.
- دعني أكن صريحة معك أيضاً، أنا أرغب في النساء ولا أتأثر كثيراً بالرجال وأرى صعوبة جمة في مشاركة السرير معهم، فقبلت من شفاه امرأة لدي تضاهي قبلات مائة رجل.

- إذاً، ماذا ستفعلين معي؟
قهقهت (لوسي)... هذه باريس... أشارت إلى الباب الذي يحرسه ذلك الرجل
الأسود الضخم وقالت:

- غداً مساءً تستطيع أن تُقضي وقتك هناك، تأكد أنني إن كنتُ قادرة لمنحك ما تريد، لكنني لا أستطيع ذلك، وان كنت ترغب في ذلك تستطيع الذهاب الآن إلى ذلك المكان وتختار إحداهن ونحن سننتظرك هنا.

- كلا، ليس إلى هذا الحد، الرغبة عندي شاعرية ولا أرضى بأي امرأة كانت.
- إذاً، ارسم خط ممنوع الإقتراب حولي، فأنا لا أحبذ الممارسة الجنسية مع الرجال... هذه طبيعتي وعادتي، وطبعاً، هذا الشيء لا يغير من مكانتك لدي.

- إن أتيتِ إلى هولير، سأعرفك على امرأة هناك.

- وهل هناك نساء مثلي يقمن بذلك هناك؟

- تعالي وستين.

عدنا إلى طاولتنا، القس قد شرب أكثر من ثلاثة كؤوس من النبيذ.

- غداً لدي عمل أقوم به، سأبعث لكم سيارة مع سائقٍ خاصٍ لكم، و(ستيفان)

يعرف معالم المدينة مثلي، وسنلتقي في المساء.

- إذاً، حان وقت النوم.

في الصباح نهضت باكراً قبل (ستيفان) وبدأت فطوري في المطعم الذي يقع

أسفل الفندق، أتى القس وجلس بجانبني وقال:

- ألا يلزمك أي شيء أجلبه لك؟

- صراحة، لا أعرف كيف يعمل جهاز إعداد القهوة هذا...!

خرجنا من الفندق، السائق نفسه الذي أخذنا من المطار، بدايةً زرنا برج إيفل

وذهبنا إلى كافيتريا في حي الشانزليزيه، هناك ترى أناساً من كافة الأعراق والأجناس في

ذلك الحي... بدوري، كنت متحمساً لحلول المساء كي أذهب إلى (كواره)... هل

سأستطيع إنقاذها وأخذها إلى والدتها؟!..

مساءً، أتت (لوسي) برفقة امرأة أخرى، وفور جلوسها قالت:

- ها، يا زير النساء، إلى أين تنظر؟ هذه أنا وهذه صديقتي... ومثلي..!

- أهي جريمة؟ فالله يحب الجمال، وهل النظر حرام؟

- إذاً، سأدعوك يوماً إلى النادي الخاص بنا، ستري العجائب عن كيفية حياتنا

هناك، سأترككم هذا المساء، لكن، قل لقريبتك تلك ألا تُظهر أمامهم أنها تعرفك.

تركتنا (لوسي) وخرجت، بقينا أنا و(ستيفان)، وكالبارحة ذهبنا إلى نفس المطعم

وجلسنا في ركن هناك، لهونا بالشرب قليلاً، وفجأة قمت وتوجهت صوب ذلك الباب،

وضعت خمسمائة يورو على الطاولة، فقامت إمراة بوضع ألبوم صور على جهاز

الكمبيوتر وتم عرض الصور على شاشة تلفاز كبيرة، ظهرت (كواره) بجسدها العاري

امامي، اخترتها وقلت لها:

- حسناً، إلى أين أذهب؟

أعطتني بطاقة مكتوب عليها الرقم (٨) وقالت:

- الطابق الأول، الغرفة رقم (٨).

خرجت من عندها وتوجهت إلى الطابق الأول وعثرت على الغرفة المجددة بسهولة، طرقت الباب، فتحت (كّوارة) الباب، وضعت سباتي على فيمي في إشارة مني ألا تتكلم، إستغربت (كّوارة) من قدومي أيما استغراب، كاد أن يغى عليها وبدأت ترتجف بشدة، أمسكتها من يديها وبدأت أفرك يديها وكتفها حتى هدأت... نزعنت ملابسي حتى بتُّ عارياً تماماً، ونزعنت عن (كّوارة) روبها الشفاف ومددتها على السرير وقمت بوضع شرف فوقنا ووضعت فيمي على أذنها قائلاً لها:

- لا تقولي شيئاً، أتيت لإنقاذك وتأكدي بأني سأخرجك من هنا..

لأنني اعرف أنهم يصورون كل حركاتنا، تصنعت القيام ببعض الحركات الجنسية و(كّوارة) ترتجف بشدة تحتي، قلت لها مرة أخرى هامساً في أذنها:

- أمهليني يومين فقط، سأذهب الآن، وما تفعليته مع غيري افعليه معي أيضاً.

ألقيت الشرف جانباً وقمت متعباً ولبست ثيابي، و(كّوارة) توجهت إلى

الحمام...

خرجت من الغرفة وبنفس الطريقة، عدت إلى (ستيفان) الذي قد شرب كأسين من النبيذ، من كثرة تعبي وحالتي النفسية تلك، أردتُ الخروج من ذلك الجحيم... قال القس:

- أنا سأذهب وسأعود بعد ساعتين...

حاولتُ نسيان نظرات (كّوارة) وأنفاسها المتقطعة وخوفها وشفاهها المزرقّة...

لكن دون جدوى...

صباحاً، وفي تمام الساعة العاشرة، أتت (لوسي) وأخبرتني:

- سيبدأ الهجوم على المكان اليوم الساعة الثانية عشرة ليلاً، هل رأيت

قريبتك؟

- نعم رأيتها، هي بين الحياة والموت.

- تأكد بأنهم سينالون جزاءهم... بقي القليل لهم.

كل النساء هناك عددهن ثمانية عشر، جعلوهن يُدمنَّ على الهيروين، وإن إنقطعن عنه يوماً واحداً ستسمع صراخهن يصل عنان السماء، سيتم أخذهن من

هناك إلى المستشفى فوراً لعلاجهن من الإدمان وجهزوا لهن جناحاً خاصاً لذلك...
قالت لوسي:

- أنا ذاهبة وسأعود إليك في الساعة الثانية عشرة.
رويداً رويداً تعرفتُ على الأمكنة في حي الشانزليزيه، وكنت قد سمعت بصيت
وشهرة مطعم (فوكيه) وأردت الذهاب إليه، قال (ستيفان):
- إذاً، أجلس أنت هناك وسأعود إليك أنا أيضاً بعد ساعتين.
أنظر بين الفينة والأخرى إلى ساعتى، كأنّ عقارب الساعة اللعينة تأبى الدوران.
هكذا، يمر الوقت بطيئاً جداً.

رأيتُ من الأفضل الإتصال بـ (لي وان)... قالت: (أين أنت؟)

- في الشانزليزيه، مطعم فوكيه، إن إستطعتِ المجيء تعالي.
- أنا قادمة.

لم يمر الكثير من الوقت حتى أتت، حضناً بعضنا البعض وكأن أحدا يعرف
الآخر منذ سنين، فتحنا قائمة المأكولات والمشروبات، كان مكتوباً بالفرنسية ولم
أكن أجيدها، فوكلت المهمة لـ (لي وان) وطلبت بدورها لنا الأكل الذي بدأناه بالنبيذ
الأحمر، ظهر القس (ستيفان) من بعيد وتوجه إلي قائلاً:

- أنت تعرف طريق العودة إلى الفندق، أليس كذلك؟

- لا تخف عليّ.

- إذاً، أنا ذاهب وسنرى بعضنا قبل الثانية عشرة.

إحتسينا بضعة كؤوس من النبيذ وتناولنا الطعام بعدها، ثم قلت:

- ليس لديكِ عمل الآن؟

- كلا، معي وقت حتى الساعة الخامسة.

- إذاً لنذهب إلى غرفتي في الفندق، إنه قريبٌ من هنا.

هزت كتفها وقالت: لنذهب.

فور وصولنا إلى الغرفة، وكأفلام الكارتون تعرّينا فوراً، تمددت بجانبى بكل
نعومة، عدا شعرها الأسود وحواجبها، لم تكن ترى شعرة واحدة على جسدها، بدا
جسمها ناصعاً كبياض البيض، وفي الحقيقة أنها شبقة أكثر منى. أمامي الكثير من
الوقت وبقينا لساعات مع بعضنا ولم أكن أريد منها الذهاب، فقلت لها:

- أتستطيعين البقاء؟ أود أن نكون مع بعضنا لوقت أكثر.

قفزت بجسمها الطري علي ونظرت إلى ساعتها:

- أستطيع البقاء معك حتى الساعة التاسعة.

شكرتها بتقبيلها من شفيتها.

تعبنا كلانا وداهمننا النعاس، عند استيقاظنا من النوم، توجهنا سوية إلى الحمام. ساعتي الكسولة بدأت بالدوران بسرعة، لبسنا أنا و(لي وان) ثيابنا وتواعدنا على اللقاء غداً.

عندما خرجت (لي وان)، كنت بدوري تعباً ومنهكاً، لذلك لم أستطع الخروج وبقيت في غرفتي حتى جاء كلٌّ من (ستيفان) و (لوسي).

الساعة الحادية عشر نزلت من غرفتي، وبعد برهة أتى القس أيضاً وبعده أتت (لوسي) التي انشغلت بمكالمة هاتفية انتظرناها حتى تُكمل مكالمتها، لم تفصح (لوسي) بكل المعلومات على الهاتف، فقط كانت تقول: نعم... نعم... نعم، والنتيجة انتهت بابتسامة قالت:

- إنتهت العملية وقُتل إثنان من المهربين وكل النسوة سالمات وتم اعتقال كل مهربي الهيروين.

- متى نستطيع رؤية النساء؟

- من الصعب ذلك الليلة... غداً الساعة التاسعة صباحاً سنذهب لرؤيتهن، لا تقلق أبداً... إلى اللقاء.

في تمام التاسعة صباحاً أتت (لوسي) وبدون أن تجلس قالت:

- لنذهب... هل تعلم أنك جعلت أكبر شبكة دعارة ومخدرات تقع في يد القانون؟ فقط قل لي، من أين أتيت بكل تلك المعلومات عنها؟

- من عند الله..!

- أنت تمزح معي؟

- كلا بكل تأكيد، قريباً سأقول لك، فقط أمهليني بعض الوقت.

وصلنا إلى المستشفى المكان من الجهتين تحت حراسة الكوماندوز. أخذتني (لوسي) فوراً إلى غرفة كانت (كوارة) ممددة على سرير فيه. عند رؤيتها لي بدأت

بالنحيب، دموعها تهمر على وجنتيها كأقطار الربيع، نهضت ن سريرها واحتضنتني
قالت وهي تجهش بالبكاء: هل رأيت ما جرى لي، أكنت أستحق كل ذلك؟
- منذ زمن وأنا أعلم بما جرى معك. الآن إنتهى الأمر وبعد أيام سأخذك إلى
الوطن...

عادت خطوتين إلى الوراء... الوطن؟ بأي وجهٍ سأعود، كنتُ مباحة للرجال
ليلاً نهاراً... إن قطعني إرباً إرباً لن أعود أبداً... سأقتل نفسي ولن أعود.
- حسناً، إهدأي الآن، لن يحصل إلا ما تريدان، أؤكد لك، سأفعل لك كل ما
تريدينه وان وافقتِ فسنتزوج.

- كلا يا سنكر، كل الرجال أصبحوا كالوحوش أمام عيني، لا تعلم ما فعلته معي
تلك الوحوش القذرة.

هدأت (كّوارة) قليلاً... وأخرجت (لوسي) صورتين من حقيبتها وقالت لي:

- هل تعرف (كّوارة) أحداً من هؤلاء؟

حين نظرت (كّوارة) إلى إحدى الصور حتى صرخت بأعلى صوتها وقالت:

- هذا من وضعني في هذا الجحيم... ذلك العاهر.. إنه زوجي.

قالت (لوسي):

- قُل لها بأنه في الجحيم الآن... لقد قُتل البارحة.

رفعت (كّوارة) يديها إلى السماء تشكر الله على المصير الذي حاق به.

- كّوارة، عليكِ البقاء في المستشفى لمدة أسبوع على الأقل تحت العناية الطبية،

فأنتِ تعلمين بأنهم جعلوا منكِ مدمنة مخدرات.

- أرجوك، أريد أن يكون الاطباء الذين يشرفون على علاجي من النساء، لا أطيق

رؤية الرجال.

قلت لـ (لوسي) طلبها، فقالت بدورها:

- سيكون لها ما تريد.

- ما حدث قد حدث، وأنا بدوري سأتناقل عليكم بزياراتي اليومية.

اقتربت لوسي من كّوارة، وأمسكت بياقتها وخرجتا من الغرفة وبعد برهة عادتا.

الحديث الذي دار بيني وبين (كّوارة) ترجمته كله لـ (لوسي)، لذلك قالت:

- أنا لا أجد أية مشكلة في بقائها، الدولة الفرنسية مجبرة على منحها الإقامة والراتب الشهري، فهي ضحية لتلك الشبكة.. وأنا معها تجاه ذلك الحقد على الرجال... لنترك هذا الآن ونعد إلى عملنا.

- أرى من الأفضل أن نترك الحديث عن العمل إلى حين وصولنا إلى هولير... نسيت... لقد جهزت لك هدية ثمينة...

- أشكرك، لكنني أرى من الأفضل أن نفتح لك حساباً مصرفياً هنا ونضع لك فيه عربون التاج والصولجان والعقد.

- تريدان الصراحة، تلك القطع أراها مكتسبات تاريخية وقومية، وبرأيي الحفاظ عليها أهم من النقود.

- ونحن أيضاً نقدر قيمتها التاريخية. دعني أقول لك الصراحة، عندما نشترها منك، هناك خياران أمامنا، إما أن ندخل في حوار مع إحدى المتاحف العالمية الكبرى، أو نضعها في المزاد عند كبار بائعي التحف مثل (كريستي و ساوس بي). لذلك تأكد بأن أكثر من نصف مليون دولار سنضعها في حسابك كعربون.

توقفنا قليلاً عن الكلام، وبقيت صامتاً بدوري... حتى أتتني (دغدو) وقالت:

- قم بذلك ولا تخف... ليكن العربون مليون دولار.

قالت لوسي:

- ها... ماذا قلت؟

- حسناً، سنقوم بذلك. لكن، ليكن العربون مليون دولار.

- نحن واثقون بك تمام الثقة، إن أردت سنعطيك النقود ونضعها في يدك؟

- كلا، لكن من أجل السعر النهائي للقطع، أرى أن نتفق عليه في هولير.

كانت (لوسي) تقود السيارة، مدت يدها لي وقالت:

- أعطني يدك!!

القس (ستيفان) إلى ذلك الوقت صامتٌ ينصت لحديثنا في الكرسي الخلفي...

صفق بيديه وقال:

- ولم لا تقبلينه؟

- ومن قال أنني أرضى بالقبُل؟

- لا تتناقل أكثر... سنرضيك بما هو أقل من ذلك أيضاً... لم تُقل لي، ماذا قررت بشأن كوار؟

- القرار قرارها... لا أعتقد أنها تستطيع العودة، ففي بلادنا تقتل مئات النسوة على قُبلة... وإن عادت فإن قصتها يوماً بعد يوم ستكون على كل لسان وستقتل يوماً، وللتغطية على ما حدث لها عرضتُ عليها الزواج مني، رغم اني لم أرض بذلك عندما كانت فتاة وفي بيت أهلها.

- إفعل ما تستطيع فعله لأجلها.

- إن وافقتِ على أن تكون تحت أنظارك وتنتهين لها، حينها سيكون بقاؤها هنا أفضل.

- هذه الفتاة جرى ما جرى لها هنا في فرنسا وبسبب شبكة دعارة فرنسية، وبحسب القانون الفرنسي، فإن الدولة ملزمة على منحها الإقامة والراتب الشهري والدواء والعلاج كله، انت، إلى أي حد تستطيع مساعدتها، فكما تعلم أن الحياة هنا صعبة وفي البداية ستكون بحاجة إلى بعض المصاريف.

- أنا لا أعلم... أنتِ ضعي مبلغاً وأنا سأدفع.

- إن منحتها بداية عشرة آلاف دولار أو إثني عشر ألفاً شهرياً حوالي الثمانمائة دولار فإنها ستقضي حياتها بدون أية مشقة .

- بداية سأخصص لها عشرين ألف دولار شهرياً ألف دولار... ما رأيك؟

- ممتاز جداً... وهل تسمح لي أن أجرّها بين الحين والآخر إلى فراشي؟

- بداية جرّيني أنا إلى فراشك، حينها إن رضيت هي، فهي مباحة لك.

- سأخذك يوماً إلى نادينا الخاص، حتى ترى أن علمنا ألد من عالم الرجال.

- هل مسموح أن أجلب صديقة معي؟

- يا ابن الحرام، الظاهر أنك بدأت... بشرط إن عُدت تتركها لي.

- إن بقيتُ بانتظارك، كنت سأعود إلى بلدي بخفي حنين.

- إن عدتِ إلى بلدك، إتصل بها لتعرف ما حصل معها، ولا تحزن كثيراً... لدينا

الكثير... الليلة الساعة الحادية عشرة سأتي لأخذك.

رأيت من الأفضل أن أخبر والدتي خبر عثوري على (كوار) فقد تركت هاتفني

الثريا عندها... إتصلت بها، ردّ والدي، فقلت له:

- هل والدتي عندك؟
- نعم، هي هنا، تفضل وتكلم معها.
- قالت والدتي: ألوووو...
- قلت لها على الفور: لقد رأيت (كواراة) وهي بخير.
- وزوجها؟
- الظاهر أنهم لم يتأقلموا مع بعضهم، لذلك انفصلت عنه.
- إن كان كذلك عد بها معك إلى هنا.
- قد لا تستطيع المجيء الآن، لأنها مشغولة بأوراق إقامتها، وغداً سأحاول أن تكلمها وتسمعي صوتها وقولي لخالتي أنني عثرت عليها...

- وأخيراً قررت أن تشارك في ذلك العمل

- أي عمل؟!

- الذهاب إلى البصرة من أجل الإنجيل.

- قررت، لكن سأقوم به بطريقتي.

- حسناً، متى نذهب؟

- نذهب؟ كلا، بالطريقة التي تقولين عنها سوف تواجهنا المشاكل. أنت لا

تعلمين بطبيعة تلك الاماكن، أنا عشت هناك وأعرف تفاصيل تلك المنطقة أكثر

منك، بشعرك المكشوف ولباسك السافر ستلفتين انتباه كل أهل البصرة، دعي الأمر

لي، سأذهب واستطلع المكان حتى أعرف كيف أبدأ، فذلك العمل لا يحتمل الخطأ

وأي خطأ سيكون عاقبته الموت.

- أتقصد، أن تذهب بمفردك ولن آتي معك؟

- كيفما كان حالياً أذهب بمفردتي، بعد غدٍ سأسافر إلى بغداد ومن هناك

سأذهب إلى البصرة وعند عودتي سنضع خطة مُحكمة سوية.

- لا تنسى أن هذا المشروع مهم جداً والكثيرون في انتظاره.

- مثل من؟

- الذين سيشترونه.

- حسناً، هم ينتظرون الإنجيل بفارغ الصبر، ألا يقولون كم سيدفعون؟ فكل

شيء له قيمته... أليس كذلك؟

كانت (شوخا) إلى تلك اللحظة ممددة على السرير، نهضت وأشعلت سيجارة

حتى لا أنتبه لما تضره، ثم قالت: الصراحة، لا أعلم!.

- أقول لك ذلك حتى تكوني بالصورة غداً، لأنني إن جلبت الإنجيل سأكون مجبراً

حينها على الشروط التي يضعها الزبون.

- أظن أن الوقت لم يحن بعد لاتخاذ قرار كهذا، المهم أن نحصل على الإنجيل

الآن.

- هو كلام ونتحاور بموجبه، فهناك أشخاص آخرون يشترون هذه الأشياء. لم تقولي لي، من هم الذين سيشترون منا؟
- سأقول لك فيما بعد، وسنبيع لمن يود أن يشتري.
- إن كان جورج أو مصطفى أو شارون، لا فرق لدي.
- ولماذا شارون وليس ستيف.
- ليكن الإثنان، المهم أن نبيع.
- تتكلمين وكأنك أمنت الحصول على الإنجيل.
- كلا، أنا أسعى للحصول عليه، وإن حصلت عليه سأضعه بين يديك، وإن لم يحصل سأكون قد قمت بمحاولتي.

اتصلت والدتي وقالت:

- أتت خالتك إلى هنا وتود أن تراك.

كان الناس سعداء بدخول شركات كورك وآسيا سيل للاتصالات في الخدمة، وقد يسرت أمور الناس كثيراً، لأنهم يستطيعون التواصل فيما بينهم بسهولة، وأنا عندما أرى الرجال والنساء في بلدي يستعملون الهواتف الذكية ويتصلون ببعضهم البعض، أشعر بسعادة لا توصف في داخلي... الحرب الأخوية قد توقفت وحتى الحرب الكلامية خفت في الصحف والمجلات، والقنوات الفضائية بدأت تبث برامج متنوعة للترفيه عن الناس، بدأت الحياة في هذه البلاد تتنفس الصعداء...

لدي موعد مع (هلو)، أما (تحسين) فقد تم إرساله إلى تركيا، الوضع السياسي متأزماً، فالغرب مصرّون على الإطاحة بالحكم في العراق ولجان التفتيش الدولية الواحدة تلو الأخرى تتوجه إلى الأماكن التي تريدها بكامل حريتها، يبحثون عن الأسلحة الكيميائية والمحرمة دولياً. أهالي بغداد ينظرون إلى لجان التفتيش على أنه انتصار كبير لهم ويقولون: ها... لو كنت رجلاً امنعهم من التفتيش في منشأتك.

(هلو) أصرّ على سفري معه إلى بغداد، ومن هناك إلى البصرة، لإتمام بعض الأعمال، وأنا كنت أضمر رغبتني في السفر إلى البصرة أمامه.

- إذاً، متى نسافر؟

- غداً.

- لن نزور (الأستاذ) هذه المرة؟

- ليس في برنامجنا زيارته، إلا إذا طلبنا.

- إن أراد رؤيتنا، إذهب إليه لوحده، أنا لن آتي.

عندما رأيتني خالتي، قبلتني عدة مرات وأرادت تقبيل يدي، لكنني منعتهما من ذلك، (كوار) تتصل بها عدة مرات في الأسبوع ولم تبج بشيء لوالدتها، فقط قالت أنها لم تتأقلم مع زوجها وأنها مشغولة بأوراق إقامتها وتحضر نفسها للذهاب إلى كورسات تعلم اللغة، وهي ليست بحاجة لشيء وأني وأصدقائي قدمنا لها كل ما تريد، وخاصة أن هناك إمراة واسمها (لوسي) تقف إلى جانبيها وتساعدنا كثيراً.

- خالتي، المهم أن قلبك إطمأن عليها وتأكدت أنها بخير.

- سلمت يداك يا بني، لولاك لكنت قد لا أراها مرة أخرى.

كلمتها "لولاك" نزلت كالصاعقة عليّ هزّت كياني وحلّقت بي الى البعيد، أنا (سنكر) المنسي والخارج من شوارع الموصل المغبرة، لم أصبح وزيراً أو مسؤولاً كبيراً، فقط أصبحت أملك المال، لذلك بتُّ قادراً على فعل أمور كثيرة. الكثيرون من الأغنياء يقومون بأعمالهم التجارية ومشغولون بأموالهم، إلا أنا، لا أدري لمّ واجه المخاطر؟ أقوم بأعمال غير قانونية؟ أعلم أن ليس في الأمر أي طمع أو جشع، لكن، لم لا أهنأ براحة البال؟ ولمّ أشعر بالضيق من كل ما حولي؟ أتسرع في مواجهة المخاطر وكأن القطار سيفوتني؟

نقاط التفتيش لاتوقفنا أبداً. (هللو) كالأفعى يمرّ من بينها دون سؤالٍ أو جواب، حيث بات معروفاً من قبلهم، وفي كثير من الأحيان يتدمرون منه.

وصلت إلى بغداد، بدا عليها الهلاك أكثر، وسيارات الأمم المتحدة تعبر نقاط التفتيش مثلنا ولا أحد يستطيع أن يوقفها أو يتحدث إلى من فيها، يُفرغون الشوارع حين مرور مواكبهم... ويقال بأنهم فتشوا حتى غرفة نوم رئيس الجمهورية.

- لم يحن وقت حصّة (الأستاذ)، أليس كذلك؟

- كلا، لم يحن الوقت بعد.

- لا تتصل به... اخاف أن يدعونا لسهرة من سهراته تلك مرة أخرى.

- أحد عملائنا دعانا إلى خارج المدينة وجهّز لنا وليمة علينا أن نلبي دعوته

أيضاً.

- لا أود المجيء، صراحةً ، لا أحب هذه الأجواء، ونحن قادمون لإتمام أعمالنا وأرى أن أسافر إلى البصرة لإتمام مهمتنا، سيكون من الأفضل لنا ذلك.

- حسناً، سأجهز لك الحسابات كي تأخذها معك، إذهب غداً إلى هناك وعميلنا سيكون بانتظارك... قد أعود في وقت متأخر هذا المساء وأنت ستسافر في الصباح الباكر، وقد لا نرى بعضنا، سأضع لك الحسابات عند استعلامات الفندق.

النوم جافى عيوني، ولا أدري لمَ ؟ شريطاً طويلاً من الذكريات يمرُّ أمام عيني وكأني أمام بحرٍ لا سكون في شواطئه، تمنيتُ حلول الصباح بسرعة، لأتحرر من تلك الوسواس والهواجس ...

بدون إفطار خرجت من الفندق، رأيتُ مدينة الكوت أمامي بسهولة المغيرة، فراغ منسي على امتداد البصر، إنتابني إحساس بالجوع ورأيت من الأفضل أن اتناول شيئاً من الطعام ، توجهت إلى مطعم في الشارع الرئيس، الذباب يملأ جو الغرفة حتى السماء، وكان ملتصقاً بالزجاج الأمامي للمطعم، وهواءٌ خريفي يهبُّ في الخارج.

- ماذا لديكم من أكل؟

قال لي صاحب المطعم أسماء بعض المأكولات، لكنها لم تعجبني، فقلت له:

- هل تستطيع أن تقلي لي البيض؟

- لا يوجد بيض لدينا.

خرجت من ذلك المطعم، فالجوع ارحم من الأكل فيه، كانوا قد حجزوا لي غرفة في فندق (شط العرب)، ولم يمض وقت طويلٌ حتى أتى رجلنا البصراوي وقال: التعب بادٍ عليك... عليك بالراحة وسأتيك الساعة السادسة مساءً.

آثار الحرب العراقية الإيرانية وحرب الكويت ظاهرة على مدينة البصرة، الملامح العابسة لأهاليها، حتى أنك من النادر أن ترى أشخاصاً يضحكون، حاول مضيبي مساءً أن يأخذني إلى مراقص وأماكن ترفيهية في المدينة، لكنني أبيت الخروج.

صباحاً، توجهت إلى مدينة الزبير، المدينة كالسابق لكن كان ظاهراً أن الفقر المدقع ينخر فيها، عثرت على منزل صديقي (خميس) بسهولة. طرقت الباب فخرجت لي امرأة، وبعدها أتى (خميس) لم يعرفني لأول وهلة وبعد أن تمعّن في ملامحي، هبّ واحتضني وصرخ: سنكر، أهذا انت؟

يردد في كل مرة: أهذا أنت؟ أحسست أنه يحتضني من كل قلبه.

- حسناً، أنا لم أكن أعرف شيئاً؟ أما أنت فتعرف مكاني... يا رجل، ابعث رسالة، أو خبر لأطمئن عليك، فالهواتف باتت موجودة...

دخلنا إلى البيت، ذات البيت نفسه لم يتغير فيه شيء، تشم رائحة الفقر والفوضى في كل بقعة منه، طفلان مغبرّان بثياب وسخة يتفافزان ويلهوان داخل الغرفة.

- أنت محق يا أخي (خميس) أنا مقصر تجاهك، لكن كما تعلم ظروف البلد أصبحت أقوى منا وجعلت الناس ينسون كل علاقاتهم ويركضون كل وراء رزقه. لكن ثق تماماً أنك كنت دائماً في البال... الآن قل لي، ماذا تعمل، كيف تقضي حياتك وامورك؟

- كما تعلم، تركت الدروس والدراسة ولم أستطع إنهاء المرحلة الثانوية، عملت مع أخي في التهريب وفي عملية من إحدى عمليات التهريب قُتل أخي واستلم آخرون مكانه، لم يكن من بدّ أن أستمّر في عملي ذاك، فكما تعلم، لا معامل ولا فرص عمل هنا، ومنذ زمن بعيد يعيش أهالي هذه المدينة على التهريب بين الحدود السعودية والكويتية وخرجت هذه البلاد من المعارك بخسارات جسيمة، لذلك لم يعد لنا شيء نهربه إلى الطرف الآخر من الحدود، عدا المشروبات الروحية والدخان، وقد شددوا على تهريب هذه الأشياء أيضاً ونقوم بعملنا بصعوبة بالغة.

- لا تشغل بالك بكلّ هذا، إن دفعت لك أكثر منهم، فهل ستعمل معي؟

(خميس) خمنّ أنني أمزح معه، لم يهتم بكلامي وقال بلا مبالاة أيضاً:

- ماذا أقول لك؟!

- ماذا تقول يعني ماذا؟ أقول لك هل أنت مستعد للعمل معي؟

فتح (خميس) عينيه مندهشاً وقال:

- هل أنت جادٌّ في كلامك؟

- تريد الصراحة، أتيت إلى هنا بعمل والمسؤول عن أعمالنا هنا رجلٌ مطواع ولا

يخرج عن كلمتنا له، وينفذ كل ما نطلبه.

- هل أنت جادٌّ يا رجل، اتمنى ذلك من كل قلبي.

- اليوم سأحقق لك ذلك... أتركنا من هذا الآن، ماهي أخبار (خيمة)؟

قال بهدوء:

- خيمة...خيمة... تريد الصراحة، بعد ذهابك أردتُ أن أحل مكانك، لكنني رفضتني، وبعد ذلك تزوجت من ملازم أول في الجيش، وماذا تفعل الآن وماذا حل بها لا أعلم، اذا أردت، أستطيع أن أسأل عنها...؟

- كلا، كلا... لا يهم، فقد تزوجت ولا أود أن أسبب لها المشاكل، بعد قليل سأعود إلى البصرة وعليك أن تأتي معي من أجل عملي، اليوم وليس غداً... هذا أولاً...ثانياً، أنا أيضاً لدي عمل يجب أن تقوم به لي ضمن المدينة في شارع (عشتار). في ذلك الشارع توجد كنيسة مهجورة وأبوابها مقفلة بالسلاسل الحديدية، يوجد صندوق داخل هذه الكنيسة وفي داخل الصندوق إنجيل قديم مع شمعدانين، إن جلبته لي سأعطيك أربعين ألف دولار.

- سنكر، أنت عدت إلي كملاك... ثق تماماً إن كان الموت أيضاً سأجلبه لك، وأي عمل وأمر تطلبه مني سأنفذه على العين والراس.

- للتوضيح أكثر، تلك الكنيسة تم إغلاقها من قبل وزارة الأوقاف وداخل الكنيسة فارغ تماماً لا يوجد فيه أي شيء، في أسفلها محراب وثلاث قناطر، القنطرة في المنتصف مغلقة بباب من القرميد، إذا أزلت ذلك الحائط، ستجد غرفة صغيرة بعرض مترين وطولها بطول المحراب، فيها صندوق والإنجيل والشمعدانين في داخله، هذه العملية بحاجة إلى دقة وحذر، عليك ألا تتسرع في العمل، وإذا أردت سأتي معك...

- لا حاجة لي بك، سأجلبه لك كما أجب كأس ماء... غداً سيكون الصندوق بين يديك.

- كما قلت، عليك أن تكون حريصاً ولا تنسى أن تأخذ معك قفل ومقص حديدي لكسر القفل والسلاسل، لأنك إذا قطعت السلاسل وكسرت القفل عليك أن تغلقه مرة أخرى بالقفل، ولحفر ذلك الحائط عليك أن تأخذ معك مجرفة وممول... خذ، هذه ألف دولار لتشتري بها هذه اللوازم.

- يا رجل لا داعي لكل هذا..

- أنا اريد ذلك... خذ.

من الفندق إتصلت بعميلنا في البصرة، لم تمض برهة حتى قلت له بشأن
(خميس):

- هل تعرف هذا الرجل؟
- كلا، لم أره من قبل.
- هذا خميس ومن أهالي مدينة الزبير.
- لم يدعني أكمل حديثي وقال:
- لم أره من قبل، لكني سمعت به.. بم تأمرني كي أقوم به لأجله.
- إسمعي جيداً، (خميس) أخ عزيز لي، وقُتل أخاه في هذا العمل، وجعلتم
صديقي هذا يترك العمل وأتيتم بأخريين كي يحلوا محله، من اليوم عليه أن يعود إلى
عمله وتنهبوا إليه أكثر من السابق، فهو صديقي وأعرفه جيداً وهو محل ثقة ورجلٌ
إبن رجل، وعليه أن يكون راضياً عن عمله من اليوم وقابل الأيَّام .
- وضع الرجل يديه على جبينه قائلاً:
- فقط ذلك، أنت تأمر، سننفذ ما طلبته وعلى الرحب والسعة.
- خرجنا أنا و(خميس) الذي لم يصدق عينيه لما يجري أمامه.
- سنكر، الظاهر أنك في السنوات الخمس الماضية قد فُتحت لك أبواب الخير.
- صحيح ان الله عليم وحكيم مع عباده.
- وصلنا إلى شارع (عشتار) ورأينا الكنيسة المهجورة وأبوابها المكبلة.
- لندور حولها قليلاً ونتحرّرها جيداً، ليكن بعلمك، هناك باب حديدي مقفل
على السطح تستطيع أن تنزل عن طريقه إلى الأسفل.
- انصت (خميس) بدقة لكلامي وقال:
- تأكد بأني غداً مساءً سأجلب لك الصندوق وأضعه بين يديك.
- إذاً، ساوصلك إلى الزبير.
- كلا، سأجهز اللوازم ليوم غد، سأكون بحاجة إلى شخص آخر معي للقيام
بهذا العمل، أنزلني في السوق واذهب أنت في أمان الله، وغداً الساعة السابعة صباحاً
سأتي إليك.

- قضيت ليلة صعبة بين النوم واليقظة، أفقت في الساعة السادسة ارتديت ثيابي ونزلت أنتظر... في تمام الساعة السابعة ظهر (خميس)، أردتُ أن أرى ملامحه من بعيد كي اخمّن معنوياته، لكني لم أستطع.
جلس بجانبى وبقي صامتاً لبرهة وأنا أنتظره ليتكلم:
- هات يدك.

- لقد جلبت لك الصندوق وهو في البيكاب هناك، كتاب من الجلد وشمعدانين في الصندوق، وأقفلت باب الكنيسة مرة أخرى بالقفل.
خرجنا من الفندق... إستلمت منه الصندوق وقلت له:
- صديقي (خميس) قلتُ لك بأنّي سأعطيك أربعين ألف دولار... هذه خمسون ألفاً... وإن واجهت أية مشاكل في عملك إتصل بي، وهذا رقم هاتفي... أنا في هولير وستجدني هناك بكل سهولة.

لم يصدق (خميس) عينيه، ثلاث ساعات أصبح يملك خمسين ألف دولار، ودعته وتوجهت إلى بغداد... معي هوية صادرة من وزارة الداخلية، لذلك لم يوقفني أحد على نقاط التفتيش، ألقى عليهم التحية العسكرية وأمر، كمن يلدغه عقرب، وأنا أسوق السيارة بسرعة، أكملت طريقي صوب هولير، اجتزت هضاب هميرين وتوقفت على حافة الطريق، أردتُ أن أنظر إلى تلك النسخة من التوراة، كان مكتوباً بلغة لم أكن أفك طلاسم أي حرف منها، فضلاً عن شمعدانين سباعيين محفور عليهما كتابة، معنت النظر بهما وتبين لي أنهما مصنوعان من الذهب الخالص.

فور وصولي إلى البيت، إتصلت ب(شوخا)، كانت مصرة على أن نلتقي ورأيت من الأفضل أن تبقى لبعض الوقت في حالة انتظار، إتفقنا على اللقاء مساء الغد، في الصباح إتقطت صورة للتوراة والشمعدانين ووضعت الصور في جيبى، كما إتصلت (لوسي) وقالت بأنها بعد يومين ستصل إلى هولير. في تمام الساعة الثامنة مساءً طرقت باب (شوخا) وفور دخولي من الباب قامت باحتضاني، اذ كانت بكامل أناقتها، توجهنا إلى الداخل وفور جلوسنا قالت لي:

- قل لي، ماذا جرى معك؟

- ماذا جرى؟ أرسلتني إلى عرين الأسد وكل ما قلتيه لي كان كذباً، كان عليك أن تكوني صريحة معي.

- أنا كذبت عليك!؟

- وكيف يكون الكذب؟ له جناحان ويطير؟ أم ماذا؟ أولاً هي لم تكن كنيسة، بل معبد. وثانياً، الكتاب لم يكن الإنجيل بل التوراة.. قولي لي يا آنسة (شوخا)، أي ابن عاهرة في هذا الزمن يستطيع الإقتراب من معبدٍ يهودي؟

- صحيحٌ أنني لم أقل لك الصراحة، أردتُ أن أقول لك الحقيقة بالتدريج كي لا تُصدم.

- أنتِ تعلمين أن التعامل مع الكنائس مختلف عن التعامل مع المعابد اليهودية، فالمعبد مُحاط من جهاته الأربعة بجدران عالية وتحت مراقبة دقيقة وصارمة، انتم بدوركم صورتم المعبد من السماء فقط، أو كنتم تعلمون بكل شيء ولم تقولوا لي الحقيقة.

- أنتم...! ما قصدك بأنتم؟

- إسمعيني يا (شوخا)، أنت غريبة وعجيبة بالفعل، لم تنظرين إليّ على أنني شخص قروي ولا يفقه شيئاً، أعني مَنْ يتعاملون معك من خلف الستار.

- لم لا تُفصح أكثر؟

- من يتابعون مسألة الحصول على التوراة، إما تُجار تحف أو أحدٌ من اتباع الديانة اليهودية، دعيني أكون صريحاً معك أكثر، قد تكون إحدى أجهزة الدولة الإسرائيلية هي من تتابع هذا العمل.

نهضتُ (شوخا) وهي متشنجة ، ولكي لا ألاحظ انفعالها، أصبحت تتكلم وتدير وجهها إلى الطرف الآخر:

- ولم تُجار التحفيات لا يشترونها ومن ثم يأخذونها إلى إسرائيل؟

- (شوخا)، أنا ككردي ليست لي أية عداوة مع إسرائيل واليهود، طالما هم لا يؤذون شعبي، ونظرتي لإسرائيل هي كما نظرة الدول الأوروبية إليها، فأنا منذ اليوم الأول كنتُ أعرف حقيقة ما بداخل الصندوق.

الإندهاش كان بادياً على ملامحها، وبعدها أخرجت الصور من جيبي ووضعتها أمامها على الطاولة، بيد مرتجفة نظرتُ (شوخا) إلى الصور، وأنا أتابع أنفاسها

المتقطعة من خلال النظر إلى صدرها ونهديها العارين، قامت بشكل مفاجئ من على الكرسي وهجمت علي، وقعت أنا والكرسي إلى الخلف وبدأت تقبلني وهي جاثمة على صدري:

- أي أنك حصلت على التوراة؟

- إنه في مكان آمن.

- ماذا سنفعل الآن؟

- ما قصدك بماذا سنفعل؟ أنا معي هذه الأشياء والمشتري لديه النقود، وإن دفعوا لي ما أطلبه سوف أعطيهم، وإن لم يدفعوا، فهناك العشرات يتمنون شراءها.
- لا تعقد الموضوع هكذا يا سنكر، المشتري جاهز وأنا متأكدة أنهم سيدفعون لك ما تطلبه.

- إذأ، دعيني أقول لك أيضاً، أنا أعرف تاريخ هذه النسخة من التوراة بدقة، وأعلم تمام العلم بأن هذه النسخة تُعدُّ مكسباً قومياً مهماً لدى دولة إسرائيل، وأنا لا أود أن أوصل السكين للعظم كما يُقال، لكن إن دفعوا لي عشرين بالمائة من ثمن المخطوطة فسأعطيهم إياها.

- هل تعلم بأني سأصاب بالجنون بسببك؟ يا إلهي... من أين تأتي بهذه المعلومات ومن يقولها لك؟ أخاف أن تكون عميلاً لإحدى أجهزة الاستخبارات العالمية؟

- معلوماتي مُستقاة من تعاليم أهورامزدا، وهو يُنير لنا الفكر والدروب، ولست عميلاً لأحد ولا أحب ان أكون كذلك، فأنتِ وضعتِ مشروعاً أمامي وأنا قمت به على أكمل وجه... أليس كذلك؟

- أود أن أصدقك لكني لا أستطيع.

- وأنا لست متأكداً بأنك تريدين التوراة لفلان من الناس من بائعي التُّحف، وأنا بدوري لا فرق لدي إن بعته لأي كان.

- لمن أقوم بذلك العمل؟ ما قصدك بذلك؟

- نحن الإثنان نكذب على بعضنا البعض، أنتِ تريدين الحصول عليه من أجل الدولة الإسرائيلية، وأنا لدي معلومات عن ذلك، وتقولين بأنك لا تكذبين علي وتريدين مني أن أصدقك.

- لنترك الحديث في هذا الموضوع الآن ونتحدث في المهم، كم تريد حصتك؟
- ما أعلم به أن إسرائيل قد خصصت ميزانية كبيرة من أجل الحصول على التوراة، لكن هناك آخرون سيدفعون أكثر من ذلك المبلغ المرصود وهم شاكرون.

- أنت لا علاقة لك بإسرائيل الآن، قل لي كم تريد؟

- الأمر لا يحتاج إلى الكثير من الجدل، فهذه النسخة لا تُقدَّر بثمن وهي النسخة الوحيدة المتبقية في العالم، وكى لا أظهر بأني طمَّاعٌ أمام أصدقائك الذين تتعاملين معهم، فإني اطلب سبعمائة وخمسين ألف دولار، منها مائتي ألف دولار لك لأنك اعطيتني المعلومات الأولية عن مكانها والباقي لي.

- ألا ترى بأن هذا المبلغ كبير؟

- منذ القدم يُقال أن قيمة الذهب يُدركها الصائغ فقط... واليوم الصاغة في العالم كُتِرٌ ويتناطحون هنا وهناك في سبيل الوصول إلى أشياء كهذه، ولأجل عينيك الجميلتين وحصنك الدافئ لم أطلب أكثر من ذلك.

جلست (شوخا) على ركبتيّ وبدأت تمص شفتي:

- أترضى بذلك؟

حركت رأسها يميناً وشمالاً وقالت:

- قصدك، أن ما تقوله سوف يتحقق؟

- الشمعدانان لوحدهما يستحقان أكثر مما طلبت، فلو تم عرضهما في مزادات (كريستي) و (ساويس بي) فإن كل واحدة منها ستباع بأكثر من مليون دولار. ليفهم أصدقائك أن هذه الآثار هي آثار آبائهم وأجدادهم وتعود لديانتهم وقوميتهم وهم مجبرون على شرائها... إن خرج هذا الكتاب والشمعدانان من هولير ووصلا إلى مكان آخر فإنهم سيدفعون عشرات أضعاف المبلغ الذي طلبته ولن يحصلوا عليه أيضاً، وسترين بائعي التحف في القنوات الفضائية يتباهون بها. صحيحٌ أننا ككرد بعيدون عنهم ثقافياً وحضارياً ومن جديد خرجنا للعالم ولا نصل إلى مستوى الأوربيين في هذه الأعمال، لكني لن أفرط في هذه الأشياء ولا أود أن تقع في أياد التجار وغيرهم، انتم أمامكم طريقان لا ثالث لهما، الأول هو ألا تدفعوا شيئاً وتحاولوا الحصول عليهم بالقوة وتأكدوا بأن هذا محال. والثاني، عن طريق الإتفاق الذي أقوله لك، فأنا كما قلت، أود أن يحصلوا هم على هذه الأشياء الثمينة أكثر من غيرهم ولسبب

واضح وهو لأنها ملك لهم ولدينهم وتاريخهم، فليتعاملوا معي على هذا الأساس
وبطريقة سلمية ولا يجربوا القوة، لأن النقود لن تأتي بنتيجة حينذاك.
(شوخا) مازالت جالسة على ركبتيّ، وأثناء حديثي معها بدأت تتعري من ثيابها
قطعة قطعة، فقط سروالها الداخلي يخفي ما بين فخذيها.

عندما وضعتُ التاج والصولجان والعقد أمام (لوسي) والقساوسة، لم يصدقوا أعينهم ان بعد ألفين وسبعمائة عام وما تزال هذه الآثار محافظة على بريقها ولمعانها، كل واحد منهم كان يحمل مكبرة بيده ويتمعن في تلك القطع بدقة ويتمتمون بإندهاش... أما أنا كنت مرتاح البال والضمير لأن (دغدو) راضية عما قمت به وأن آثار آبائها وأجدادها سيتم حفظها في مكان لائق ومحصن وستُعد من الميراث التاريخي والفني للعالم والبشرية جمعاء. أتتني (دغدو) وبإطمئنان قالت: (أحييك وأشكرك... لقد حققت ما أردته، لا تقلق على ذلك، إنه تاريخٌ حيٌّ وأينما ذهب سيبقى فخراً للشعب الكردي ولا بد أن يعود يوماً إلى موطنه الذي هو كردستان... ففي الظروف التي تمرّون بها يكون الحفاظ على هذا الميراث محالاً، إنها خطوة جيدة... أشكرك مرة أخرى).

وضعت (لوسي) وأصدقائها المكبرات من أيديهم ووضعوا أمامي مليون دولار آخر... ولأنها ساعدت (كوار) كثيراً، أخرجت خاتماً ماسياً من جيبى وأعطيته ل (لوسي) وقلت:

- هذه هديتي لك، وأنتِ تستحقينها.

نظرت (لوسي) إلى بريق الخاتم ولم تتمالك نفسها، نهضت وأدنت فمها من فمي وقبلتني قبلة طويلة، القساوسة الثلاث بزيمهم الأسود بدأوا بالتصفيق... (لوسي) تقبل رجلاً...!! قلت:

- يا أخوة، كل شيء قابل للتغيير، ومن قال لكم بأنني أرضى بذلك فقط؟

أشارت (لوسي) بإصبعها إليّ وقالت:

- قد أتغير كما تقول... هذه الشفاه لحمها غير مرّ... إبنة خالتك (كوار) أختبرتهم.

صفق القساوسة مرة أخرى وتواعدنا أن نلتقي مساءً عندي في المنزل.

كنتُ قد اشتريت منزلاً في (عينكاوا) وأنهيت وضع اللمسات الأخيرة عليه من ديكور وأمر أخرى، فمنذ مدة انتقلت من بيت أهلي إليه. والدتي رضيت بذلك لأنني مقبل على الزواج، وخالتي أرسلت لي إبنيها الشابين لأجد لهما عملاً هنا في هولير،

ورأيت من الأفضل أن يعملوا معي، كما وظفتُ اخوة تحسين (تحسين) الاثنين أيضاً ووظفت امرأة مسيحية من تلك الأرجاء كي تقوم بأعمال المنزل... جعلت البيت مسوراً بحائط حديدي، حتى قذائف ال آر بي جي لا تخترقه.

مساءً، جاءت لوسي برفقة القساوسة وبقوا حتى الهزيع الأخير من الليل، وأثناء عودتهم ظلّت لوسي وقالت لي:

- بم أنت مشغول الآن؟

- كما قلت سابقاً، أقوم بأعمال تجارية مع صديق لي، وأسافر أحياناً إلى بغداد.

- يعني تستطيع السفر إلى بغداد، ألا تواجه مشاكل أثناء السفر إلى هناك؟

- تجارتنا لها صلة بإبن الرجل، ومعني هوية من قبلهم بموجها لا توقفني أية

نقطة تفتيش.

- ما تقوله جيد وتُعد عليه الآمال... متى كنت في بغداد؟

- قبل بضعة أيام... أقل من أسبوع تقريباً.

- وكيف ترى بغداد الآن؟

- الفقر والبيّس باديان على سكانها، وخاصة بعد جولات لجان التفتيش

التابعة للأمم المتحدة، يبحثون في كل مكان عن الأسلحة المحرمة ولم يعثروا على

شيء بعد... وإن بقي الحال على ما هو عليه فإنهم لن يعثروا على شيء أيضاً.

أحسست أن كلامي هذا كان مهماً ل (لوسي)، فقالت.

- برأيك، ماذا نفعل حتى يعثروا على مخابئ تلك الأسلحة، ماذا تقترح بشأن

ذلك؟

كنت أعلم بأن (لوسي) تابعة لجهاز الاستخبارات الأمريكية C.I.A ، لكنني

تجاهلت الأمر وقلت لها:

- إن قلت لك معلومة، هل ستوصلينيها؟

- تقصد لمن؟

- لا أعلم... الأمم المتحدة... أمريكا... او أية دولة أخرى.

أبدت (لوسي) إهتماماً أكثر بالموضوع وقالت:

- هات، قل ما عندك.

- هم يبحثون في بغداد والامكنة المكشوفة، هناك مكان يقال له بستان (رزاق حميدي) على نهر دجلة في محلة (العيساويين)، إن لم يعثروا هناك على مئات البراميل من الخرادل والأسلحة الكيميائية المختلفة فلا تُسلمي عليّ مرة أخرى... كل تلك الأسلحة مخبأة في ذلك البستان والحراس هناك زهيم مدني ولا يلبسون الزي العسكري، فهم من عناصر الأمن الخاص، ويشرف عليهم بشكل مباشر الرجل بنفسه.

- ما تقوله لي الآن العالم كله يبحث عنه وهذه المعلومات ستكون كانفجار قنبلة.

- تنفجر ام لا، فهو بحث آخر، أنا متأكد من هذه المعلومات، والأمر لا يحتاج إلى جهد كثير، بل بحاجة إلى دقة وأن لا يشعر النظام بذلك... إن عثروا على هذه الأسلحة، بماذا سيكافئوننا أنا وأنتِ؟

- أنا لا أعلم بما سيكافئك الطرف الآخر، لكني أنا سأكافئك الليلة.

نهضت وجلست على ركبتي وقالت:

- منذ ستة وعشرين عاماً، تم اغتصابي من قبل شخصين بشكل وحشي وبدون رحمة، كانوا كذئاب جائعة ينهشون في جسدي، لأكثر من مرة، من الأمام والخلف، حتى بت انزف دمًا، كنت اتألم وأصرخ، وهم يقهقون، يشدون شعري، يضربونني، أفقت وأنا مضرجة بدمائي، ومنذ ذلك الوقت وإلى الآن، كرهت جنس الرجال ولا أطيق الإقتراب منهم. ستة وعشرون عاماً ولم أر رجلاً عارياً أمامي إلا في المسابح، وحتى هناك لم أشعر برغبة في الإقتراب منهم.

على عكس رغباتها تلك، قامت (لوسي) وقالت: (أين هي؟)

- ما هي؟

- غرفة النوم...

قبل الذهاب إلى غرفة النوم، بدأت (لوسي) بالتعري، وبدأت أنا أيضاً بذلك. رأيت من الأفضل أن أبدأ معها بمرونة ولطف، فهي منذ ستة وعشرين عاماً لم تشارك أي رجل السرير... وجهاً لوجه كنا متقابلين، حركاتها أشبه بحركات رجل مقبل على الممارسة الجنسية، لذلك قلت لها:

- تخيلي في ذهنك اني امرأة وتمارسين معي الجنس... وهكذا، أحياناً تقوم هي بدور الرجل، وأحياناً أنا... بقينا فترة طويلة على تلك الحالة... بعدها قالت:
- إن لم تكن أكثر لذة من (طورا)، فإنك لست بأقل منها... وضعها النفسي مستقرٌ الآن... مشغولة بدروس اللغة، وأوراق إقامتها والأمور الأخرى ساعدتها في إتمامها... الآن عادت إلى طبيعتها، ونحن نتقابل في الأسبوع ثلاث أو أربع مرات... لا أتوقع أن أستطيع التخلي عنها قريباً.

- كصديقة عادية، أم كمشاركة لك في الفراش؟
- كيفما تفسر أنت حُر... إلى أن تقول بأنها لا تشعر برغبة للرجال... تقضي الليالي معي... ولا أعتقد انها ستستطيع التأقلم مرة أخرى مع المجتمع.
قلت في نفسي (لو يدري اخواها الواقفان في الخارج ماذا حل بأختهم، لأصيبوا بالهستيريا...). أوشكتُ النوم، قفزت (لوسي) وأصبحت بجاني وهمست في أذني:
- لم تُقل لي، من أين أتيت بتلك المعلومات؟

- منذ القدم يُقال عندنا أن الجدران لها آذان، ولغز الفأر في الجدار. تعالي لنضع رهاناً بيننا، إن لم يعثروا على شيء هناك سأعطيك عشرين ألف دولار، وبالعكس ان عثروا على الأسلحة هناك ستعطيني انتِ.
قفزت (لوسي) ووقفت برجليها على صدري وقالت:
- أنا موافقة... هات يدك.

كنت اتوقع بأن (شوخا) على علم بقدم (لوسي) وتعلم بأنها تكره الرجال للعظم... في الصباح إتصلت (شوخا) وكانت تريد أن نلتقي في الكلية... رأينا بعضنا في الكلية وكلُّ منا يحمل كتاباً في يده، الطلبة يشكّون بالعلاقة بيني وبينها... همست (شوخا) في أذني:

- الجماعة وافقوا على المبلغ الذي طلبته، وبعد يومين سيصلون إلى هولير ويودون رؤيتك عن قرب.

- رؤيتي أم رؤية التوراة؟

- رؤيتك ورؤية التوراة أيضاً... لا أعلم أن موافقتك هي موافقة بالفعل، أم هباء؟

- ما قصدك؟

- لا أعلم إن كنت قد نسيت أم تتناسى، ألم تقل بأنك ستعطيني مئتي ألف دولار في هذه الصفقة؟

- أنت فتاةٌ غريبةٌ بالفعل. ألم تعرفيني بعد؟ أنا إن وعدت فأني أفي بوعدتي ولو على رقبتني، وكلها ثلاثة أيام وسترين الحقيقة.

- البارحة مساءً إشتقت إليك كثيراً، ولولا خوفاً من رؤية الناس لي لكنت أتيت إليك، لنذهب إلى البيت ودعنا من محاضرة اليوم، فقد كنت كالبقرة الحلوب ليلة البارحة، وأحس بطاقة ورغبة غريبة..

قلت لها:

- لم لا نؤجل هذا الأمر ليوم غد؟

- سأتحمل ذلك... أذاً، غداً مساءً نلتقي.

عاد (تحسين) من تركيا، إتصل بي وأتى لرؤيتي في البيت:

- تلك البلاد سائبة، وإن ظل الوضع على ما هو عليه سنكون أمام مشكلة.

- لم أفهم ما قصدك؟

- هناك مجموعات كبيرة تحتكر التجارة هناك، وكل منها تستولي على نوع محدد ويتنافسون فيما بينهم بقوة... من طاجيكستان ومن أذربيجان وصولاً إلى أرمينيا وحتى قرغيزيا وأوزبكستان أيضاً... كل هذه البلدان تود أن تفتح خطأً لهذه التجارة ولأنها تعتمد على المنتوجات المحلية من مشروبات روحية وتبع فإن هناك الكثيرون منهم يودون استيراد المنتوجات الأجنبية أيضاً.

- الظاهر أنك استطلعت الوضع بشكل جيد هناك؟

- التاجر الناجح عليه أن يكون هكذا... لكن ما أزعجني أن الكثير من التجار الذين نتعامل معهم هناك مشغولون بتجارة الهيروين والأنواع الأخرى من المخدرات، وطريق التهريب لهذه الممنوعات لديهم يبدأ من أفغانستان ومن ثم إيران ومنها إلى تركيا وعن طريق البحر الأبيض المتوسط يُهرَّب إلى أوروبا وأمريكا أيضاً... ما أخاف منه أن نتورط معهم ببعض الصفقات ويُهرَّبوا تلك المواد إلى بلادنا؟

- أنا لو أعرف أنني سأصبح إمبراطوراً من وراء تلك التجارة فلن أمارسها، إطمئن

من هذه الناحية.

- وصديقنا (هلو)، هل يفكر مثلك؟

- لا أعتقد أنه يصل لذلك المستوى الضحل ويتاجر بدم البشر..!
- وان فعلها؟
- حينها سأسحب من العمل معه.
في الساعة المحددة طرقت باب (شوخا) بدت انيقة ومتبرجة كعادتها، جلبت فنجانين من القهوة وجلست، التعب والإرهاق باديان عليها، لذلك قلت لها:
- ما بك؟ أراك مرهقة... هل حدث خطبٌ ما؟
- لأكن صريحة معك... أنا تزوجت مرة واحدة ومنذ ذلك الوقت لم أقطع علاقاتي مع الرجال، لكن، ما أحسه تجاهك لم أحسه تجاه أي منهم. سمّ ذلك ما شئت، حب، علاقة، أي شيء آخر... وإن بقيت على هذه الحالة فإني سأكون أمام معضلة حقيقية.
- لنسمّ ذلك بنوع من الحب ولو حالياً... فيها نحن مع بعض، أليس هذا حباً برأيك؟
- أنا أترف لك فقط بما أشعر به ولا أطمع في شيء وليست لدي أية شروط.
ثم قالت بحزن: (لم أجد نفسي بهذا الشكل من قبل... أرجوك تعال أحضني)
بقينا سوية لوقت متأخر... في الصباح، اتصلت (لوسي) وقالت:
- علينا أن نلتقي الآن وفوراً...
إستغربت من عجالتها تلك... ترى ماذا حصل؟ بعد عشر دقائق رأينا بعضنا.
وضعت ظرفاً في يدي وقالت:
- لقد خسرت...! وما أجملها من خسارة... كل ما قلته عن ذلك البستان كان صحيحاً، فقد عثروا على الكثير من الأسلحة المحرمة دولياً هناك وقد يأتي شخص أو اثنان لرؤيتك وشكرك على تلك المعلومات.
أعدتُ لها الظرف وقلت لها:
- المهم أن معلوماتي كانت صحيحة وعثروا على ذلك السمّ الذي يقتلون به الناس، وذلك انتصار لي.
- هل أستطيع الإستفسار عن من أدلى لك بتلك المعلومات؟
- لدي صديق عربي، أخوه حارس هناك، وسمعت من صديقي هذا أن الأسلحة مخبأة في ذلك الموقع.

لكن الحقيقة هي أن (دغدو) هي من حددت لي مكان تلك الأسلحة، كما قالت لي: (أن عناصر من الـ C.I.A والموساد الإسرائيلي باتوا يشكّون بك ويريدون رؤيتك من أجل التعاون معهم... فقد يطلبون منك التعامل معهم، حينها لا ترفض ذلك، لكن تعاون معهم كما تريد أنت ولا تخرج من حدود العراق ولا تتدخل في شأن الدول المجاورة حتى لا توضع في قائمة الرجال المحظورين والخطيرين على مصالحهم).

إغتيال أربعة كوادر من الحزب الديمقراطي الكردستاني- إيران في مدينة السليمانية قد أحدث ضجة في المنطقة، لكن (دغدو) حددت لي أسماء القتلة وأن إغتيالهم تم بأوامر عليا من مكتب رمضان...

يوماً بعد آخر الخناق يضيق على النظام في بغداد، و(دغدو) تقول: بقي له القليل...

إتصل بي (هَلُو) وكان في هولير، حيث التقينا ببعضنا.

- هل تعلم بأن اعمالنا تتوسع وتكبر ويجب أن نكون نحن أيضاً بمستوى تلك الأعمال وإلا فإن الأمر سيفلت من أيدينا.

- وهل هناك أية مشكلة؟

- هي ليست مشكلة بقدر ما أننا يجب أن نعمل أكثر، فهناك تجار كبار من تلك الدول إتصلوا بنا ويريدون منا أن نتشارك في بعض الاعمال.

رفع سبابته وأكمل حديثه قائلاً: في سنة واحدة ستصبح مليونيراً بالدولارات وليس بالدنانير.

- ولم لا تقوم بذلك العمل؟

- يُتاجرون بالمواد المُخدّرة ويصدرونها إلى كل دول العالم.

- إذاً.

- هذه المرة في تركيا، التقيت بـ (الملك سلطان خان) الذي يرأس كل تلك المجموعات، له الكثير من مزارع الحشيش في أفغانستان والكل يعلم بذلك ولا أحد يتجرأ على الإقتراب منه.

- قصدك أن نترك تجارتنا ونتجه صوب تلك التجارة؟

- كلا، أقول بأن نستمر بتجارتنا ومعها نقوم بهذه أيضاً.

- صديقي (هَلُو) أنت حرٌّ فيما تفعل وما تقوم به... أنا لا أستطيع التعاون معك في ذلك العمل.

- لا تستعجل يا رجل، فكّر في الأمر، فالتجارة تجارة...

- لن أشارك في تلك التجارة بأي شكلٍ من الأشكال ولا أفكر فيها أيضاً... أنا لن

أتاجر بدماء الناس... إن قمت بذلك فأنت حرٌّ... حر..

- أترك هذا الآن... أمامنا سفرة إلى قبرص، هل تستطيع المجيء؟

- إن كانت قريبة فلا أعتقد أنني سأستطيع المجيء... إمتحانات الجامعة باتت

على الأبواب وإن لم أقدمها فإن إدارة الجامعة ستفصلني من القسم.

- لا تفهم كلامي بشكل خاطئ، فوضع بغداد والجنوب يتجه يوماً بعد يوم نحو

الإنهيار، لذلك أفكر بمثل هذا النوع من التجارة.

- لا تشاءم من الوضع، فلن ينهار الكون إن توقفت أعمالنا لمدة عام، فالنظام

سيسقط قريباً.

- العالم من حولنا سوف ينهار، والنظام في بغداد سيسقط.

- أتمنى ذلك من كل قلبي.

- التاجر لا يفكر بهذه الطريقة.

- صديقي (هَلُو)، هذا الموضوع لا يحتاج إلى تفكير، النظام في بغداد قتل الآلاف

من الأبرياء وسيأتي اليوم الذي سيسقط فيه وينال جزاءه.

- ومن يقول بأن من سيحلّون محلهم، سيكونون أحسن منهم؟

- ليسقط هذا الآن، وليأت من يأت... إن كانوا سيئين سيرحلون هم أيضاً.

- أي أن الناس يجب أن تبقى بانتظار مجيء فلان وذهاب علّان، وهل هذه حياة

برأيك؟

- لأكن صريحاً معك، صحيح اني اتمنى الخير لجميع العالم، لكن مصلحة

شعبي فوق كل اعتبار وهذا واجبي ومسؤوليتي أمام قومي.

- لنترك هذا الحديث الآن، فهو يطول كثيراً. بعد يوم غد سأسافر ولن أبقى

كثيراً هناك.

الساعة الرابعة عصراً ذهبت إلى مواعدي مع (شوخوا) معها شخصان آخران، عرفتني بأسمائهم، لكنني كنت متأكداً بأنها أسماء مستعارة، احدهم يُتقن اللغة الكردية بشكل جيد، قال لي ذاك الشخص:

- هل تعلم بأننا منذ زمن نعرفك عن طريق (شوخوا) وأردنا رؤيتك من أجل سعر التوراة الذي طلبته، بالنسبة للسعر لا مشكلة لدينا، طبعاً يجب أن يكون الشمعدانان مع المخطوطة أيضاً، لأنهما يعتبران ميراث ولهما مكانة تاريخية لدينا.

- أي إنكم من الأخوة اليهود... أليس كذلك؟

- نعم، نحن يهود، ونود أن نتعاون في بعض الأعمال إن كان ذلك ممكناً.

- إن كانت تجارة فأنا أقوم بها مسبقاً... أي نوع من الأعمال قصدك؟

- أخ (سنكر)... بعيداً عن المراوغة، العراق في طريقه الى تغييرات جذرية والأفضل أن نتكاتف في ظل هكذا ظروف.

- أنا سعيد بتلك التغييرات، وأنا لن أتوانى عن القيام بأي عمل في سبيل إسقاط مؤسسات ذلك النظام، لكنني لن أصبح عميلاً لأي طرف وتحت أي ظرف كان، وكلامي هذا لا يعني أن لدي حقد دفين تجاه اليهود، كلا، بالعكس، فأنا أنظر إلى كل شعوب العالم بنفس النظرة والشعب اليهودي من بينها.

- هذا يعني أن افكارنا مشتركة وأن كل الطرق تؤدي إلى روما كما يُقال، ونحن بدورنا نعمل على إسقاط نظام صدام حسين وهذا ما تريدهم انتم أيضاً ويريدوه الكثيرون في العالم...

- بكل تأكيد، ومن هذه الناحية فإني مستعد للقيام بكل ما هو مطلوب مني.

قالت (شوخوا):

- النقود أصبحت عندي الآن، الساعة التاسعة أجب التوراة والشمعدانين وخذ النقود.

إتصلت والدتي، فقلت لها: سأتي الآن..

خرجتُ من بيت (شوخوا) وفي الطريق كنت أفكر بما يحصل... هذه الأجهزة الأمنية تنظر إلينا وكأننا لقمة سائغة لهم... هل يتعاملون مع الشعوب الأخرى أيضاً بنفس الطريقة، أم معنا فقط نحن الكرد هم كذلك؟ لماذا ننجر بسهولة إلى تلك

العلاقات معهم؟ هل السبب يعود لأننا لا سند أو ظهير لنا؟ أم الأمر نابع من جهلنا وقلة حيلتنا؟

كنت قد نسيت أمر بيتنا في الموصل، ووالدي أيضاً نسي الأهمية التاريخية لذلك السور الذي طالما تحدث عنه دائماً... في هذه الأيام، إن قمت بإحياء نبوخذ نصر وجلبه للحياة مرة أخرى فلن يشتريه أحد بفلس واحد.

- بُني، ماذا سنفعل بذلك البيت في الموصل، فهو فارغ ولا يسكن فيه أحد، وقد يستولي عليه البعض هناك، فلم لا نبيعه؟

- وأنا أيضاً وصلت إلى قناعة بأن بيعه سيكون أفضل، فالشعوب الواعية لوحدها تقدر أهمية وقيمة الآثار، وإن خرجنا بنصف الضرر فإن بيعه أفضل من بقائه للغير.

- أنا ووالدتك لدينا اقتراح... نود أن نذهب إلى الحج هذه السنة.

- حجاً مبروراً من الآن... ومصاريف الحج علي أنا...!

موعدي مع (شوخا) قد اقترب، حملت الصندوق وخرجت متجهاً إلى هناك، عندما وصلت وجدت (شوخا) لوحدها في البيت. فتحت الصندوق وأخرجت التوراة منه وبدأت تتصفح بحرص صفحاته الجلدية... وهي تتمتم وكأنها تتكلم مع نفسها: هل تعلم بأن الكثيرين يتمنون رؤية هذه التوراة؟ ها نحن من الأوائل الذين يرونه... لم تكن تزيج عينها من الكتاب أمامها.

جلبت من الغرفة الأخرى النقود ووضعتها أمامي وقالت: (عدّها).

- ألم تعدّها أنتِ؟

- نعم، المبلغ كامل دون زيادة أو نقصان.

أخرجتُ النقود من الحقيبة، سبعة رزم ونصف من فئة المائة دولار، أعطيتها

رُزمتين... فقالت:

- هذه لي؟

- صحيح أن إنجاز ذلك العمل كان خطراً، لكن لولاك لما حصلت على هذه

النقود وهذه حصتك وحقك فيهم... هذه النقود ليست مزورة... أليس كذلك؟

- أطمئن من هذه الناحية وللإطمئنان أكثر تستطيع أن تأخذها لخبير كي

يتفحصها بدقة.

- كلا، كلامك وتأكيدك يكفي... ألم أقل لك أن هذه التوراة لهؤلاء؟ كنت تنكرين.

- أترك هذا الآن... أنا لا أعتز بالحقائق بسهولة. المهم أنني اعترف لك وأكون في حضنك، حضنك أهم لدي من التوراة وأضعاف أضعاف هذه النقود... هيا... قُم... لم أعد أحتمل...!

باسم الولايات المتحدة الأمريكية، نشكر ونشمن جهودك، ومن خلال وزارة الخارجية الأمريكية نبارك لك منحك وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية لما قدمته من معلومات فتحت لنا الأبواب للحصول على الكثير من الأشياء الأخرى. ولأسباب أمنية بحتة، وحفاظاً على أمنك وسلامتك، فإننا لم نعلن ذلك في القنوات الرسمية... كما نمنح جنابكم أيضاً حق الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة الأمريكية وهذه من إحدى ميزات هذا الوسام... والحرية للجميع.

قام الرجل بإخراج ميدالية ذهبية، فيما يحمل الآخر كاميرا تصوير وبدأ بتصويرنا... بيديه الإثنتين وضع الميدالية في رقبتى وبعد أن أنهى مهمته، قامت (لوسي) وقبلتني وقالت:

- هذا ثاني عمل عظيم تقوم به، الأول أنك كشفت أكبر شركة إجرامية في فرنسا، وعملك الثاني هذا لا يقل عن ذلك بل وأعظم، ونتمنى في المستقبل أن تتعاون معنا من أجل إسقاط نظام بغداد، فأنا متأكدة بأنك لن تتوانى في مساعدتنا من أجل ذلك.

- أشكر الولايات المتحدة الأمريكية من كل قلبي، وأؤكد بأنني سأقوم بما يمليه عليّ ضميري من أجل إسقاط النظام الدموي في بغداد، وأرى ذلك واجباً قومياً على عاتقي ولا أمنّ على أحدٍ بذلك. فأنا لا أريد من خلال عملي هذا الشهرة وأن يكون إسمي على كل لسان، فكما تعلمون في هذه البلاد العديد من الخلايا الإرهابية والأجهزة الاستخباراتية، من عملاء بغداد وإيران والميت التركي وكي جي الروسية والدول الأوروبية والموساد الإسرائيلي أيضاً، فالبارحة تم اغتيال أربعة مناضلين كُرد من الحزب الديمقراطي الكردستاني- إيران في مدينة السليمانية في وضح النهار.

أخرجت ورقة من جيبى وسلمتها لـ (لوسي) وقلت:

- وهذه هي أسماء القتلة ومن قاموا بتلك العملية، حققوا في الموضوع وأعرفوا بأنفسكم من هم ومحسوبون على أية جهة...؟ أود أن أقول لكم شيئاً آخر: أرى من الأفضل أن يكون تعاملكم معي عن طريق (لوسي) فقط.. ولا أود أن أخفي عنكم بأنني

البارحة أخرجتُ نسخة توراة ضائعة تعود لألفي عام من فم الحوت، وأعدتها إلى أصحابها ، وفي الأيام القادمة قد تسمعون بالعثور عليها في القنوات الإعلامية.

- نحن واثقون تمام الثقة من مواقفك، وسنقوم بما تفضلت به، فأنت و(لوسي) تعرفون بعضكم مسبقاً وكل عمل نتعاون فيه سيكون عن طريقها، لكن لتعلم أيضاً بأن الغرب لن يتخلوا عن إسقاط النظام في بغداد ومصرّون على ذلك والمسألة مسألة وقت فقط لاغير، فقد سحبنا لجان التفتيش الدولية من بغداد والكثير من الدول على علم بذلك وسيينضمون لحلفنا، بزوال سلطة بغداد ستفتح الأبواب المغلقة أمام شعبكم والمستقبل المأمول لكم يلوح في الأفق، نتمنى أن يكون كبار رجالا تكم على قدر المسؤولية ويتخذوا خطوات مهمة في المستقبل.

- ما تفضلت به لهو مبعث أمل لنا نحن الكرّد، وأؤكد لك بأننا إن لم نتفق على شيء بيننا، فأنا متفقون تمام الإتفاق وبقرار واحد على إسقاط نظام بغداد. بقيت نقطة مهمة لا أستطيع إلا أن أقولها وهي: أتمنى منكم أنتم الأمريكان وأجهزكم ألا تنظروا إلي بنظرة عميل أو أجير لديكم... فأنا لم أطلب منكم نقوداً مقابل ما أعطيتكم من معلومات.

خرجت من الكنيسة، ضحكت (دغدو) وهي تقول:

- رأيت كم أصبحت مهماً؟

- كيفما كنت، فكله بفضلك أنت.

- مازال أمامك الكثير... الرجل في بغداد لم يبق أمامه الكثير... هي حرب خاطفة وقصيرة ولن يستطيع المقاومة ليومين ومن ثم سيسقط بكل سهولة. ها هم يحضّرون أنفسهم للهجوم عليه وتركيا أغلقت مجالها الجوي أمامهم وهي بالضد من كل ذلك، فاضطروا للهجوم عليه من الكويت.

- متى يبدأ الهجوم؟

- خلال عشرة أيام تقريباً، فقد جهزوا آلاف المدرعات والدبابات والصواريخ بعيدة المدى في الخليج... بات سقوطه قريباً ووشيكاً.

إتصلت ب(هلو) وسألته: (أين أنت؟)

- أنا في بغداد..!!

- كل ما أقوله لك نفذه فقط، فَمُ بجمع كل ديونك من التجار في بغداد وإن تأخرت في ذلك فاعتبر ديونك تلك قد طارت من يدك.

- ما بك؟ منذ يومين كنا سوية، ما الجديد في الأمر؟

- كما قلت لك، إن لم تُحصل ديونك فاقراً عليها الفاتحة، وغداً إن حصل شيء لا تُقل أنك لم تنبهي، وإن كان أمامك سفر أجله ولا تذهب... فالموضوع سينتهي قريباً.

والذي قد عاد إلى ديدنه، متدمراً من عدم تقدير الناس للآثار في البلد ويقول:
- يلزمننا الكثير، إن أردنا ذلك أم لا... لاحيلة لنا أمام كل ذلك، فلو لم يحدث ما جرى، لكنا سنبيع ذلك البيت بعشرات أضعاف سعره الآن، يُقال بأن طائرتين أمريكيتين هبطتا في سهل (هرير) ويقولون بأنها أنزلت معدات وآلات غريبة وقوات البيشمركة تساعدها، ووضع بغداد يتأزم ويتعقد أكثر يوماً بعد يوم.
إتصلت (شوفا) وقالت: (أنا بانتظارك)...

مع أنها حصلت مني على تلك الكمية الكبيرة من النقود، إلا أنها ما زالت حزينة والتعب بادٍ عليها:

- (شوفا)... ما بك؟ هل حدث لك مكروه؟ تكلمي...

مسحت وجهها بمحرمة وباتت تنظر إلى دموعها على المحرمة وهي صامته لا تتكلم... إقتربت منها ووضعت يدي على كتفها عليّ أخفف من وطأة حزنها:
- هذه (شوفا) تبكي؟! البكاء لا يليق بك أبداً... قولي لي الآن، ما خطبك؟

- لم يحدث شيء، ما يحصل لي أنني تغيرت كلياً ولا أستطيع مقاومة ما يجري معي... ما ينتابني لا علاج له ويوماً بعد يوم تتعقد الأمور أكثر... انزعج من نفسي اني لا أستطيع المقاومة، فلم أكن بذلك الضعف أبداً وكنت أضحك ساخرةً دائماً على النسوة اللاتي تقعن في علاقات حب وغرام، أو يقمن علاقة مع رجل واحد فقط...
- قولي لي ما بك، فأنا لا أود أن أرى (شوفا) تبكي أمامي.

- والدتي تجري في دماءها عروق كردية، ودفعننا الكثير حتى وصلنا إلى لندن...
والدي بات مشغولاً بأوراق لجوئنا ووالدتي دبرت عملاً لها من هنا وهناك، والدي يخجل من أن زوجته تعمل في التنظيفات، حيث دماء أبناء الأمراء ما تزال تجري في عروقه، فكيف لزوجته أن تقوم بتلك الأعمال، وعلم فيما بعد أن والدته يهودية

وتُعد مواطنة إسرائيلية، فزار السفارة الإسرائيلية وقاموا باحتضانه وعدّوه إسرائيلياً مثلهم... كنت حينذاك أبلغ من العمر عشر سنوات. طلبوا من والدي زيارة إسرائيل، فأخذنا معه إلى هناك واستقبلونا بكل حفاوة وتقدير، وبعدها عدنا إلى لندن، وتغيرت حياتنا كلها بعد ذلك. بعد مضي سنة أو سنتين من سفرتنا تلك، إتصلوا بوالدي وطلبوا منه كي أدرس في مدرسة داخلية بمدينة تل أبيب، بقيت ثلاث سنوات في تلك المدرسة وهناك أصبحت صديقة لشاب يهودي وفقدت عذريتي معه، وبعدها أقمت علاقات مع الكثيرين من الشباب، كنت أحب الرياضة والحركة كثيراً حينذاك. تم قبولي في المعهد الأمني التابع للموساد وبقيت فيه لأربع سنوات، أقمت علاقات مع العديد هناك أيضاً، حتى أنني لم أعد أتذكرهم... فانا أحصل على كل ما أريده، عدا تلك التي تتعارض مع أمن إسرائيل. تم تعييني على أنني بمستوى عالٍ من التأهيل في المعهد، ووكلوا لي القيام بجلب الأخبار وتحديد الأصدقاء من الأعداء لدولة إسرائيل. تم إرسالني إلى أوروبا وعملت في كل الدول الأوروبية، ولم ألتزم مع أي رجل سنة كاملة... وها هي سنة بأكملها وضعوا أمامي العمل على العثور على تلك النسخة من التوراة، حاولت مع الكثير من الجماعات، لكن دون أية نتيجة. وها ترى الآن، عثرت على التوراة، لكن خسرت نفسي. أنا أعاني من عشقٍ من طرف واحد... ضعيفة وهزيلة أمام رجل... لا أطمع في شيء ولا أنوي على أي شيء وأعلم بأنك لا تعينك كل هذه الأمور، كما أعلم بعلاقتك ب (لوسي)، أنا وهي نعرف بعضنا منذ زمن... أستغرب كيف وافقت على مشاركتك الفراش، فهي تكره الرجال لأبعد الحدود، وهي عدوة لدودة للرجال، ولا تعطي قبلة من امرأة بألف رجل.

لم أستطع إلا أن أحضنها كعاشق... شفناها ترتجفان وكقطة أليفة سحبتها إلى حضني، فسحبت جسدها من بين يدي وقالت:

- أنا لا أستحق الشفقة، ولا أود أن يشفق عليّ أحد... فأنا كالكلاب ألعق جراحي بلساني حتى تندمل.

- إلى الآن لم أعلم لم أنتِ حزينة هكذا، فها نحن مع بعضنا البعض ولا توجد أية مشكلة، صدقيني، لم أكن أحلم بأكثر من ذلك، أن أكون في حضنك يوماً... هل تفكرين في الزواج؟ هل لديك نية الزواج بي؟

- كلا، لا نية لي بذلك، فقرارى لىس بىدى، لذلک أنا حزينة وقلقة على ما تُخبئهُ لى الأيام القادمة، وما على إلا أن أذفع ضريبة ما جنيته على نفسى فى ما مضى .

- أين هم والداك الآن؟

- والدى توفى ووالدى فى تل ألب، أصببت بالزهايمر وهى فى دار العجزة هناك، ويوماً بعد يوم يسوء وضعها الصفى.

- يا عزيزتى، لا تشغلى بالك بكل هذه الأمور ولا كدرى مزاجك بسببها، الحىة جمىلة وعبثى حىاتك كما ترىدىن، وهذا التفىير ضرورى لك، وهما قد اكتشفتم أموراً كثرىة لم تكونى تعرفىنها قبلاً.

- لىتنى لم أكتشف أى شىء، وهل أنا بىدى انى تعلقتم بك؟

- تأكدى بأنى لن أتخلى عنك، إلا أن أردتم أنتِ ذلك.

- لن أتخلى عنك، فقد أصبحت جزءاً منى منذ زمن، لكن لىدى طلب منك، إن كنت تقدرنى بالفعل أود أن أعىد لك تلك النقود التى أعطىتنى إياها وسأكون ممتنة وسعىدة إن وافقت على ذلك.

لم تتمالك نفسها ووضعت رأسها على ركبتى، حىث كانت تضع رجلاً على أخرى وهى جالسة على الأرىكة، فانزاح طرف فستانها عن ساقىها اللامعتىن وكأنها منحوتة رومانىة... حدقت فى وقالت:

- أود أن تعلم أن جماعتى باتوا يهتمون بك كثرىاً، وىعلمون بأنك كنت تستطىع بىع تلك النسخة من التوراة بأضعاف ذلك المبلغ الذى طلبته منهم، لكنك لم تفعل... وهم باتوا ىثقون بقدراتك لأبعد الحدود، لذلك ىحاولون بكل السبل كى تتعاون معهم.

- أود أن أسألك سؤالاً وأود أن تكونى صرىحة فى جوابك، أنتِ من أم ىهودىة وأب من بىشمركة سابقاً، هل لىدىك شعور تجاه كرديتك، هل فكرتم بهذا الشعب المظلوم.

- سأقول لك بأنى أرى نفسى كردية... نعم أنا كردية، كرديتى ممزوجة بكىانى من زمن بعىد، لكن أصبحت كقطعة ثلج وذابت فى غمار عملها، إلى فترة ما لا أهتم بمصالح أحد وكل ما أقوم به ىصبُّ فى مصلحة إسرائيل، وما زلت هكذا.. لكنى الآن قد تعلقتم بك وهذا ىخالف عملى وأنا متأكدة بأن رؤسائى غير راضىين عن ذلك وسىحاسبوننى على ذلك.

- هل سىطلبون منك ترك هذا المكان؟

- تأكد بأنني سأرفض طلبهم هذا ولن أنفذه... وما أقوله لك لا يدخل في خانة الألاعيب السياسية أو أنني اتظاهر أمامك بذلك... أنا تعلقت بك ولا أريد أي شيء منك، فأنا من ستدفع الضريبة إن حصل أي شيء وأنت لاعلاقة لك بكل ذلك... دعنا من هذا الحديث الآن، في الأربع والعشرين ساعة القادمة سوف تُقصف بغداد بصواريخ توماهوك وصواريخ باليستية وأسلحة أخرى غير معروفة مسبقاً، حيث سيتم قصف المراكز الاستراتيجية والحساسة التي تم تحديدها منذ زمن، وسماجمون بكل قواهم على أن يتم تحييد المدنيين عن ذلك الهجوم. لكن، تعرف بأن النار تخلف دخاناً وقد يسقط قتلى من المدنيين، لذلك أخبر أصدقاءك أو أقربائك هناك أن يخرجوا من بغداد بسرعة.

- أنتم مشاركون في ذلك الهجوم؟

- لسنا وحدنا فقط، إثنان وثلاثون دولة ستشارك في ذلك الهجوم.

- لكني أستغرب من هذا الرجل، وضعوا أمامه العديد من الخيارات كي لا تصل الأمور إلى هذه النهاية، لكنه رفضها جميعها... بحسب علمكم، فأنتم تعرفون الكثير من الأسرار... هل إختار هو هذا الطريق أم...؟

- ذلك الرجل لم يحسب حساباً لأيّ كان في كل حياته، فقط يتظاهر بالعظمة ويبرز شخصيته على أنه المخلص والوفي والمدافع ويحث الناس على رفع شعارات خَلبية عن سلطته وحكمه، فهو يعتقد بأن هذه الحرب ستكون كحرب الكويت وتتوقف، وسيظهر مرة أخرى على أنه بطلٌ قوميٌّ لكل العرب... أقول وأنا متأكدة من كلامي بأن هذه المرة ستكون نهايته المحتومة..

- سأقول لكِ بدوري معلومة... بداية لن تقدرُوا على الإمساك بذلك الرجل وسيخفي نفسه عن الأنظار... إلى ذلك الوقت سأذكرك بكلامي هذا...

- سنكّر، سأصاب بالجنون من وراء معلوماتك هذه، لأكثر من خمس سنوات ونحن نبحث عن تلك النسخة من التوراة وبكل إمكانياتنا وطاقاتنا، ولم نعثر عليها، وأنت خلال أيام جلبتها لنا... يا إلهي، كيف يحصل هذا؟

- أنتِ تبوحين لي بما في نفسك، وتأكدي بأنني أنا أيضاً لن أخفي عنكِ أي شيء، لكن ليس الآن، إلى أن يحين وقت ذلك... واعلمي جيداً بأن ليس لدي أية علاقة مع أي من الأجهزة الاستخباراتية هنا ولا في الخارج.

إتصلت (كّوارة) وكانت السعادة والفرحة بادية في كل كلمة تنطقها... وتشكرني على كل شيء قمت به لها، كذلك مدحت (لوسي) كثيراً لأنها تحرص عليها وتقف إلى جانبها. قلت لها: (فقط لأجل ذلك؟)

كنت متأكداً بأن (لوسي) قد أخبرتها بأني على علم أنهما يتشاركان الفراش، أردت أن تعترف أو تلمح هي الى ذلك، لكنها لم تقل شيئاً بذلك الصدد، لذلك قلت لها: - وهل ما زلت أنت ولوسي تتشاركان الفراش؟

- سنكّر، لا أحد يعلم بما جرى لي غيرك... كل شيء إن كان ذكراً، سواء أكان حيواناً أو طيراً لا أطيقه، لا أطيق الرجل معي في الفراش... كل يوم كان جسدي مباحاً لتلك الوحوش التي تسمى بشراً، لذلك لا أتوقع أن أنام مع رجل على فراش واحد طيلة حياتي...

- حتى أنا أيضاً؟

- أنت تستطيع أن تمتلك جسدي، لكن روجي ماتت منذ زمن.

- لوسي أيضاً كانت تقول ذلك، لكن ما رأيته من لذة عند لوسي لم أختبره مع أية

إمرأة أخرى في حياتي كلها... ألم تقل لك ذلك؟

- نعم، قالت لي... كيفما كان، متى ما أردت فأنا لك.

- أمزح معك... لكن لا تقطعي إتصالاتك بوالدتك، سأزعج منك إن فعلت ذلك.

ثم إتصلت بـ (هَلُو) وسألته عن الوضع في بغداد، فقال لي:

- الوضع عادي... لكن الناس قلقون وينتظرون ما ستؤول إليه الأمور.

- إسمعي يا (هَلُو)، أُخرج من بغداد بسرعة ولا تؤجل ذلك للغد.

- يا رجل، لدي الكثير من الأعمال هنا.

- أنا أحذرك فقط ولن أقول غير ذلك، فأنت لن تجد على الفرار سبيلاً منها بعد

ذلك.

أنتم إذهبوا من هناك واعبروا إلى سوريا، في هذه الأوضاع الشجاع من ينقذ نفسه، أنا ما زلت باقياً هنا وسأبقى... أكبر مساعدة تقدمونها لي هي ألا تظهروا أمام أحد، أطمئنكم بأنه بقيت لنا جولة أخرى بتلك الطريقة التي يعلمها الأعداء... أليس كذلك؟

- كل ما كنا نملك من دبابات وعتاد عسكري أخذوه كله... لم يقاوموا أبداً، وكأنهم مصنوعون من الرمل أو من الكارتون... سأبصق على رجولتهم هذه...

- بُني، الآن لا داعي لهذا الحديث، في كل الخسارات تحدث هذه الأشياء من خيانات وهروب وسيحصل في المستقبل أيضاً... أنا لم أقل أن أفعالهم ليست خاطئة ولا يشوبها أي نقصان، وجلّ من لا يخطئ، لكن ما يزعجني أن هذه البلاد ليست لي لوحدي بل وطن لكل هؤلاء الناس، وخاصة ذلك الجيش الذي يُقال عنه الجيش العراقي، لم يحترموا بأي شكل من الأشكال اللباس العسكري والعتاد الذي يحملونه معهم وكالحملان الوديعه بقوا في بيوتهم... أعلم ذلك والناس أيضاً تعلم هذه الحقيقة... أنا متأكد بأن الوقت والزمن لصالحنا وإن خطونا خطواتنا بذكاء فإننا لن نواجه الكوارث... انتم إحموا أنفسكم والباقي أتركوه لي... لا يجوز أن نكون مع بعضنا الآن...

كان قُصي صامتاً يسترق السمع... أراد عُدي التحدث لكن والده نظر إلى قُصي وقال له:

- ماذا تقول أنت؟

- أنا أرى بأن الأمر ليس بتلك السهولة... هذا الوضع الذي نحن فيه الآن ليس نتيجة خطأ من جنابكم أو منا نحن... فكلّ الجهات تتمنى زوالنا، الآلاف من الضباط الذين أقسموا بحياتك اختفوا ولن تجد أي منهم الآن، حتى أبناء عمومتنا وأقرباؤنا يتمنون سقوطنا، فلا يهتمون باحتلال وطنهم... حتى الأمس كانوا لا يملكون لا المأكّل ولا الملابس وأصبحوا على ما هم عليه بفضلك... هل ترى أحدهم حولك الآن؟ وأنا متأكد بأنهم لو علموا بأن أحداً لن يلمسهم بسوء فإنهم سيصبحون عملاء للعدو الواحد تلو الآخر...

- الآن ليس وقت للتشكي... اترك هؤلاء الآن... أنت وأخواتك بعيدون عن الخطر... أنا قلق ان كنتم معي... لقد حسبتُ حساب مثل هذا اليوم، لكن لم أتوقع أن تكون بهذه الطريقة الفظيعة...
- سقط صاروخ بالقرب منهم...
- إن بقينا هنا فإن الصاروخ التالي سيسقط فوقنا... (حبوش) بعيد جداً... لنفترق الآن...
- تغيرت ملامح عدي وقصي، لكنهم انفصلوا عن والدهم وهم يلبسون الزي العربي.
- بهذه الأوضاع قد يكون صعباً علينا الوصول إلى الموصل، وإن وصلنا إلى هناك، فهل سيساعدنا أتباعنا هناك؟
- يجب أن يساعدونا إن بقي لديهم القليل من النخوة، ذلك الأمر الذي تخاف منه سيكون كالطوفان ولن يبق حجراً على حجر... أنا أشك في الجميع ولا أثق بأي أحدٍ منهم، لي صديق كردي ومحل ثقة، أقترح بأن نتصل به ونعرف منه إن كان يستطيع مساعدتنا؟
- قد لا يوجد حل أمامنا وكما قبل (من الكثيرين لم يبق أمامي احد)... اتمنى أن يستطيع ذلك الشخص مساعدتنا.
- إتصل على هاتف الثريا مع (هلو).
- ألو... هل تعرفني؟
- وكيف انسى صوتك؟ تفضل وأمرني.
- لا أدري ما وضعك الآن؟ في هذه الأوضاع هل تستطيع الحركة؟
- أنت أمرني وأنا سأنفذ...!
- هل تستطيع المجيء إلى بغداد؟
- سأتي حالاً...!
- إن وصلت، إتصل بي... لكن، لا تقل شيئاً... أنا سأقول لك ماذا ستفعل.
- أنا بخدمتك.

¹ حبوش: طاهر جليل الحبوش الكردي، رئيس المخابرات العراقية في عهد صدام حسين... المترجم

إتصل (هَلُو) بـ (سنگر) وقال:

- بقي لدينا بعض المال لدى الناس، سأذهب إلى بغداد وقد أحصل منهم النقود.

- لا تُفكر أنك ستعود بسرعة، الوضع لا يحتمل مثل هذه الأعمال... إبق حتى يهدأ الوضع قليلاً.

- إتصلت مع بعض الأشخاص وهم مستعدون أن يدفعوا ما عليهم، لاضرر في ذلك، هي سفرة وسأقوم بها.

- إن كنت تسألني، سأقول لك: لا تذهب. وإن ذهبت، فأنت حرٌّ... وأرى من الأفضل إن عدت، أن نسوي حساباتنا، وفي حال عاد الوضع واستقر، سنعود للعمل مجدداً.

- أترك هذا الآن إلى أن أعود.

- متى ستسافر؟

- أنا في الطريق...

دبابات الجيش العراقي مركونة في الساحات، وبعضها الآخر تتحرك في الشوارع... المراكز الحكومية قددمرتُ كلياً... الشمس تلوح في الأفق وشارفت على الغروب... فور وصول (هَلُو) إتصل بهم وقال:

- ها قد وصلت.

- حسناً، إذهب إلى دوار تمثال أبو جعفر المنصور في الساعة الثامنة، سيأتي

شخص ليأخذك من هناك... ماهو لون سيارتك ونوعها ورقمها؟

بقي ساعتان على الموعد... إتصل ببعض التجار كي يحصل ديونه منهم... أحدهم أعطاه شيكاً لشهرين والبقية دفعوا ديونهم... له قريب في (كرين زون) أراد زيارته، لكنه لم يذهب. في تمام الساعة الثامنة توقف أمام المكان وأضاء المصابيح الرباعية في سيارته، وماهي إلا لحظات حتى أتت سيارة ووقفت بجانبه وقال سائقها له:

- إتبعني...

أطفأ المصابيح الرباعية لسيارته ولحق بالسيارة أمامه... اتجهوا صوب حي الأعظمية، ومن هناك دخلوا إلى عدة أحياء أخرى، توقفوا أمام بناءٍ مقابلٍ لقبر

الملك الفيصل... دخلوا إلى ذلك المبنى، وهناك كان رجل مسلح يعتمر دشااشة واقفاً أمام غرفة... فتح الباب... كان عدي وقصي وشاب في مقتبل العمر جالسين أمام مصباح زيتي...

استقبله عدي بضحكة، أما قصي، فكان الغضب والحزن بادياً عليه... إلى أن قال ذلك لقصي يا أبتى، حتى أدرك انه ابنه... جلب ذلك الرجل الذي أتى برفقته إلى الغرفة كأس شاي... قال عدي:

- الأخوة عندكم عليهم أن يكونوا سعداء الآن... أليس كذلك؟
- نعم، ارى ذلك... هذه هي السياسة، احياناً ما تكون فوق وأحياناً تكون تحت...
لكن هذا المثل لا ينطبق علينا، فنحن دائماً فوق...فوق. والحياة في حركة دائمة وأنا متأكد بأننا سنعود أكثر قوة من السابق.

رفع يديه الإثنتين صوب السماء وقال:

- قالوا: يا أعى ماذا تريد؟ قال عينين أبصر بهما... على أمل ذلك اليوم... لا أستطيع القيام بشيء، لكنني سأقدم روجي فداء لكم، وكل ما هو مطلوب مني سأقوم به.

- أنا أعرف مسبقاً أنك رجل المهمات والأيام الصعبة. لدي عمل لك وإن استطعت إنجازته سنكون من الشاكرين لك، وحتى والدي أيضاً لن ينسى لك هذا المعروف.

- أقول لك بأن روجي فداء لكم... أنت أمرني فقط.

- على حد علمي، أنكم أنتم الكرد، أغلبكم يحملون الهويات الأمريكية وتتحركون بحرية بموجهها... أليس كذلك؟

وضع يده في جيبه وأخرج الهوية الأمريكية ووضعها في يد عدي... نظر إليها وقال:

- هل تستطيع أن تُجَهِّز لنا أربع هويات كهذه وتوصلنا إلى الموصل؟

إرتشف رشفة من الشاي وقال:

- سهل جداً كما أشرب هذه الشاي. خلال يومين سأجلب لكم الهويات، لكنني أقترح أمراً آخر، إن كانت صوركم بالزي الكردي فذلك سيكون أفضل وحينها سأستطيع أخذكم بسيارتي إلى الموصل وأي مكان آخر تريدون.

- حسناً، من أين نحصل على الزي الكردي في ظل هذه الظروف؟
- غداً سأذهب وسأدبر أربعة أطقم من المدينة.
- بالفعل، أنت رجلٌ من صلب رجل... أتق بك تمام الثقة.
نظر إلى الشاب... فهم الشاب من نظراته ووضع حقيبة أمام عمه.
فتح عدي الحقيبة وسلط عليها ضوء المصباح، ثم أخرج منها ساعة يد كانت مصنوعة من الذهب والألماس، ثم قال:

- لوفائك وبطولتك أقدم هذه الساعة هدية لك، وإن عدت وأوصلتنا إلى الموصل سأهديك هدية أثنى من هذه... لكن، لدي عمل آخر عليك القيام به، سأعطيك امانة احتفظ بها لديك لمدة شهرين حتى أرسل لك شخصاً واسمه (جمال) إن قال لك كلمة السر (إثنان زائد إثنان يساوي خمسة عشر) حينها إعطه الصندوقين وهو بدوره سيجليهم لي.

- أمرك... إذاً، أمامي الكثير من العمل وعلي الذهاب وغداً مساءً سأعود إليكم.
- يارعد... ضع الصندوقين في سيارة (هلو).
خرج من ذلك المكان ورأى من الأفضل ألا يذهب إلى الفندق وأن يذهب إلى بيت قريب له.

في الصباح الباكر توجه إلى هولير... في الطريق تذكر الصندوقين، ترى ماذا في داخلهما، نقود، ذهب ومجوهرات، كيماوي، أو أسلحة؟ أي شيء كان، فقد وافق على حمله، قال في نفسه: سأحتفظ بهما لمدة شهرين وإن لم يبعث أحداً، سأبقمهم شهرين آخرين، وبعدها إن لم يأت أحد فسأضعهما في قبو بيت (سنكر) حتى نرى ما سيجري بعدها...

عندما اقترب من هولير إتصل بـ (سنكر):

- ها أنا في هولير وسأتي إليك فوراً.

- حسناً، أنا بانتظارك.

التصفيق والتهنئات وتظاهرات الفرحة تعم الشوارع... بعد سقوط صدام أصبحت تلك التظاهرات تُقام يومياً والبعض يطلقون العيارات النارية فرحاً وغبطةً بذلك.

- ماهي الأوضاع في بغداد الآن؟

- تحولت إلى أنقاض وتشم رائحة الموت من كل مكان فيها، عدتُ كما ذهبت بيد

فارغة، فلم يدفع لي أحدٌ ديوني... هل تتذكر ذلك الرجل مدير مكتب (الأستاذ)؟

- كانوا إثنين... أيهم تقصد؟
- ذلك الذي كان يجلس خلف الطاولة، كان سميناً قليلاً.
- نعم... نعم... تذكرته.
- لا يجد حتى حفرة كي يخبئ فيها، إتصل بي وكان يرتجف من الخوف... أشفت عليه كثيراً.
- من يأكل العنب عليه أن يتحمل عصا الناطور أيضاً.
- لقد وافقت على أن أحصل له على هوية، وأعطاني صندوقين كي أحتفظ بهما لمدة شهرين لدي، وإذا هدأ الوضع فسأرسلهما له مرة أخرى.
- ألم يقل لك ما بداخلهما؟ خشب، حجر، قنابل، سم، كيماوي... كان عليك أن تسأله.
- خجلت أن أسأله... ما الذي سيكون بداخلهما يعني... لا يهم... لنضعهما في السرداب عندك حتى نجد لهما حلاً.
- (هَلُو) سرد سفرته إلى بغداد بشكل متقطع، بدون أن يذكر أنه رأى عُدي أو قُصي... لم أتمالك نفسي، فقلت له:
- على المرء أن يبتعد عن هؤلاء القتلة، فأيديهم ملطخة بدماء الأبرياء... وضعت نفسك بيدك في النار وستحرقك هذه النار.
- يا سنكر، إنهم في ظرف عصيب، وأرى من واجبي مساعدتهم، لقد وعدتهم وسأفي بوعدتي لهم... وسأساعد ذلك الرجل...
- أنا قلت لك وأنت تذكّر كلامي، ستري أنهم سيلدغونك كالعقارب.
- أترك هذا الكلام الآن ولنحدث في المهم... كل ربحك من تجارتنا في الفترة الماضية هو أربعمائة وخمسون ألف دولار ورأسمالك كان خمسمائة ألف، أي المجموع هو تسعمائة وخمسون ألف دولار... بعد ساعة سأتيك بتلك النقود...
- ذهب (هَلُو) ... إتصلت بي (لوسي) وقالت:
- وصلتُ هذا الصباح إلى هولير، وطبعاً أنا قادمة من بغداد... يجب أن نلتقي في المساء.
- علمت أن (هَلُو) إشتري أربع اطقم من الزي الكردي وأخذهم معه إلى بغداد، وباتفاق مسبق، ذهب والتقى بـ عُدي وقصي، لكن هذه المرة في مكان آخر، وأرشدهم كيف يلبسون الزي الكردي ليتم تصويرهم، إتفقوا في الصباح على أن يأخذ رعد

الصور إلى (هَلُو) وقام بذلك... إستطاع (هَلُو) تجهيز الهويات لهم وأرسل خبراً كي يخرجوا سوية من بغداد إلى تكريت ومن ثم إلى الموصل... قال لهم (هَلُو):
- في كل نقطة تفتيش، إن كانوا من غير الأمريكيين، كيفما سألوكم أجيبوهم (نازانم) بالكردية تعني لا أعرف... أي أنكم لا تعرفون العربية. وعلمهم كيف ينطقون تلك الكلمة بالكردية...

على طريق بغداد وتكريت لم توقفهم أية دورية، عدا دورية واحدة أمريكية وهم بدورهم طلبوا هوية (هَلُو) فقط... كان (هَلُو) يخاف من الدوريات في تكريت، فقد يتعرف أحدهم هناك على عدي وقصي، إلا أنهم خرجوا من تكريت أيضاً بسهولة. أصبحوا على مقربة من الموصل، وهناك وضع قُصي يده على كتف (هَلُو) وقال له:
- توقف. أنا حاصرٌ ويجب ان أنزل للتبول... ألا تنزل أنت أيضاً؟
- نعم، لكنني خجلت منكم وكنت أمسك نفسي بصعوبة.
- إبتعد قليلاً عن الشارع كي لا يرانا الناس ونحن نتبول واقفين وبهذا الزي الكردي.

إبتعد (هَلُو) قرابة مائة متر عن حافة الطريق، وحين كان على وشك فتح أزرار بنطاله، أخرج قصي مسدسه وأطلق عليه رصاصة أصابته في رأسه، مما جعلته يسقط على مَيّتاً دون أية حركة، أخرج قصي مفتاح السيارة من جيب (هَلُو) وكان عُدّي غاضباً من هذا التصرف، حيث قال له:

- حسناً، لماذا فعلت ذلك بهذا الرجل؟ لأنه ساعدنا؟ هل تعلم بأن رصاصتك تلك كانت سبباً في خسارتنا لستة ملايين دولار في الصندوقين الذين سلمتهما إياه؟
- أعلم بذلك... لكن هناك ما هو أهم من الستة ملايين دولار... ألا تعلم بأننا نمر بظروف صعبة للغاية. أولاً: هذا الرجل كردي. وثانياً: له علاقات مع الأمريكان، وعقلي وتفكيره يقولان لي بأن رجلاً كهذا يجب ألا يعلم بمكاننا أو إلى أين سنذهب... فلا تهتم دولاراتك، وإن عدنا فإنها ستعود لك، وإن لم نعد فإننا سنكون في خطر من ورائه، لذلك كنتُ مضطراً لقتله ووجب علي فعل ذلك. وتعلم بأن مائة شخص يُقتلون أحياناً في سبيل قتل متهم واحد، وإن عدنا إلى السطة فإننا حينها سنقلده وسام الرافدين ونجعل منه شهيداً من شهداء الوطن، وهل قمنا بأعمال قليلة كهذه؟

حاولنا كثيراً كي نضع إسمك بين أسماء اعضاء مجلس الحكم، لكن الأخوة الكُرد عارضوا بشدّة إقتراحنا ذلك... أنت لست معروفاً من قبل الناس ولم تكن بين صفوف المعارضة ضد صدام ولا أحد منهم يعرفك ووجودك في المجلس سيضعف ثقة الناس به، لذلك لم نصر نحن أيضاً على اقتراحنا، لكننا وضعنا إسمك ضمن الكتلة الوطنية ومن بين مائة شخص تم انتخابك ونحن نبارك لك ذلك، وأصدقائي سعيديون بذلك ويريدون أن يلتقوا بك ويجب أن تأتي معي إلى بغداد.

- بهذه الطريقة، فأنا لا أحسب من بين الكُرد وأنا بتّ رجلكم هناك وانتهى

الأمر؟

- سنكر، لا تفكر بتعصب في مثل هذه الأمور... فالكثيرون من الأسياد في هذا الوقت يتمنون أن يصبحوا تابعين لنا، لكنهم ليسوا محل ثقتنا، فأغلبهم لديه علاقات مع العديد من أجهزة الاستخبارات وبعضهم يتقاضون رواتب شهرية عن تبعيتهم لتلك الأجهزة، منهم أحزاب ومنظمات وجماعات وحتى أفراد، فملفاتهم كلها مكشوفة لنا ونعلم ماضيهم وحاضرهم أيضاً... دعنا من هذا الآن ... هل تعلم بعد تلك الليلة معك، بتّ أرغب أحياناً بالرجال، وأقول الحقيقة لك بأنني منذ ذلك اليوم لم أمارس الجنس مع أي رجل، ولم أحن (كّوارة) أيضاً، فلنا أشهر نعيش مع بعضنا وأسسنا حياة معاً وبتنا متماشيتين مع الوضع الحالي.

- الممارسة معي لا تحسبها خيانة، لأنني أعلم بكل شيء من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن (كّوارة) هي إبنة خالتي وأنا كتبت كتابك عليها، فهي لا تعد ممارستك معي خيانة وأعلم تمام العلم بأنها لن تنزعج منك لأجل ذلك.

- ما هذا...؟ وكأن دماء السحرة والمشعوذين تجري في عروقكم...! فلا أدري ما سر هذه الجاذبية فيكم؟ فقد مارست السحاق مع مئات البنات، لكنني لم أجد لذة تضاهي الممارسة مع (كّوارة). وبعد كل تلك السنين ولأول مرة في حياتي أشاركك الفراش وها هي المرة الثانية، وأيضاً لم أر لذة تضاهي لذة الممارسة معك... (شوخوا) محقة أنها أغرمت بك ووصلت إلى ما وصلت إليه...

- لماذا...؟ وهل تعلمين بما تضمّره (شوخوا) حتى تقولين ذلك؟

- أنا و(شوخا) منذ زمن نعرف بعضنا البعض، وتعاونًا فيما بيننا في الكثير من الأعمال، وأنا التي وضعت (شوخا) في طريقك، وها هي أحبتك وأغرمت بك ورؤساؤها غير راضين عن تصرفها هذا، فنحن لا يحق لنا الزواج وإقامة العلاقات مع الرجال، إلا إذا كبرنا بالعمر، وحتى ذلك أيضاً يجب أن يكون بموافقة الجهاز... (شوخا) تمردت على هذه القوانين، وأنا أعلم أنها تحبك لدرجة العشق، في السابق اقامت علاقات مع الكثير من الرجال، لكننا الآن تعلقت بك فقط.

- أما زلتِ في باريس؟

- أتواجد في باريس أيضاً، لكن أغلب أعمالي في السفارة ببغداد وإذا رأيت ان الوضع سيستقر على ما هو عليه فسأجلب (كواره) أيضاً إلى هنا، فأنا لا أتحمل حياتي من دونها.

تعلمت كيفية احتساء الخمر، واتكيت الأكل والشرب، وكيف أتعامل مع النساء... على المرء أن يكون على دراية حين يقدم بالممارسة مع امرأة مسترجلة وقادمة من أوروبا، ففي أول ممارسة لي معها وضعت الدفة في يدها، لم أرغب ان أجرحها برجولتي الفجة ومارست معها بلطف أنثوي... في المرة الثانية أحسستها بأنها من بين القليلات اللاتي لديهن ذلك الشبق الجميل. أردتها أن تُدرك بأنها أنثى بكل ما للكلمة من معنى، وأن تمارس الجنس مع الرجال بدون خوف وان أبعدها عن الصورة التي خلقتها في مخيلتها عن الرجال...

بقينا مع بعضنا لوقتٍ متأخر... أصبحت (لوسي) وأصدقائها كأسايدٍ لحي كاملٍ في هولير، حيث مقرهم مُحاط بجدران عالية من الإسمنت المسلح، وسلسلة من الحراس يحرسونه وممنوعُ الإقتراب لأي كان من ذلك المكان.

- متى نذهب غداً؟

- بعد العاشرة سننطلق بست سيارات.

خرجت لوسي، وجعلتني أفكر في الترشيح لعضوية البرلمان...

أعلم أن كل نجاحاتي هي بفضل (دغدو) وإلا، فإن المئات والآلاف من استاذة الجامعة أجدر وأحق مني، لكنهم أصبحوا أساتذة مدارس في القرى النائية، وكنت أنا أيضاً سأصبح مثلهم لولاها، وقد يختلف وضعهم عما هو عليه. فرييس الجمهورية السابق كان من أحد زعرانية وحاملي السكاكين في حارات كرخ والفحامة،

والحاليون، بعضهم كان يبيع الخواتم والمساح، والبعض الآخر رجال دين، وآخرون منهم كانوا يغسلون الصحون في مطاعم أوروبا... وأنا، ما الذي ينقصني...؟ لست بأقل منهم إن لم أكن الأجدر طبعاً...!

أتتني (دغدو) وقالت: (حقيقة، هناك بعض الأشياء تحدث صدفة، وتلك الصدفة ليست بعيدة عن حكمة الله، والحكمة فيها أنها من الله، وهو يحدد من الأجدر بتلك الصدفة، فإن كان قبري في غرفة شخص آخر، كنت سأتعامل معه بنفس الطريقة التي تعاملت فيها معك... ذلك سرٌّ لا يعلمه إلا الله... أنت من الأشخاص المهمين ولا تستهن بنفسك. ففي المستقبل القريب، ستري أغلبهم يستولون على ممتلكات الدولة ويسرقون بدون وازع من ضمير... أناس أبرياء يُقتلون في هذه المعركة ويتم نهبهم... أود أن تعرف أن شريكك (هلو) لم يكن صادقاً طمع في أموالك ومن ثم اراد ان يهرب إلى أوروبا، حيث قام بجمع كل ديونه... حتى أن مربحك من تلك التجارة بينكما أكبر بكثير من الرقم الذي قاله لك، وذلك الصندوقان اللذان وضعهما عندك، ليسا لذلك الشخص الذي قال عنه، إنهم لِعُدي وفي داخلهما ستة ملايين دولار...!)

- حسناً، منذ أيام لا أخبار من (هلو)؟

- (هلو) أصدر هويات أمريكية لكل من عُدِّي وقُصِّي وابنه، وأراد أن يوصلهم إلى مدينة الموصل وألبسهم الزي الكردي، وبالقرب من الموصل، قتل قُصِّي (هلو) كي لا يكشف أحد مكانهم أو يعثر عليهم أحد.

- وأين هي جثته الآن؟

- حتى البارحة كانت جثته في الخلاء على الطريق، إلى إن رآها راعٍ هناك وأخبر الشرطة، وهي الآن في الطبابة الشرعية في الموصل ومكتوب عليها أنها جثة مجهولة الهوية.

- إتصلت بـ (تحسين):

- ألو، تحسين أين انت؟

- كنتُ خارج البيت... لماذا؟

- تعال إلى هنا.

- أنا قادم.

إتصلتُ (شوخا) وقالت:

- لثلاثة أيام وأنت لا تداوم في الكلية، هل هناك خطب ما؟

- أنا مشغول قليلاً... سنلتقي في المساء.

أتى (تحسين) وقال:

- ما بك يا سنكر، أراك مضطرباً، هل حدث شيء ما؟

- لقد سمعت خبراً سيئاً... (هلو) قُتل...

- أكيد المديونين هم من قتلوه؟

- كلا، ليسوا هم، قال لي في اليوم الذي سافر فيه إلى بغداد أن مدير مكتب

عُدي طلب منه أن يحصل له على هوية أمريكية وأوصله إلى الموصل. نصحته كثيراً

كي يبتعد عن هؤلاء، لكنه لم يعمل بنصيحتي، وكان يقول: ستكون قلة شهامة مني

إن طلب أحد ما مساعدتي ولم أقدمها له. وتبين انه أوصل عُدي وقُصي إلى الموصل،

وفي الطريق قاموا بقتله... لا تخبر أحداً هذه الحقيقة، لأنهم سيقولون بأنك شريك

ومتعاون معهم، وسترى الضجة التي ستحدث في الإعلام إثر ذلك.

ضرب (تحسين) يديه على رجليه وقال:

- وهل هناك عاقل يقوم بذلك؟ في هذه الأيام من يمتلك ذرة عقل لا يقترب من

هؤلاء الوحوش.

- نصحته كثيراً كي يبتعد عنهم، لكنه أبى إلا أن يقوم بذلك، وها هي النتيجة...

إذهب واسأله الآن، ها هو في الطبابة الشرعية في الموصل، حتى لا أحد يعرف لمن

تلك الجثة... أنا لا أعرف أحداً من أقربائه، هل تعرفهم أنت؟

- أعرفهم جميعاً، لديه أقرباء جيدون وأغلبهم يقيمون في السليمانية.

- إذاً، أخبرهم. لكن إياك ان تذكر إسم عُدي وقُصي، فقط قل لهم بما قاله لنا

أنه قام بتوصيل مدير مكتب عُدي إلى الموصل... كنتُ قد قررت السفر إلى بغداد

غداً، لكنني ساؤجل السفر وأتي معك إلى الموصل.

إتصلت بـ (لوسي) وقلت لها:

- ألو... لوسي، قد لا أستطيع المجيء إلى بغداد غداً، فقد قُتل صديق لي... هل

نستطيع أن نؤجل تلك السفارة لثلاثة أيام؟

- أجل، سنؤجل السفر، لكن عليك الإتصال بي يومياً، وسأقول لأصدقائي أنه على استعداد للمشاركة في البرلمان، وسأنتظر قدومك.
- رنّ هاتفي مرة أخرى وكانت (شوخا):
- لم تأتِ؟
- ها أنا عند الباب.
- (شوخا) بابتسامتها الجميلة التي يشوبها الحزن، كانت تصطنع الفرح بقدومي...
- امسكت بأذني وبدأت تقبلني.... (لا يليق بك الحزن)
- علي أن أكون حزيناً، قبل ساعة من الآن سمعت خبر مقتل صديق لي، وحتى الآن لم تصل جثته.
- من قتله؟
- تصرفاته هي التي تسببت بمقتله... غداً سأسافر إلى الموصل كي نأتي بجثته من هناك، وبعد ثلاثة أيام سأسافر إلى بغداد وقد أبقى هناك لفترة طويلة، وسأعود في أيام الجمع فقط إلى هولير.
- وماذا سأفعل هنا بدونك؟ لماذا ستذهب؟ هل أصبحت من موظفي الدولة؟
- هناك قرار كي أصبح عضواً في الكتلة الوطنية، أي عضو في البرلمان.
- مبارك... لكن تذكرني أيضاً، فلا أتحمل بعدك عني.
- لا تقلقي... سنجد حلاً لذلك.
- أصدقائي طلبوا مني كي أدعوك لزيارة تل أبيب.
- اشكركم نيابة عني وقولي لهم أن تكون دعوتهم مفتوحة، ففي هذه الظروف قد يكون ذهابي إلى تل أبيب صعباً... وهناك متسع من الوقت وسيحين الوقت لذلك.
- رنّ هاتفي مرة أخرى وكان القس (ستيفان):
- أخ سنكّر، نحن في الكنيسة نقيم ندوة كل سنتين مرة، ونقوم بتكريم الأشخاص الذين ساعدوا الكنيسة في السنتين الماضيتين، وأنت من أكثر الذين قدموا يد المساعدة في الفترة الماضية، لذلك سنكون سعداء إن شاركتنا هذه المناسبة، حتى يعلم الناس أن هناك اناسٌ خيرون من أمثالك في هذا البلد.
- أشكركم جزيل الشكر. لكن، صراحة لا أستطيع المشاركة لسببين، أولهما أنني لا أحب الظهور أمام الناس أنني أقوم بأعمال خيرية. وثانياً، إلى الآن لم أقم بمساعدة

الجوامع، ومتى ما تبرعت للجوامع أيضاً، حينها يحق لي المشاركة في هذه الندوات... على كل حال، أشكركم وسأكون سعيداً إن لم تذكروا إسمي، وأتمنى لكم التوفيق.

كقطة أليفة وبغنج ودلال جرت (شوخا) نفسها إلى حضني وقالت:

- سأقول لك شيئاً... إن وعدتني أن لا تتخلى عني، فإني سأترك ذلك العمل.

مررت يدي بين خصلات شعرها بلطف وقلت:

- (شوخا)... لم تحاولين خلق المصاعب لنفسك، كوني منطقية في تصرفاتك

وقراراتك، لأنك ستعرضين نفسك للمشاكل، فها نحن نلتقي ولا أعتقد أننا سنتخلى

عن بعضنا... لا أود أن تؤذي نفسك بقرارات متسرعة، وفكري جيداً قبل إتخاذها...

كلامي هذا لا يعني أبداً أنني لا أحبك، لكن أنتِ لست بجاهلة ومررت بتجارب كثيرة...

ألا تتذكرين أنك قلت لي مراراً أنكِ عاشرت الكثيرين، حتى أنكِ بتِ لا تتذكرين إن

رأيهم يوماً؟

- لستُ غبية، وأعرف بأنني لست نظيفة إلى ذلك الحد الذي أضع فيه شروطاً

ولا أود أن أفرض نفسي عليك، فقط أعطني مهلة كي اعيش في عالم الحب معك، لا

تجعلني يائسة في حياتي... فقط هذا ما أطلبه منك، وهذا يعني لي الكثير، فقد تبين لي

أن الله بدأ بالانتقام مني على أفعالي السابقة. صحيح، لقد أحبني الكثيرون، لكن ما

كنت لأشترتهم بفلس واحد، حتى أنني كنتُ أضحك عليهم إلى حد ما، وها أنا أدفع

ضريبة ذلك وبدأت أضعف... هذا ما حصل لي، وليس بيدي ما أشعر به الآن.

- على كل حال، فكّري جيداً قبل الإقدام على أي شيء، أنتِ لست إنسانة

عادية وعضوة مهمة في جهاز الموساد، وبتفكيرك هذا سوف تعرضين نفسك لعواقب

كثيرة.

- إن كان الحب جريمة، فأنا جاهزة لكل العواقب... أود أن أخبرك بأنني أنا أيضاً

أمامي سفرة إلى بلادي. لكن، سأقول لك معلومة، الاستخبارات الإيرانية

(الإطلاعات) تتحرك بقوة هذه الفترة وقد إشترت الكثير من الدماء وخاصة خلال

الحرب العراقية الإيرانية، وخاصة مقر أمرية رمضان فقد اختاروا قائمة مطولة

جديدة بأسماء أشخاص يريدون اغتيالهم والقبض عليهم، وصاغوا برنامجاً لترويج

المواد المخدرة في كردستان، وإن بقي الوضع على ما هو عليه فإن أعداد المدمنين

سوف تزداد بشكل مريع، وهناك شخصيات معروفة في المدن الحدودية يديرون هذه

التجارة، لكن لا أدري لم السلطات الكردية والعراقية في بغداد يهملون هذا الأمر. هذه التجارة ستجلب آفة للشباب وإن انتشرت كما يخططون فإن العلاج سيكون صعباً حينذاك.

- أتركي هذا الأمر إلى أن أذهب إلى البرلمان، حينها سأبحث في الموضوع بشكل مطول ومفصل وسأثيره هناك.

- وهل سيسمعون كلامك؟

- إن سمعوا كلامي أم لا، فأنا سأقوم بما يمليه عليّ ضميري... قلت بأنك ستسافرين أيضاً؟ أي أننا لن نرى بعضنا في الأيام القادمة... أنا ذاهب الآن.

- لا تذهب، دعني أخذ كفايتي من حضنك الدافئ ما يكفيني للأيام القادمة.

- أيتها الغالية على قلبي... ليس الآن.

صباحاً، وصلنا برفقة أقرباء (هَلُو) إلى الموصل، لم أكن أعرف أحداً منهم، أمسك (تحسين) بيد أحدهم وأراد أن يعرفني عليه:

- هذا (جابوك) أخو المرحوم.

- للأسف، لقد خسرناه... لا أعرف إن كنت على دراية بعمله وتجارته... ألم يقل

لك شيئاً عن سفرته الأخيرة إلى بغداد؟

- في إحدى الأيام، عاد مسرعاً من بغداد واشترى أربعة أطقم من اللباس الكردي وعاد بنفس العجالة إلى بغداد، سألته لم هذه العجالة ولمن هذه الثياب؟ لكنه لم يجبني... الظاهر إنهم قتلوه.

- لا تقل هذه الأشياء أمام الناس، فالإعلام والصحافة لن يتركوك بحالك وسيعكرون عليك حياتك.

- حتى الآن لم أقل لأحد ذلك.

- أعذك بأن دمه لن يذهب هدرًا، لن أكون رجلاً من صلب رجل إن لم آخذ بثأره.

إستلمنا جثة (هَلُو) وعدنا مباشرة إلى السليمانية، بقيتُ يومين في مراسيم العزاء ومن هناك توجهت إلى بغداد حيث تنتظرني (لوسي).

وجهتني كي أذهب إلى الباب الرئيس لـ (المنطقة الخضراء) الحالية والقصر الجمهوري السابق، فعربة هامر عسكرية تنتظرني هناك، أخذتني تلك العربة إلى

مكتب (لوسي)... لم تمض برهة حتى دخل شخصان آخران إلى المكتب، ومن الظاهر أنهم أرفع رتبةً من (لوسي)...
نظر أحدهم إلي وقال:

- أخ سنغر، سأحدث معك بكل صراحة... نحن وصلنا إلى قناعة تامة أنك لوحدك تستطيع إدارة جهاز كامل، وحتى الآن قمت لنا بعملين عظيمين ونحن مستغربون من ذلك، لذلك، فإننا نطمح أن تساعدنا أكثر ومتأكدون أنك قادر على ذلك... كيف؟ إلى الآن لا نعلم...! فأنت تعلم أننا نخوض حرب شرسة ويومياً يُقتل العديد منا، ونعمل بكل طاقتنا حتى نعرف مكان الخمسة وخمسين شخصاً من أزام النظام. ألقينا القبض على البعض منهم. لكن الأهم من الجميع هم صدام حسين وأبناؤه، يوماً تصلنا مئات البلاغات عنهم، لكن كلها كاذبة، وحتى إن أخبرنا هؤلاء الكذابون مرة أخرى بأية معلومات جديدة، فنحن مضطرون لمتابعة هذه المعلومات، ولذلك نطمح في تعاونك معنا.

- منذ زمن بعيد هناك خوف في داخلي، لا أدري هل أبوح به أم لا؟!
- من البداية قلت لك، علينا أن نتحدث بوضوح، أنا جاهز للإصغاء إليك.
- أنتم الأمريكيون معروف عنكم أنكم لا تحافظون على أصدقائكم، فإن لم تبق مصلحة لكم معهم، تسلمونهم للذئاب الجائعة كي ينهشوهم وليحصل لهم ما يحصل.

- أمريكا لم تكن ولن تكون هكذا... هذا الكلام لا ينطبق على أمريكا لا الآن ولا في السابق، هذا كلام ملفق من قبل أعداء أمريكا.

- كلا... لستُ عدواً لأمريكا، بالعكس، أنا صديق لها. لكن للأسف، هناك أمثلة كثيرة على كلامي هذا، ففي سنة ١٩٧٤ تمت إتفاقية الجزائر التي صاغها وزير خارجيتكم هنري كيسنجر وقتذاك، تم إراقة دماء آلاف الشهداء الكرد ووضعتهم مصير شعبنا بالكامل وبدون رحمة في يد الأعداء... وفي سنة ١٩٧٩، النظام الإيراني الذي كان من أكبر حلفائكم في المنطقة، وضعتموه ككعكة تقطعه السكاكين الحادة من كل صوب، ولم تتوقفوا عند ذلك فقط، وإن لم يهرب الشاه إلى مصر ويستقبله أنور السادات لكنتم سترسلونه مقيد الأوصال إلى إيران... خذ هذه الأفعال كلها بعين الاعتبار... فكيف أطمئن على أنكم ستحافظون عليّ وتحمونني؟

كانت (لوسي) والرجل الآخر جالسين يسترقان السمع لحديثنا وينظرون إلى بعضهم البعض كمن يقول للآخر: (هيا اجبه)
قالت لوسي:
- الدول لا تفكر كالأحزاب والأفراد... احياناً الإستراتيجية السياسية تتطلب منك إتخاذ بعض القرارات وتكون مجبراً عليها.
- حتى وإن خَلّفت تلك الإستراتيجية آلاف الضحايا؟
- على كل حال، العالم تغير... الألفية الثالثة مختلفة عن الألفية الثانية... هذه الألفية هي ألفية حرية الشعوب والعالم الديمقراطي، وكما ترى، إنه عصر نهاية الدكتاتوريات في العالم... ثق بنا وبوفائنا لوعودنا...
- أنا سأساعدكم.. لكن كل الناس لا يفكرون مثلكم، أنا شخصياً لدي حساب خاص سأصفيه مع عُدي، وسأضعه بين أيديكم بأقرب وقت.. يجب أن ينال جزاء ما اقترفت يداه.

تم إنتخاب مائة شخص من كل أرجاء العراق، بقومياتهم وطوائفهم الدينية ليكونوا أعضاء في الكتلة الوطنية المركزية في البلد والتي تمثل البرلمان العراقي. كلُّ شارك بطريقته وحدد أعضائه لأجل ذلك. الملفت في الأمر أن غالبية الجبهات السياسية رشّحت أعضائها البارزين لذلك، في الوقت الذي كان هناك أشخاص جديرون أكثر منهم. لكن، من الواضح ان تلك الشخصيات البارزة تسعى وراء مصالحها ومنافعها فقط.

والملفت في الموضوع أكثر، أن تلك الكتلة الوطنية أشبه بمضافة منها إلى برلمان، والبعض منهم جعلوا أنفسهم وصايا وأصحاب القرار فيه، كل القرارات- إيجابية كانت أم سلبية- يجب أن يوافقوا عليها أولاً، ولكل منهم أتباع في داخل المضافة ويحاولون بشتى السبل إبعاد الجديرين عن اتخاذ القرارات وإهمالهم حتى يُظهروهم أنهم لا يعرفون شيئاً، وإن خرج أحدٌ من هؤلاء الجديرين وتمرد على قراراتهم، يحيلونه إلى حزبه ويضعون أمامه العراقيين حتى لا يُعيد الكرة مرة أخرى... هذه المرحلة الجديدة بعيدة كل البُعد عن قيم الديمقراطية، ناهيك عن وضع الحلول للمشاكل التي يمر بها البلد. والنتيجة، أن عضو البرلمان، أصبح كموظفٍ في شركة ويعمل من أجل مصالحه فقط.

الأغرب من كل ذلك، كان أسلوب القَسَم، بوضع اليد على القرآن ويحلفون على الحفاظ على البلد، لكن البعض منهم مصالحه فوق مصالح كل العراق وتاريخه... أما البعض الآخر، فهو مرتبطٌ وملتزمٌ مع دول الجوار... أنا ككرد، إن لم تُصان حقوق شعبي في العراق، فكيف سأقسم زوراً وبهتاناً؟ ماذا سأقول لشعبي إن أقسمت ولم أفعل لهم شيئاً؟ المحصلة، أن الجميع أقسموا زوراً وبُهتاناً، والكذب كان على أعلى مستوياته... تمت صياغة الدستور وتم الإتفاق فيه على بعض النقاط في مصلحة الشعب الكردي، بعض الكُتل تدمرت من ذلك ولم تستسغ تمرير النصوص الواردة في ذلك الدستور، وهناك صراع خفي في أروقة تلك المضافة ويتجه البعض لعدم الإعتراف بتلك النصوص، الكُتلة الكردستانية، تدمر من تلك التصرفات وتُعارض ذلك، لكن اعتراضاتهم تلك تُهمل عن عمد. بدايةً يتناقشون

بكل هدوء على النقاط التي تحافظ على مصالح إيران، وبعدها يحتدم النقاش حين يتم الحديث عن حقوق الشعب الكردي، ويوماً بعد يوم، الستارة الشفافة تكشف عن المزيد... اعضاء ومسؤولون في الدولة يزورون إيران بشكل دوري وأحياناً خفية أيضاً، والأمريكان على اطلاع تام بتلك الزيارات، ويحاولون جاهدين الإتصال بهؤلاء... أغلب الكُتل في المضافة تتحرك لعقد تحالفات وجرّ طرف لمواجهة طرف آخر... بالنسبة لنا نحن الكرّدي، مع أننا نسعى لتثبيت النقاط الواردة في الدستور بصدد حقوق الشعب الكردي، إلا أننا نجد بين الكرّدي أنفسهم من يقيم علاقات خفية مع الكتل الأخرى بوسيلة أو بأخرى ويعتبرون ذلك حنكة سياسية منهم ومن مبدأ (يوم لك ويوم عليك). لذلك الأمريكان يواجهون عدم الوضوح في الرؤية لتحديد حقوق الكُتلة الكردستانية.

أنتني (دغدو) وقالت:

- ما خطبك؟ أراك مضطرباً وقلقاً، هل حدث شيء لك؟

- أنت تعلمين بكل شيء وتساليني.

- الظاهر أن الجماعة يريدون صدام وأبناءه بشتى السبل وأملهم بك كبير، ماذا

ستفعل بشأن ذلك؟

- لن أتوانى في ذلك، من تلطخت أياديهم بدماء آلاف الأبرياء يجب ان ينالوا

جزاءهم.

- أئهم أهم بالنسبة لك وتريد معرفة مكانه؟

- الأهم من الجميع هو صدام حسين والعالم كله ينتظر ذلك... لكن أود قبل

أي شيء أن أصل لقتلة صديقي (هلو) وأقدمهم للعدالة.

- هم أربعة أشخاص ويقيمون في حي () في منزل قريب لهم واسمه (رعد ناصر)،

وكي لا تقتلوا زوجته وأبناءه معهم، أخرجوه بطريقة ما من البيت واعرضوا عليه

المال والرشوة، فهو جشع وطماع لأبعد الحدود وسيرضى بالعرض الذي ستقدمونه

له.

إتصلت بي (لوسي) وقلت لها:

- أنا على وشك الإتصال بك... أنا قادم.

كانت قد وضعت إسمي في الاستعلامات على الباب الرئيس للسفارة، تقدمني شخص حتى أوصلي إلى مكتب (لوسي)... كانت ركوة وأربعة فناجين قهوة على الطاولة، صبت (لوسي) فنجانين وقالت:

- لقد انتهيت من إجراءات مجيء (كوار) وغداً ستصل إلى هنا، ولا تود زيارة

السليمانية..

- وأنا...؟

- هي تود رؤيتك... لم تقل لي، ما أخبار البرلمان؟

- البرلمان أم المضافة؟

- الإثنين.

- برأيي أن هذا الصراع سيطول... لأكثر من ثمانين عاماً والعراق مبني على أساس من اللامساواة واللامساواة، ولا أتوقع أن تُحل الأمور في سنوات قليلة، فهذه العجينة بحاجة إلى الكثير من الماء، فالإرهاب بدأ ينتعش. كما بدأ الناس يتدمرون من سياستكم في البلد، وما يدعو للإستغراب هو تقديركم لأتباع إيران أكثر من أصدقائكم، سياستكم هذه سوف تضركم الآن وفي المستقبل.

- ما تقوله الآن سمعناه من مصادر أخرى أيضاً، هذه السياسة ليست

إستراتيجية، بل مرحلية ومعروفة الآن بمبدأ (هات و خذ).

- إن كان كذلك... ماذا ستعطوني إن وضعت عدي وقصي بين أيديكم؟

- ألا تعلم ما سنمنحك؟

- بلى، اعلم. الرؤية الأمريكية غير واضحة للأمور، وها قد علمتم الناس على

نظام (هات و خذ) وستجعلونهم بسياستكم هذه كالرُحّل لا مستقبل ولا مكان لهم.

- أي أنك عرفت مكان عدي؟

- ليس عدي فقط وأخوه قُصي أيضاً.

- هذا أهم خبر الآن... العالم ينتظر هذا الخبر بفارغ الصبر.

- إسمعيني جيداً يا (لوسي)... إلى ان أتأكد تماماً أنكم موافقون على ما أطلبه

بحذافيره، لن أبوح لكم بأي شيء، حتى لو قطعتموني إرباً إرباً، قولي هذا الكلام

لأغواتك ورؤوسائك.

خرجت (لوسي) من مكتبها، وبعد برهة عادت ومعها ثلاثة أشخاص آخرين. كنتُ قد رأيتُ إثنين منهم سابقاً والثالث لم أكن أعرفه وكان بادياً عليه أنه مستمع جيد أكثر من البقية... عرضت له (لوسي) ما قلته لها بشأن مكان عُدي وقصي، لذلك قال الرجل:

- حسناً، ماذا نفعل حتى تكون حقوقك مُصانة؟

- وأنا لا أعلم الكيفية، لكن أود الإطمئنان وألا أتعرض للمشاكل من قبلكم، وإن حصل أي شيء من ذلك، فسأقطع علاقتي بكم، حينها ستصبح مسألة القبض على صدام مجرد حلم لكم.

- هل أنت متأكد من معلوماتك؟

- كل التأكيد.

- وأنا بدوري سأوقع لك باسم الولايات المتحدة الأمريكية على وثيقة بيننا، إن كانت معلوماتك صحيحة ومن خلالها أستطعننا القضاء على المجرمين أو القبض عليهم، سنمنحك جائزة من إحدى الجوائز المُعلنة. هل يرضيك ذلك؟

- لأنني أعلم بأن هذا كلام تجاري وقد يطول كثيراً، أنا أيضاً ككُردي، أرى أن تكون علاقتنا بعيدة عن الرغبات والعواطف ونخطو خطوات جديدة، وأرى من الأفضل أن تكون بيننا وثيقة موقعة.

بدأوا بكتابة الوثيقة ووقعوا عليها وأعطوها لي، وأنا وضعت لهم شرطي الذي قالت لي عنه (دغدو) وقلت:

- تستطيعون أن تستقطعوا من حصتي لذلك الشخص كي تحافظوا على حياة عائلته وأولاده.. فهذا الأمر مهم بالنسبة لي، لا أود أن تُقتل النساء والأطفال ويذهبوا ضحية تلك العملية.

في ذات اليوم، إتصلت بشقيق (هلو) حتى ينتظر ذلك الخبر، وبعد يومين تم الإعلان عن مقتل عُدي وقصي وأربعة أشخاص آخرين، وفي نفس اليوم منحوني المبلغ المحدد، تصورت نفسي لبرهة أنني قد حصلت على جائزة تكساس في القرن الثامن عشر، لكن كانت تنقصني قبعة الكابوي والحصان والسرّج وتوابعه... لم تتمالك (لوسي) نفسها وقالت:

- نحن مذهولون من معلوماتك هذه، ندقق ونتحقق في الأمر، لكن لا نصل لأية نتيجة، وبحسب مراقبتنا لك، فإن علاقاتك محدودة جداً، صديقك (هلو) وقتل... بقي (تحسين) و (شوخا) وإثنين أو ثلاث حراس في منزلك إضافة إلينا نحن... لقد دققنا وتحققنا كثيراً عن منبع معلوماتك هذه، لكن ما كنا لنصل الى شيء، وبات هذا الأمر سرّاً غامضاً.

- وهل يهتمكم كثيراً هذا الأمر؟

- المهم بالنسبة لنا معرفة مع من نتعامل، وهذا الشخص هو أنت، لكن ما يثير فضولنا هي قدراتك هذه، مع أنها هي لفعل الخير ولمصلحتنا، لكننا لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا السر كما أننا لا نستطيع أن نُسلم مصيرنا للصدفة.

- هل تؤمنين بالله؟

- أنا أو من بالله، لكن الكثيرين لا يهتمون كثيراً بمسألة الإيمان بالله ولا يؤمنون

به.

- وماذا تسمين القدرة على التنبؤ، ألا ترين في العالم الكثير من الكتب تُطبع عن هذه القدرة لدى البشر والكثيرون يؤمنون ويعملون بها حتى. كما نرى الكثيرين لديهم قدرة المشي على الماء وبين النار، فماذا سيحصل لو كان كُردي يملك مثل هذه القدرات غير الإعتيادية أيضاً؟ وهل هو مبعث فخرٍ للعالم، ومبعث جهل وتخلف بالنسبة للكردية وتسمون ذلك بالسر الغامض ان تنبأ هو بشيء ما؟

- نحن كجهاز إستخبارات، من حقنا معرفة كل ما يجري من حولنا، وما لم

نفكر فيه هو ما تقوله الآن... فما قد أخذتني إلى عالم السحر والتنبؤات.

كانت تنظر إلى الساعة في معصمها وتتمتم: (الحادية عشرة والنصف... وماذا

بعد أيتها الفتاة؟)

- فكّري في ذهنك بأمر ما، وغداً سأقول لك فيم كنت تفكرين...!

أغمضت عينيها وقالت:

- ها قد تم الأمر وفكرت.

في نفس اللحظة، كانت (دغدو) قد أخبرتني بم تفكر به (لوسي)، لكنني كي أؤكد

لها أنني أستمد معلوماتي من الله، لم أخبرها في نفس اللحظة وقلت لها: (غداً الساعة

الحادية عشرة سأقول لك بم كنتِ تفكرين)

في اليوم التالي إتصلت لوسي، قلت لها:

- الظاهر أنك من البارحة تفكرين بالنتيجة التي سأقولها لك... أليس كذلك؟

- لم أتم البارحة... هات، قل لي، أن كنت ما تقوله حقيقة أم أنك تمنح معي؟

- لوسي... البارحة الساعة الحادية عشرة والنصف كنتِ تتمنين لو أن هناك

ديناصوراً في غرفتك... أليس كذلك؟

صرخت (لوسي) من خلال الهاتف: مستحيل... هذا لا يعقل، بالفعل تمنيت

ذلك، سأقول هذا للمسؤولين عني، وأنا متأكدة أنهم لن يصدقوا حتى يختبروا ذلك

بأنفسهم.

- ليفعلوا ما يحلو لهم، وأنا على أتم الإستعداد للإفصاح عن مخبأ صدام

ومكانه.

- ما تقوله سيكون كالقنبلة لكل العالم... جماعتنا لن ينتظروا ثانية واحدة إزاء

هذه المعلومة. الآن، فوراً سأخبرهم بذلك والمعلومة ستكون بعد ثوان على طاولة

الرئيس بوش. حينها ستعرف أهميتك في هذه المرحلة الحساسة... لا تُغلق هاتفك،

سأتصل بك مرة أخرى... ليكن بعلمك، (كوار) وصلت البارحة وهي هنا الآن.

بدأت الدورة الثانية للبرلمان ، وانتُخبت للمرة الثانية... وجوه قديمة ما زالت،

ووجوه جديدة أيضاً أراها في هذه الدورة. النسوة في الكُتل الأخرى كنّ يقظات

ونشاطات أكثر من النسوة في الكتلة الكردية، فعدم إلمامهن باللغة العربية كان عائقاً

أمام إيصال حقوقهن وأصواتهن، حتى أنهن لم يكن يشاركن في بعض الأحداث داخل

البرلمان، بعض الأشخاص من الكتلة الكردية يعدون على أصابع اليد الواحدة هم

وحدهم يحملون عبء ذلك، وأنا من بينهم. الكثيرون من الكُتل الأخرى والكتلة

الكردية أيضاً غير راضين عن أدائي، يلفقون التهم والأكاذيب من حولهم عني. لو

انشغلوا بأعدائهم داخل البرلمان لكانت المادة الثامنة والخمسين من الدستور وكل

مصالح الكُرد قد تحققت بدل ذلك الهجوم، تمنيت أن تنتهي دورة البرلمان هذه

بسرعة وأتحرر من تلك الأجواء.

إتصلت بي (لوسي) وقالت:

- أين أنت؟

- في البرلمان.

- الكثيرون ينتظرونك هنا.

- سأتي إلى السفارة بنفسني.

- متى؟

- الآن... ها قد خرجت.

- أسرع قليلاً.

بعد برهة كنتُ أمام السفارة الأمريكية بجدرانها الإسمنتية. أشارت لي (لوسي)

وركبت معها في السيارة. فور جلوسي قالت:

- هل تعلم بأن بتلك الكلمة فقط قد أذهلت العالم... هناك مجموعة في

طريقهم من واشنطن إلى هنا، وهنا في السفارة ينتظرونك بفارغ الصبر، وقلقون ألا

تكون معلوماتك دقيقة.

لم أتمالك نفسي وبدأت أقهقه ضاحكاً وقلت لها:

- ألم تثقوا بي حين أخبرتكم عن مكان عُدي وقُصي؟

- أنت مُحق. لكننا في كل عمل لنا نضع أماننا عدة احتمالات، وهذه المعلومة

بقدر ما هي مهمة، تصيبي بالذهول ولا أستطيع السيطرة على نفسي، أصبحنا

نُخلط بين الجد والهزل... يا إلهي... أكاد أصاب بسكتة قلبية، كم تضع نسبة نجاح

لهذه العملية؟

أخرجت قلماً وقلت لها:

- 100 %

من فرحتها أصبحت تُصفق بيديها على مقود السيارة وقالت:

- يا إلهي كم أنا سعيدة.

ثم نظرت إلي وقالت:

- هل تعلم بأنك بهذه المعلومة ستوصلني عالياً.. إلى أعماق السماء، أقسم لك

أنك ملاك سماوي وهبط على الأرض.

- وهل تعلمين بأنك ساحرة أيضاً، فكل عيونك تقع ما بين فخذيك.

وضعت (لوسي) يدها بين فخذيها وقالت:

- هنا؟

- وهل (هناك) قليل؟ هي مدينة بحالها، مليئة بالحانات والرغبة والهواء والنبيد والتماثيل أيضاً.

- ما رأيك هذه الليلة أن نمارس جنس ثلاثي، أنا وأنت وكّوارة؟

- كلا، لا أستطيع ذلك يا لوسي، لم أصل إلى ذلك المستوى بعد، لكن دعي ذلك في بالك حتى يصبح الامر إعتيادياً لدي.

ترجلنا من السيارة وتقدمتني (لوسي)، بخجل أتبعها بخطواتي، حين دخلنا الغرفة، كان أكثر من ستة أشخاص جالسين فيها، وقد وضعوا كاميرات في كل زاوية من الغرفة ليتم التسجيل بالصوت والصورة، الرجال الثلاثة الذين رأيتهم في المرة السابقة مدّوا أيديهم وصافحوني بحرارة، والبقية ينظرون إلى يدي والقلق باد على محياهم، الكل قلقون عدا (لوسي) فهي واثقة تمام الثقة من معلوماتي، وبين الثلاثة البقية هناك رجلٌ أسود يلبس بدلة أنيقة والظاهر أنه مسؤولهم، نظر إليّ هذا الرجل وقال:

- نحن نتابع أعمالك العظيمة عن بُعد، والولايات المتحدة الأمريكية لا تُكرّم أحداً عن عبث، لكن تحديد مخبأ صدام، يعتبر مكسباً أمنياً وعسكرياً بالنسبة لنا، ونتمنى أن تكون جاداً في معلوماتك هذه كما المرات السابقة.

قهوة النسكافيه أمامي، إرتشفت رشفة منها ووضعتها على الطاولة ومن ثم قلت له:

- من الواضح أنكم غير واثقين من كلامي؟

- الثقة تظهر حين نصل إلى نتيجة في عملنا وحين يكون ذلك الرجل في قبضتنا.

- ذلك الرجل في قبضتي، إن تصرفتم بحكمة سيكون في قبضتكم أيضاً.

- ما قصدك إن تصرفنا بحكمة؟

- لا أدري... مثلاً أن لا تتحركوا بطريقة يشعر فيها الرجل بما ستقومون به، ومن

ثم يُغير مكان مخبأه، لكن حتى إن غيّر مكانه فسأعلم به أينما يذهب...

عندما قلت (سأعلم به أينما يذهب) نظروا إلى بعضهم باستغراب، وقال لي

ذلك الرجل:

- كُن مطمئناً... نحن نخطو خطواتنا بحرفية... الآن، حتى الآن لم تقل لنا أين

مكانه؟

- ذلك الرجل في محيط (الدورة) في حقل من الحقول حول نهر دجلة، يعيش لوحده هناك، فقد حفر حفرة تحت الأرض ووضع فيها مستلزمات معيشته، وأظنه قد جهزها لنفسه منذ فترة بعيدة وحسب حساباً لهذا اليوم الأسود... المهم، إنه كلما أحس بالخطر، ينزل إلى تلك الحفرة ويغلق بابها من فوق ولا يشعر به أحد، فالباب على مستوى سطح الأرض وقد قام بتمويهه جيداً.

- قد يكون حول نهر دجلة الكثير من الحقول، وقد تشبه بعضها كثيراً، مما يستدعي الأمر المزيد من القوة العسكرية والدعم الجوي حتى يتم تطويق الحقول وما حول النهر... أليس كذلك؟

- كلا، لستم بحاجة إلى كل هذا.

عندما قلت كلامي هذا، صمت الجميع...

- نعم، لستم بحاجة إلى كل تلك القوة الكبيرة، إن أخذتم احتياطاتكم هو شيء عائد لكم... أنا بنفسني سأتي معكم وأحدد لكم مكان الحفرة بالضبط، ومتأكد أنه إذا أحس بأي خطر من حوله فإنه سيلجأ إلى حفرة.

- من أجل إنجاز هذه العملية بنجاح، نرى من الأفضل أن تكون ضيفنا في هذين اليومين، ولأجل ذلك فقد جهزنا لك منزلاً في المنطقة الخضراء حتى تكون محمياً بشكل جيد كما كل المسؤولين هنا.

- هل أستطيع معرفة متى ستبدأون العملية؟

- غداً الساعة الثانية عشرة ظهراً سيكون المكان مطوقاً... الليلة أنت ضيفنا والسيدة (لوسي) ستكون مسؤولة عن ضيافتك.

خرج الرجال من الغرفة وأنا و(لوسي) توجهنا نحو المكتب.

- هل تعلم أن آلاف الأشخاص يتابعون هذه المعلومة التي قلتها الآن ويقيمون التحركات التي ستحدث غداً... حتى الرئيس بوش بنفسه يتابع العملية بحذافيرها؟

- أعلم بذلك.

-وبدم باردٍ تقول (أعلم). أنا أعرف أنك متأكد من إلقاء القبض على ذلك الرجل، لكنني أعيش هذه اللحظات في خوف وأعلم أن الكثيرين مثلي لن يناموا الليلة.
- لنتحدث في شيء آخر.

- يا رجل، لقد نسيت الرغبة في كواره ونسيت نفسي وكل شيء من حولي.
- إستعيدي هوءك... الليلة هي لهذه الليلة، وعلينا ألا نفكر في الغد.
- هل تعلم بأنك غريب وعجيب؟ معلوماتك جعلت العالم كله يقوم ولا يقعد،
ومع ذلك لا تفكر في الغد... إما أنك واثق جداً من نفسك أو أنا لست طبيعية اليوم؟
- قومي الآن لنذهب إلى بيتك، كواره تنتظرك هناك ولا تقلقي على الغد، وأنا
واثق أنك غداً في هذا الوقت ستقهقين ضاحكة.

- أنت تسخر!؟

- ولم أسخر منك... غداً سترين بعينيك ذلك الرجل وهو مكبل اليدين.
منزل لوسي وبعض البيوت الأخرى حول السفارة مُحاطة بجدران إسمنتية
عالية، وفي الخارج ترى أكياس مليئة بالرمل متموضعة فوق بعضها بشكل جدار،
وكل عشرة أمتار ترى عسكرياً يحرس المكان...

عندما ذهبنا إلى البيت، كانت كواره تلبس بنظالاً قصيراً يكشف ساقيها
بالكامل، وتلبس بلوزة شفافة فوق البنطال، بلكاد يخفي حلمتي نهديها... لم تتمالك
نفسها عندما رأني واحتضنتني قائلة:

- كيف وصلت إلى هنا؟

- ألا تعرفين أنني كالشيخ أظهر في كل مكان؟ وأنت كيف وصلت إلى هذه القلعة
المنيعه؟

- ألا تعلم بأني أصبحت بطلة أفلام الكارتون أيضاً؟ يجب أن تتحول سيرة
حياتي إلى رواية ومن ثم إلى فيلم سينمائي.
قالت (لوسي):

- ماذا تقولان بين بعضكم... أود أن أفهم أيضاً؟

- أنا لا أعرف اللغة الفرنسية، وهي لا تُجيد الإنكليزية، لذلك مجبرون أن
نتحدث فيما بيننا بالكردية.

مساءً مُغبر، على نهر دجلة، أشجار النخيل العتيقة ساكنة وكأنها بلا روح...
أحياناً ما تسمع صوت طائرة مروحية بالقرب من منزلك... بغداد تنفس بصعوبة
وسط ذلك الصمت وتفتح صدرها للظلام... بين الفينة والأخرى تسمع صوت
رشقات رشاش يقطع ذلك السكون.

- حسناً، لا يجوز أن نجلس هكذا ولا نشرب شيئاً، شراباً أو أيّ شيء آخر؟
رنّ هاتف لوسي... لم تُقل شيئاً على الهاتف سوى كلمة (Ok).
- يقولون يجب أن تكونوا جاهزين الساعة السابعة صباحاً.
شربنا العديد من كؤوس النبيذ الفرنسي الأحمر، ورويداً رويداً تشعر بدفءٍ
من حولك... على الطاولة بعض المأكولات الأوربية الباردة، و(لوسي) ما تزال قلقة
ومضطربة بشأن ما سيحدث في الغد... بعد برهة وضعت فمها في فم (كواره) التي
إحمرّت خجلاً، وكي أخفف عنها وطأة الخجل تلك قلت لها:
- منذ زمنٍ أعلم كيف تقضين حياتك، وقالت لي كل شيء.
أشرت بيدي إلى (لوسي):
- أكملوا ما أنتم عليه.
- وقالت لي ما جرى بينكم أيضاً أنت وهي... هل عرفت لم لا أعود إلى البلد؟ بأي
وجه سأعود؟ ما جرى معي جعل مني امرأة غير اعتيادية.
- أنت الآن في البلد ولم يُجبرك أحد على العودة إليه...
- قصدي العودة إلى السليمانية... الأفضل أن أكون بعيدة عنها حتى لا أجلب
العار للأهل والأقرباء هناك.
- وأنا... أأست من أقبائك؟
- أنت تعلم بكل ما جرى معي وتعلم بالذنب الذي حاق بي، وعلاقتي مع لوسي
خارجة عن إرادتي، فأنا أنفر وأكره الرجال.
- وأنا أيضاً؟
- أنت بالنسبة لي ملاك، أنا ممتنة لك ما حييت، ليس فقط جسدي، بل كل ما
أفعله لك سيكون قليلاً أمام ما قدمته لي.
قالت (لوسي) بحنق:
- بحق السماء... ماذا تقولان؟
لم تنتظر الجواب، سحبت (كواره) إلى حضنها وقبلتها قبلة طويلة وقالت وكأنها
مخمورة بتلك القبلة:
- ماذا أفعل...؟ أحبها وكأن ماء العنب يتدفق من بين فخذها...!

الساعة السادسة صحوت من النوم، رأيت (لوسي) تشرب القهوة وتلبس لباساً عسكرياً، و(كوار) ممددة بجانبها وهي تغط في نوم عميق، رائحة عطر (لوسي) ما تزال تفوح من الجانب الآخر من (كوار)... لبست ثيابي والساعة السابعة إلا عشرة دقائق خرجنا أنا و(لوسي) من المنزل، في الساحة القريبة يعلو هدير ثلاث حوامات عسكرية، جلسنا أنا و(لوسي) بجانب بعضنا وربطنا الأحزمة... إعتلت سبعة حوامات كبد السماء، الواحدة خلف الأخرى، نظرت إلى الأسفل وإلى معالم بغداد، من القبة الذهبية في الكاظمية أدركت أننا نتوجه صوب تكريت، كانت المرة الأولى لي أركب فيها طائرة هليكوبتر، أفكر بما توصل إليه الإنسان من تكنولوجيا وعلوم، وعن طريق تلك التكنولوجيا يتم تيسير أغلب الأمور الحياتية، وفي نفس الوقت أفكر بشعبي الذي ما زال يعاني من التخلف والأفكار البالية... بعد مضي بعض الوقت في السماء، هبطت الحوامات في مطار بالقرب من تكريت... مررنا بطريق كانت المدرعات تملأ جانبيه، فتكريت باتت محاصرة من كل اطرافها.

عندما قطعنا الجسر على نهر دجلة، ظهرت زوارق حربية على أطراف النهر، وفور وصولنا إلى المكان المراد، أشرت لهم أن يكملوا الطريق مع حافة النهر صوب الشمال... (لنكمل الطريق... بقي بعض الوقت ونصل).

أتني (دغدو) وقالت: (الرجل أحس بتحركات عسكرية من حوله وذهب ليختبئ في حفرة... لم يبق الكثير... مائة متر أخرى... هنا، ها قد وصلت... على يدك اليمنى، شجرة البطم الصغيرة تلك).

كنا خمسة أشخاص في السيارة، لوسي مع ضابطين كبيرين في الكرسي الخلفي وأنا والسائق في الكرسي الأمامي.. قلت لهم:

- الرجل هنا، مختبئ في حفرة هنا تحت الأرض والحفرة مغلقة من فوق.

المكان المستهدف كان مُطوقاً من كل الجهات، طائرتنا هليكوبتر في السماء كانتا على وشك الهبوط، والحقل مليء بالجنود المدججين بالأسلحة. فتشوا بدقة كل مكان في الحقل، كالبحث عن ابرة في كومة قش. (لوسي) على حالها، مضطربة إلى أبعد حد، على وشك البكاء من كثرة قلقها، بعد عدة خطوات من شجرة البطم تلك، اتني (دغدو) وقالت: (فتحة الحفرة تحت تلك الأحرش، خشبة سميكة مصبوغة بلون رمادي من لون التراب).

- ما بك يا (لوسي) أما زلتِ قلقة؟
- وهل تريدني أن أرقص في هذا الوضع، هل تعلم ما سيجري لو لم نعثر عليه؟
- وإن عثرنا عليه... ماذا سيجري؟
- أنت تعلم تمام العلم بما سيجري؟!
توجهتُ إلى ذلك الحرش، رفعتُ بعض الأغصان المكوّمة فوق بعضها، ظهر
حرف الخشبة السميكة تحتها... قلت:
- هذه هي الحفرة وهو بداخلها.
ركضت (لوسي) إلى الضابط المسؤول، وأحاط الجنود بالمكان، وضعوا في
حساباتهم أن يكون مسلحاً ويقوم بإطلاق النار، وقد يُقتل أثناء ذلك، فهم يريدونه
حيّاً... بعدها قرروا أن يهددوه: أخرج من الحفرة وإلا سنجعلك تخرج وأنت فاقد
للوعي... رفعوا الخشبة وقالوا لبعضهم:
- يهدوء... نريده حياً.
صرخ من داخل الحفرة وقال بإنكليزية مكسرة:
- لا تطلقوا النار، أنا رئيس جمهورية العراق.
فور خروجه، هجموا عليه وبدأوا بتفتيشه وتفتيش الحفرة.
بدوري، كنت جالساً على صفيحة معدنية على بعد خطوات منهم، قفزت لوسي
عليّ من الخلف وبدأت بتقبيلي، ومن ثم الضباط والجنود، واحداً تلو الآخر، يباركون
لي على ما قمت به.
وأنا كنتُ أخلق عالياً مع أرواح آلاف ضحايا القصف الكيميائي في مدينة
حلبجة وآلاف الأطفال الذين قضوا في مجازر الأنفال... جائزتي الحقيقية هي
محاكمة ومعاقبة قاتل كل هؤلاء الأبرياء...

الصراع والمناوشات داخل البرلمان تزداد يوماً بعد يوم، ما جعلني أفقد الأمل على الإستمرار بينهم. البعض يفكرون مثلي لكنهم وضعوا عملهم الأساس في البرلمان جانباً، خوفاً على مناصبهم أو خوفاً من أحزابهم. الكتلة الكردستانية فقط ، يظهر من بينها أعضاء يتحدثون بجرأة في موضوع ما، لكن سرعان ما يتم تعنيفهم، ليس ذلك فحسب، بل يتهمونهم شتى الإتهامات.

ينظرون إلي في البرلمان منذ البداية على أنني شخص مشبوه ومشكوك بأمره وأني محسوب على الأمريكيان، في الوقت الذي كان الكثيرون منهم يحاولون بشتى السبل الوصول إلى مسؤول أمريكي من الدرجة العاشرة... أعرف هؤلاء واحداً واحداً، وأعرف كم ينافقون، يبرزون أنفسهم على أنهم أعداء للأمريكان.

في إحدى الإجتماعات قام شخص من تلك المجموعة وبدأ بمدح الجيش العراقي وإنجازاته العظيمة، وبدأ يعد إنجازات هذا الجيش الذي حارب بطولة في (الشمال الحبيب) وفلسطين والحرب الإيرانية وحرب الخليج، وإن التاريخ سيُخلد مآثر هذا الجيش وبطولاته... لم أتمالك نفسي وأجبتة: أن كل كلامه بعيد عن الحقيقة والواقع وإنه كذب فاضح، الجيش الذي تعلّم السرقة ونهب الأغنام وحتى دجاجات مواطنيه ويرى بأنها غنائم وحلال عليه، ويرى بطولة في نهب هذا الجيش لقرية كردية... جيش يدفن العجائز والنساء والأطفال الرضع وهن على قيد الحياة تحت اسم عمليات الأنفال، وقصف حلبجة التي عُدت من جرائم العصر، جيش يغتصب النساء ويسرق الاساور والقلائد الذهبية من رقاب النسوة في قصر شيرين وعبادان، جيش يفرغ البيوت من ساكنها، ينهب الكويتيين ويغتصب نساءهم، كيف يحال كل ذلك إلى بطولة هذا الجيش... أين البطولة في ذلك... بأي شيء يفتخر هذا الرجل؟ في النهار تحت قبة البرلمان وفي الليل عميلٌ للأمريكان... ماذا يريد أن يقول؟ أن الأمريكان احتلوا البلد...

لا أدري لم الأعضاء صامتون على هذه التجاوزات، لماذا تغمضون أعينكم عن الحقائق، وكل ما يجري هو تأجيل المسائل وتأخيرها. البارحة في هذا المكان، تحدّث رئيس الوزراء عن المادة الثامنة والخمسين بطريقة وكأن بنود الدستور تمّ التصويت

عليها في سوق الدلائل، وكنتم جميعكم تصفقون له... لذلك، من هنا أقول، إن الذين يتعاملون مع القوات الأجنبية لديهم قصر نظر وينظرون إلى الجمل على أنه دجاجة... تأكدوا إن لم يكن اليوم فغداً، سيكون اسمهم على كل لسان، وباتوا معروفين واحداً واحداً... أعلم أن كلامي هذا لا يعجب الكثيرين في هذه القاعة، ومن بينهم جبهتنا أيضاً. لكن، هذا لا يعني أن أبقى صامتاً أمام كل هذا التقاعس وتزوير الحقائق الحاصل في العديد من المجالات وبدم بارد، وإن ما أراه لا يصبو إلى تطلعات وطني وشعبي...

بعد أن أنهيتُ مداخلتِي، تضايق رئيس الكتلة الكردستانية من كلامي وقال بغضب:

- كاكاء... أنا ما هو عملي هنا؟ ألسنت المسؤول هنا؟
- أنت رئيس الجبهة الكردستانية وتدير بعض أمورنا وليس كلها.
- حسناً، أنت تتحدث في موضوع كان الأجدرك أن تسألني عنه أولاً؟
- ولماذا...؟ وهل نحن في صف مدرسة وأنت أستاذ وأنا طالب لديك حتى أرفع يدي وأستاذك كي اتحدث؟
- أي أنك لا تعترف بمنصبي؟
- كلا، لم أقل ذلك... جنابك لا تحسب حساب لي، وتريد مني أن أستاذك كي أذهب إلى التواليت... لماذا؟ وهل نحن أطفال ونعيش في دار الأيتام؟
- أي أنك لست نادماً على كلامك؟
- لستُ نادماً، بل أنا مُصبرٌ على كل كلمة قلتها ولم آخذ إذنك فيها، ولن أعتذر منك... على العكس، أنا أقوم بواجبي القومي تجاه شعبي بطريقة يتطلبها الوضع الحالي، وهو التعبير عن رأبي وفضح أعداء شعبي وكلامي موجه لكل من يدعي غير ذلك.

- هكذا إذاً...؟
- ما قصدك بـ (هكذا) يا أستاذ؟ هل تلومني على ذلك؟ قُم بما تستطيع فعله الآن ولا تؤجله.

قام أحد المتزلفين وقال:

- أتركه أستاذ، إنه إنسان مفسد.

قام عضو آخر وقال: وكيف تهمه بذلك، هذا برلمان والأخ عضو مثلكم فيه وهو حرٌّ في إبداء رأيه، لا يجوز أن تهمه هكذا، قابله بالحجّة وقُل له أنك كذاب، فقد كان الجيش العراقي جيشاً ملائكيّاً.

بعدها، قام رئيس الكتلة الكردستانية وتوجه صوب المنصة أمام المايكروفون وقال:

- ما قاله الأخ سنكر، هو رأيه وليس رأي البرلمان.
فكرتُ فيما سأقوله لهذا الرجل، ووصلت إلى نتيجة أن الكلام لا يفيد مع هؤلاء. أردت الخروج إلى الحمامات، وبدون إستئذان خرجت.

إتصلت بي (شوخا) وقالت:

- أنا في بغداد...

- الدخول إلى المنطقة الخضراء لشخصية مثل (شوخا) من المسلمات. الكثير من الشركات الأجنبية مقراتها هناك وغالبيتها لديها علاقات بطريقة أو بأخرى مع أجهزة الإستخبارات الغربية. عندما قالت (شوخا) إنها في بغداد، قلت لها أن بغداد ليست كما في السابق...

- هل نزلت في فندق؟

- كلا، أنا في المنطقة الخضراء ومكان إقامتي مريح... متى أراك؟

- الآن...

أعطيتها عنوان منزلي، وبعد برهة أتت، وبعدها انتقلت للسكن معي!...

- منذ متى أنت هنا؟

- البارحة وصلت... قضيت مجموعة من الأعمال وأنهايتها اليوم، والآن ليس لدي أي شيء. أسمع عنك أخبار جيدة... أصبحت من نجوم الأجهزة وشخصية مهمة ومعروفة.

- تريدين الصراحة، أنا مُتعبٌ جداً وخاصة من البرلمان، لم أعد أتحمّل وأتمنى

أن تنتهي هذه الدورة بسرعة وأبتعد عن تلك الأجواء.

- تحمّل، بقي القليل وتستطيع ألا ترشح نفسك في الدورة القادمة وتبتعد

عنهم.

- سأذهب إلى بيت أحد أقربائي في الكردية اليوم، منذ مدة وهم يعزوموني ولم أكن أذهب، ووعدتهم اليوم... الوضع في بغداد يتأزم يوماً بعد يوم يا(شوخا) وقد يُنقلوا مكان إقامة أغلب أعضاء البرلمان إلى المنطقة الخضراء، وكل يُغني على ليلاه ويتبع لدولة، وباستمرار ينكشف عدو خفي بيننا.

- أنا مُطلعة على الوضع نوعاً ما... لكن لا تقلق، فلا أحد يعرفني هنا.
يوم الجمعة يمر بصعوبة في المنطقة الخضراء... لم تكن لدي علاقات تذكر مع أحد، عدا أن بعضهم يدعوني إلى تناول وجبة الغداء معه ، أو في أمسيات الخميس يجتمعون للعب البوكر والكونكان، ولم أكن أشاركهم في اللعب... أحياناً تقع قذيفة هاون بالقرب من المبنى، نطأطئ رؤوسنا خوفاً، مع أنها بعيدة عنا... غالبية أعضاء البرلمان في مبنى واحد مكّون من عدة طوابق، يحسدوني على منزلي لأن فيه كل المستلزمات... وفي الآونة الأخيرة ظهرت في هذه المنطقة أعمال كالقتل والتصفية والإختطاف وما شابهها من أمور أخرى.

في إحدى المرات، إستطاعوا إختطاف (شوخا) حينما خرجت من المنطقة، وبعد أربع وعشرين ساعة من إختطافها إتصلوا بي وقالوا:

- تدفع مليون دولار نقداً أم نبعث لك برأس شوخا...؟

إهتمت السفارة الأمريكية والجيش الأمريكي بعملية الإختطاف، حيث تتبعت مجموعة مختصة أصوات الإتصالات من الموبايلات وقاموا بالتنصت على المكالمات بيني وبين المختطفين... في جوابي على طلبهم قلت لهم بأن ذلك المبلغ كبير جداً بالنسبة لي ولا أستطيع الحصول عليه. قلت لهم هذا كي أعلم إن كانوا يعرفونني أم لا. فقالوا:

- أنت عضو في البرلمان وتستطيع الحصول على ذلك المبلغ بسهولة ولن نرضى بأقل من ذلك.

في جوابهم، تبين لي أنهم لا يعرفون عني الكثير وعن أعمالي من خلف الستار... لم تتخل عني (لوسي) طوال فترة إختطاف (شوخا)... بعد التحري عن إتصالاتهم عن طريق الأقمار الصناعية، تبين أنهم يتصلون بي من إحدى الحقول حول مدينة (الكوت). ذهبت أنا ولوسي وكامل تلك المجموعة التي تتعقب الإتصالات إلى مقر عسكري قريب من مدينة الكوت... منذ البداية (دغدو) قد أخبرتني عن مكان

(شوخا)، لكنني أردتُ معرفة مدى قدرة تلك المجموعة الإستخباراتية في الكشف عن مكانهم...

أنتني (دغدو) مرة أخرى وقالت: (إن لم تلحق (شوخا) اليوم فإنهم سينقلونها عن طريق زرباطية إلى إيران، وسيكون تحريرها مستحيلاً حينذاك) إستعجلتُ في الأمر وحددت مكان المجرمين، وأعلنتُ لهم أن تلك المجموعة يقودها أحد أعضاء البرلمان، وقد تتبعوا خطوات (شوخا) من هناك إلى حين خروجها تمهيداً لاختطافها.

في تمام الساعة العاشرة مساءً، تم إحكام الحصار حول المكان، فضلاً عن ثلاث حوامات في السماء تسلط أضواءها على الأرض وتجعلها وكأن الدنيا نهار. لو تلك المجموعة تعلم بمن هي (شوخا) ومن تمثل، لما كانوا إختطفوها بتلك الطريقة. عن طريق مكبرات الصوت، تم تنبيه المجموعة كي يسلموا أنفسهم، لكنهم ردوا بإطلاق النار، وبعد برهة لم يستطيعوا المقاومة فانسحبوا إلى داخل بيت هناك توقف إطلاق النار من قبل الجيش ومرة أخرى طلبوا من المجموعة تسليم أنفسهم، لكنهم ردوا مرة أخرى بالرصاص، لذلك قرروا رمي قنابل تفقدهم الوعي على المنزل، إطلاق الرصاص يصدر من طرفي البيت، لم يمض وقت طويل حتى توقف صوت الرصاص، وداهمت قوات الكوماندوز البيت بتكسير الباب، كان سبعة أشخاص ممددين على الأرض، خمسة منهم مقتولين وكانت (شوخا) بينهم، وأحدهم فقد وعيه كان جريحاً بطلقة في الصدر، والحي من بينهم كان من قوات الباسداران والذي اعترف ان رئيسهم هو من قتل (شوخا) كي يدعوا بعدها أنها قتلت برصاص الجيش، أما الجريح فكان من أعضاء البرلمان واعترف انهم اغتصبوا (شوخا) جميعهم.

تم نقل جثمان (شوخا) إلى إسرائيل... وأنا من الصباح أعلنت في الصحف والمجلات إستقالتي من البرلمان وعدتُ إلى هولير وابتعدت عن البرلمان إلى الأبد.

جمعت حوالي أربعة حُرّاسٍ آخرين، لأنني أحسستُ أن الذئاب من حولي تُحاول الإنقضاض علي، وقررت ألا أكون لقمة سائغة لهم. رجوت (شوخا) كثيراً كي لا تخرج على هواها من المنطقة الخضراء، لكنها لم تعمل بنصيحتي، إلى أن قام أعدائي من داخل البرلمان باختطافها وقتلها كي يجعلوني أرضخ لهم... ما استطعت القيام به بعد

مقتلها أني جعلت عضو البرلمان الجريح يعترف بجريمته، واعترف بكل شيء ونال عقوبته بقتله، ودفن جثته في منطقة غير معروفة لأنه اعتبر إرهابياً.

بمقتل (شوخوا) تبين لي أن الكثيرين يعلمون بعلاقتي مع الأمريكان، وما كان يثير استغرابي أن الكثيرين لديهم علاقات معهم مثلي، كما أن الكثير من المسؤولين والأحزاب يحاولون بشتى السبل إقامة تلك العلاقات ويتقربون مني كي أساعدهم في ذلك.

قررت ألا أبقى صامتاً تجاه كل ما يجري وأكشف الأسرار على الملأ... ففي الجنوب لم يكن يسرقون فقط، بل كانوا يمدون الانابيب أو عن طريق عدد كبير من الزوارق لسرقة النفط... مشاهد الموت اليومي أصبحت مألوفة... الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقراً وبؤساً... وهكذا، القادة غير راضين عن ذلك، بل يظهرون من على شاشات التلفزة وفي الصحف والمجلات، أحياناً بالزني الرسمي والأطقم، وأحياناً يعتمرون العقال والكوفية والدشداشة وبييعون فلسفاتهم للناس.

حادثة مقتل (شوخوا) من قبل بعض الباسداران وعضو في البرلمان، أصبحت مادة دسمة للصحف وبعض القنوات التلفزيونية، وأيضاً خبر استقالتي من البرلمان تصدر الإعلام، مما حدا بالباحثين في هذا الشأن من العراق وكردستان إلى اللقاء بي كي أوضح لهم ما يجري داخل البرلمان وكانوا يقيّمون ذلك بجدارة، وأحياناً ما كانوا يلتقون بي ويتحدثون عن معاناتهم ومعاناة الناس.

بدوري، تحركت باتجاه الكشف عن المفسدين والصوص، فمنهم من لديه ثماني أرسدة مصرفية في العديد من الدول الأوروبية، وهم يزدادون ثراءً وفُحشاً يوم بعد يوم.

(دغدو) أعطتني أسماءهم بدقة، إسم البنك، الرصيد المصرفي، المبلغ، البلد، المدينة... وضعت تلك الأسماء في قائمة وأرسلتها إلى موقع (ويكيليكس) الالكتروني، ونشرت هذه المؤسسة أسماءهم بجرأة بشكل إسبوعي، وأصبحت تلك المعلومات في متناول الإعلام والأقنوات الفضائية في العالم أجمع، وفي متناول المعارضة في داخل البلد.

إستطعتُ بمساندة (لوسي) إرسال كل أموالي إلى إحدى البنوك الفرنسية واستلمت مفتاح رصيدي مع الرمز السري... تحركت باتجاه إنشاء مجلس ثقافي

وإعلامي، يكون له مقره الخاص ويكون له جائزة سنوية في إحدى المجالات الأدبية. لم أكن أعرف أحداً من الوسط الأدبي، لذلك إتصلت بـ (تحسين) ووكّلته للقيام بهذه المهمة. وطلبت منه أن يمدني بأسماء بعض الكتاب في مجالات الشعر والقصة والرواية، وأن تشكل لجنة خاصة لكل فرع من فروع هذه الآداب ليحددوا الفائزين بالجوائز في هذه المجالات.

بدأ (تحسين) بالعمل في ذلك، وأنا بدوري إشتريت أرضاً مساحتها عشرة آلاف متر وكلفتُ مهندساً معمارياً ليصمم بناءها، وفي ظرف سنة واحدة كان المقر جاهزاً، من قاعة للمحاضرات والندوات، قاعة للفنون الجميلة، غرف الموظفين، فضلاً عن قاعة صغيرة للمسرح.

بعد اتصالي مع بعض الأدباء في الوطن، إقترحوا عليّ الأسماء التالية ليكونوا أمناء وأعضاء في اللجان المحددة، والأسماء هي:

أ- لجنة الرواية:

١. محمد موكري
٢. قادر سرجناري
٣. رؤوف حسن
٤. أحمد محمد اسماعيل
٥. آزاد عبد الواحد

ب- لجنة الشعر:

١. قوباد جلي زاده
٢. اسماعيل كيلاني
٣. د. مصطفى زنكنه

ج- لجنة القصة:

١. زاهر روزباني
٢. د. عادل كرمياني

٣. حسن سليفاني

٤. اسماعيل برزنجي.

شاركت في إجتماعين مع الأخوة الأدباء، وقرروا منح مبلغ عشرة آلاف دولار للفائز الأول وسبعة آلاف دولار للفائز الثاني وخمسة آلاف دولار للفائز الثالث، ومبلغ ألف دولار كراتب شهري لكل عضو من أعضاء اللجان وأن يُقام سنوياً مهرجان أدبي خاص بالمؤسسة، كما أسندت لتلك اللجنة مهمة إنشاء خمسين مدرسة كبيرة وصغيرة في مدن وبلدات كردستان.

حاولوا إغتيالي مرتين، لكن لو لم تكن (دغدو) تقف إلى جانبي لما كنت نجوت منهم، لذلك وبحسب إرشادات (دغدو) وأصدقائي الآخرين، قررتُ الهجرة من الوطن والإقامة في أمريكا، على ألا أكون بعيداً عن مساعدة أبناء شعبي.

هولير- ألمانيا

21/3/2013

على الغلاف الخارجي

منحوتة (دغدو)

لا أدري لم عليّ كتابة المقدمة، فأنا عدو لقتل الأب في الأدب، وخاصة في الرواية. وغايتي من هذه المقدمة هو إلقاء الضوء على هذا العمل فقط. عندما كنت أكتب هذه الرواية، خيال (دغدو) لايفارق مخيلتي ليلاً نهاراً، ورأيت من الأفضل أن أنحت لها منحوتة خاصة، بدأت برسم عدة سكينتشات بأشكال عدة، وبالمحصلة أنجزت العمل وهي نفسها المنحوتة على الغلاف الخارجي للكتاب، والمنحوتة في منزلي كما كل المنحوتات، وضعتها في مكان يليق بها، وأسلم عليها في اليوم مرات عديدة.

قد لا تكون (دغدو) راضية عن العُري المائل في المنحوتة، ومتى كنتُ مطواعاً كي أقبل ما يُملئ عليّ...؟

ولم أقف عند ذلك، بل نحتت منحوتة أخرى لشبيبتها أيضاً، مع أن الروحين يشبهان بعضهما بالشكل، لكن هناك عالم من الاختلاف بينهما...

شبيبتها بدت سعيدة بذلك العري، لا بل شجعتني على المزيد..

أحياناً أحس بوجود روح (دغدو) معي، خاصة حين أكون وحيداً، أتصورها أمامي حين كتابة هذه المقدمة، لذلك أتمتم أثناء ذلك: ها أيتها الأميرة... كيف حالك؟

عزيزي القارئ، ها هي رواية (دغدو) بين يديك الآن، وما أستطيع البوح به كان

هذا فقط، وإن كان كلامي هذا غريباً عليك... إذهب واقرأ (دغدو)

وإن لم تقرأها فأنت حرٌّ... سردت لك بعضاً من حياتي، إن كان خيراً أم شراً...

أنا هكذا... ماذا أفعل...؟

2/7/2013